الشيخ هاشم محمد سعيد دفتردار

علم دراسة الأديان

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تصميم الغلاف: رفيف حربلي

مؤلف هذا الكتاب

الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني

بقلم الشيخ عبد الله منير الشريف
من خريجي جامعة الأزهر الشريف بمصر

لعل العبارة التي وردت في مؤلف علم الأديان هذا، ونصها: أن الإنسانية لن تستقيم في اتجاهاتها نحو المثل العليا إلا إذا قرنت الإخلاص في كشف عوالم المادة بالإخلاص في كشف عوالم الروح، هي أصدق ما ينطبق على عنوان جهاد المؤلف الطويل منذ اليوم الذي وصل إلى لبنان والشام من المدينة المنورة، طالباً للعلم باحثاً عن الحقيقة، تسمو نفسه إلى الكمال الخلقي والعلمي.

وفي لبنان يسوقه القدر إلى لقاء علم من أعلام الإسلام في ذلك الوقت وهو فضيلة المفتي الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد، فيحس المفتي في أستاذنا لمعة الإخلاص والصدق والشوق لطلب المعرفة، فيرسله من بيروت إلى مصر لكي ينهل من معين العلم في أزهر القاهرة مع مجموعة من الطلاب اللبنانيين الذين تبوّأوا بعد عودتهم من الدراسة أرفع الأمكنة الروحية والدينية، وأثروا مع أستاذنا في مسيرة الإسلام في لبنان، وفي تنشئة جيل غيور على دينه، قوي في عقيدته، مهذب في حسن معاشرته لأهل العقائد الأخرى.

أجل عاد أستاذنا من مصر بعد أن قضى في رحاب أزهرها إحدى عشرة سنة في الدراسة والاطلاع ولقاء كبار العلماء ونوابغ رجال القلم والأدب والشعر فيها.

عاد إلى لبنان وفاء لعهدٍ كان مفتي لبنان الأكبر قد أخذه عليه من أن عودته من مصر يجب أن تكون إلى لبنان ليفيد بعلمه أبناء المسلمين للحفاظ على هويتهم

الإسلامية وتقوية عقيدتهم الدينية ولحفظ الإسلام في ذلك البلد أمام التيارات العقائدية العديدة التي تتجاذب أبناءه.

وكأنما كان مفتي لبنان الأكبر آنذاك الشيخ محمد توفيق خالد يستشف رؤى الغيب عندما طلب من الأستاذ أن يدرس لطلاب الكلية الشرعية كتاب رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وكأنه كان يرسم له رسالته كلها في الحياة ويحدد مسارها، فلا يزال أستاذنا يعيش من أجل تلك الرسالة ويناضل بقلمه ويضع عصارة فكره، ونتاج علمه الغزير في مقالات كثيرة ومؤلفات عديدة طبع منها الكثير، ومنها ما هو تحت الطبع، وكلها تدعو إلى العقيدة السليمة المبنية على يقين العلم الصحيح ويقين الوحي في الكتاب والسنة الثابتة، وكلها دعوة إلى النزاهة في التفكير والاستقامة في الغاية وتحري الحقيقة منزهة عن كل عصبية وعنصرية، إلا وجه الحق وحده.

ويعمل أستاذنا منذ أن أكرمه الله بخدمة الإسلام في لبنان والشام وفي وطنه المملكة العربية السعودية من أجل غاية عليا سامية لا تمت إلى حب الثناء أو الطمع في عطاء دنيوي بأية صلة، بل كم رأيناه يقرن العطاء الروحي المخلص بالعطاء المادي من عنده طمعاً في مرضاة الله تعالى.

ولعل حياته المديدة هي تجسيد للقول الكريم في القرآن العظيم...

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٢] وقد كانت عودته إلى وطنه بعد أربعين عاماً قضاها يدرّس في الكلية الشرعية في بيروت التي تخرج منها علماء ومفتون وقضاة ورجال أبرار يعتزون بدينهم، كانوا جميعاً ثمرة طيبة لجهاده المخلص في عالم الإسلام في لبنان، ولم تفتر عزيمته عن الدعوة إلى الله من على منابر المساجد وفي محاضراته في الكليات المختلفة وفي منازل علية القوم من أصحاب النفوذ، وقد كان يدرّس أبناءهم ويوجههم للتمسك بدينهم والاعتزاز بنهجه.

كما كان له اتصال برجالات الأديان يناقشهم ويجادلهم لبيان الحقيقة التي يسعى إليها أهل العلم المخلصين كافة، كما كانت له صلةٌ ببعض المستشرقين الذين يفدون إلى لبنان، وكان من أهم أصدقائه المستشرق ماسينيون.

وفي حفلة الوداع لعودته إلى وطنه كان اللقاء الحاشد برعاية مفتي الجمهورية

اللبنانية الشهيد الشيخ حسن خالد، وقد كان رحمه الله أحد تلاميذه ومعه لفيف من علماء لبنان من تلاميذ الشيخ، وذلك في ساحة دار الإفتاء في بيروت، وقد تبارى الخطباء يومها في التعبير عن حبهم لأستاذهم وعرفانهم بجميل ما أسداه للمسلمين في لبنان، وإظهار ما في قلوبهم من حب صادقٍ له ووفاء خالد لأعماله الطيبة.

وقد كان ما يعوّض أستاذنا عن أساه لفراق الأرض التي قضىٰ فيها عشرات السنين أنه ترك فيها أبناءً يقدرون جهاده في الدعوة إلى الله ويحفظون مبادئه، وقد وضعهم على الطريق السوي في فهمهم للدين وجهادهم في سبيل إعزازه مع استقامة نفوسهم ونقاء قلوبهم، وهم يحملون المشعل الذي تركه أمانة في أيديهم لعزة دين الله في ذلك الوطن.

ومنذ وصوله إلى وطنه وهو يكتب المقالات العديدة التي تنشرها الصحف والمجلات المختلفة ويؤلف الكتب ويطبعها، ولا يزال. . . .

ومنذ طليعة شبابه فقد عاهد ربه أن ينفق عمره لله ولكتابه ولرسوله ولنصرة التوحيد والدعوة إلى الفضائل والاستقامة في الغاية واتباع نهج الحق في كل ما يدعو إليه ويعمل من أجله.

وفي جدة حيث يعيش، يقوم المرحوم الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي السابق بندبه ليكون مصححاً في المجلة العربية وذلك بإيعاز من الشاعر الكبير السيد محمد حسن فقي والمرحوم علي حافظ، وبعد وفاة الوزير رحمه الله ينتقل إلى الإذاعة كمشرف على ما يذاع فيها من كلمات.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا له، وقد أسماه «علم دراسة الأديان»، وهو مجموعة من المحاضرات كان الأستاذ قد ألقاها على طلاب الكلية الشرعية بإيعاز من مفتي لبنان الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد، ويحدثنا الأستاذ عن ظروف تأليفه فيقول:

ولما كنت في بيروت أباشر التدريس في الكلية الشرعية الفيتني أعايش أنماطاً من العلماء وأتصل بكثير من الكاتبين وجماعات من غير المسلمين يتدارسون غير دين الإسلام بالإضافة إلى الإسلام، وبحكم نشأتي في أسرتي المحافظة في طيبة الطيبة المباركة وبحكم تربيتي وثقافتي العربية الإسلامية احترم كل إنسانٍ

احتراماً خالياً من الرياء والمصانعة، وإذا تحدثت إليه تحدثت بالحسنى التي أمرنا الله بها . . .

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ٨٣] وبالخير الذي أمر به رسول الله ﷺ . . .

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» . . .

وهكذا أجد احترام الناس وصدق الإخلاص لهم وإرادة الخير والسعادة لهم من أحاسيس فطرتي وبواعث ثقافتي وتربيتي، وأرى أن ذلك أيضاً من محبته في الائتساء برسول الله ﷺ، الذي كان يذوب حسرةً لمن تناءى عن الإيمان الصحيح . . .

﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ [فاطر: ٨].
﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف: ٦].

ومهما يكن فحب الخير للناس جميعاً هو واجب كل إنسان، كما هو واجب كل من دان بالإيمان لله جل وعز، ولعل هذه الطوية الإسلامية الأصيلة هي التي دفعتني أن أفكر في الطريقة التي تكشف وحدة العقيدة في الأديان السماوية التي نص عليها القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، ومحال أن ينص الله سبحانه وتعالى على أمر ولم يكن واقعاً يقيناً، لذلك أصبحت قاعدتي إذا رغب راغب في كشف حقيقة من حقائق الدين أن أذكر له أولاً، أن هناك حقاً فوق ما نعتقده. . . حقاً يجمعنا معاً أحباباً وأخوةً متسامحين وإنسانيين شرفاء. . . ألا وهو فهم وحدة الرحم الإنساني الذي يوجب التعارف والتسامح والرضا بواقع المعرفة (وكذلك الوحدة الدينية التي تجمع بين حقائق نفوس البشر) الذي هو الحق المشترك بينهم كافة، وهو الذي يجب تأييده والانضواء إليه والتواصي به والصبر عليه والذود عنه.

ومن أجل هذا كله فكرت أن أضع علماً للدراسة العلمية الصحيحة حول الأديان التي توصل الدارس إلى واقع المعرفة فيما يدين به من دين، وليلمس بنفسه أن ما يراه من تناقضٍ فيه ما هو إلا من عمل الإنسان وانحرافه وشهواته وتحامله وسطحيته وجهله وأوهامه، أو سوء نيته وعدم إخلاصه لواقع العلم.

وهذا العلم وظيفته الأساسية إزاحة ما تراكم حول نصوص وحي الله من

تحريف وتأويل مريب وزيادة ونقصان، أي وظيفته تصفية جوهر الوحي مما دخل عليه، وإخراجه للناس كما أنزل في خاتم الكتب السماوية صافياً، صافياً وفي حقائق العلم اليقيني، بيّناً واضحاً.

وهذا الكتاب في مقصده كما يقول أستاذنا دعوة إلى تصفية الحقيقة من نزعات الخلف وبواعث الإلحاد وما إلى ذلك مما هب ودب، وكذلك هو دعوة إلى إفرازها وتمييزها ودراسة مخارجها ومداخلها وإلى تعيين نسبتها إلى الداعي الأول.

كما أنه توجيه مخلص إلى أصحاب الأديان كافة أن يكبروا الدراسة الحرة للأديان ويعتمدوا في تحريرها وتصفيتها مما دخل عليها من زيف واختلاط حتى ضاعت المصادر الأصلية الأولية وبقي هذا الزيف والاختلاط أو تلاشت في ركام اللواهيت والتفاسير التي تذاع في الأوساط الدينية وفق بواعث دنيوية، وهذا لا يفيد أحداً في شيء، لأن يقين العلم ويقين الوحي هو مناط أمل كل مفكرٍ وعالم ودارس ومتدين.

ويرى أستاذنا في مؤلفه هذا أنه لو نهض علماء الأديان الصادقون المنصفون وأصلحوا ما دس في الأديان كافة من تحريف ممن سبق لانكشفت لهم الوحدة الدينية ساطعة لا غموض فيها ولا إبهام وفق ما أنزله الله جل وعز في يقين وحيه العلمي المثبت بالبينات والبراهين القطعية المتواترة.

والذي دفع أستاذنا بحماسة إلى وضع هذا العلم وقواعده وأبوابه وفصوله، هو ما وجده في بعض المؤلفات المنسوبة إلى الأديان والعقائد، ومن سوء التفكير في كنه وحي الله ومن التنكر الزائغ عن التقيد في الدرس بأصول العلم، وعن الخلاف الزائف المتعمد لنيل حطام زائل أو منصب براق.

جزى الله أستاذنا عن مجهوده المخلص خير الجزاء ووفقه لخدمة الإسلام والمسلمين إلى الناس أجمعين.

والذي حمس المؤلف في المسارعة في إنجازه بعد طول العهد الذي مر على هذا المؤلف الذي طبع الطبعة الأولى للطلاب في الكلية الشرعية عام ١٣٦٦ هـ، هو أن سعادة الدكتور محمد بن خليل بن عبد المحسن بن أحمد أسعد، لما اطلع على هذه الطبعة الثانية أعجب بها وطلب التوسعة وطبعها طبعة جديدة تليق بجلال

الموضوع وعالميته واتصاله بكل الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وهذا ليس بالقليل.

ومن أجل ذلك نشكر للدكتور هذا الحماس الذي أبداه وهو ليس بعجيب فآل أسعد لهم ذكرى خالدة في طيبة المباركة وهم منذ أقدم الأزمان يمارسون الطب ويمارسون العلم والأدب، ومن رجع إلى تأريخهم في مصادره يجد هذا الحديث مستفيضاً.

وناهيك بجدهم القريب السيد أحمد أسعد المشهور في العالم العربي والإسلامي بفتاويه الأسعدية وعلمه الكبير وخدمته للإسلام والعرب.

وفق الله الجميع لما فيه الخير للدعوة الإسلامية والفهم الحقيقي لوحي الله المنزل في خاتم الكتب السماوية ولمكانته السامية بين الأديان جميعاً.

وحسبنا أن نختم هذه المقدمة بقول الله تعالى . . .

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].
وصدق القائل:

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء

مقدمة

حول مكانة الكتاب

حياتنا الدنيا ألوان وألوان وفي كل حضارةٍ يبدو بعض ألوانها ويختفي البعض. وألوانها مفرغة في دائرة متكاملة كحلقة الطيف ولكن لا يظهر للنظارة من الشرق والغرب إلا نصف الدائرة ومن أجل ذلك أسماه العرب قوس قزحٍ لأن القوس نصف الدائرة.

ولا تظهر كل الدائرة على حقيقتها إلا لمن انطلق من جاذبية التراب ونظر إليها وهو بعيد عن حجاب الشطرين حينئذ يشاهدها على حقيقتها دائرة متكاملة بألوانها.

وهنا الهول لأن الناظر إليها وهي في دائرتها الكاملة إما أن تكون عينه زرقاء أو سوداء أو صفراء وعليها نظارة من لونها فهو محال أن يراها في غير اللون الذي تحمله نظارته ولذلك تجد الشيء الواحد ذا الحقيقة الواحدة تكثر حوله الأقاويل ويختلف فيه النظار ولو نظروا إليه بعيونهم المجردة لما كان ثمة من خلاف أبداً. . . !!

وكم وكم هم الذين ينظرون إلى الحقائق من وراء نظّاراتهم لذلك تبدو الحقيقة الواحدة ذات ألوان: والقلائل الذين ينظرون إلى الحقائق بعيونهم المجردة وهؤلاء القلائل هم أئمة الهدى والدعاة إلى الإنسانية الصالحة والمودة البريئة وحينئذ لا قديم ولا جديد ولكن الحقيقة هي الحقيقة.

فكم من تصوروا القديم جديداً وكم من تصوروا الجديد قديماً لجهلهم

بالحقيقة والحقيقة هي زينة حياتهم ومتعتهم بجمالها على علاتها وهي الجديدة بالنسبة إليهم لأن الحياة كلما جدت في بشر جدت معهم لهفاتها وتبعاتها والجديد من ألوان الحياة تبدو فيهم حقيقةً من حيث ينتهي القديم.

وألوان الحياة الإنسانية يتداولها الليل والنهار والبداية والنهاية غارقتان في لجج معارف الوجود ولا يعلمها بدايةً ونهايةً وحركةً وسكوناً ذرةً ذرةً وطاقةً طاقةً إلا الذي كوّنها تكويناً هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء وله الخلق والأمر.. وأي لونٍ من ألوان الحياة ظهر كان مما هو مقرر ظهوره في دائرة التكوين، والشرق لا يرى إلا شطر الدائرة الأولى والغرب لا يرى إلا شطرها الثاني ولو أنهما نظرا معاً بعين العلم المجردة وسمو الإنسانية العالية إلى الدائرة من وراء الجاذبية لأبصرا الحقيقة الواحدة الجامعة ولما اختلفا ولما افترقاً ولما ارتابا أحدهما من الآخر في شيء.

ومن أجل ذلك لن يجمع الإنسانية ويوحد كلمتها ويهذبها في نفسها إلا وحي الله لأنه يجيء من وراء الحجب وحقيقة الدائرة بينة فيه بكاملها. اسمع ما يقوله الله في وحيه..

﴿وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ آللّهُ إلاّ وَحْياً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

الكتــاب

إذن فلون الحياة الثابت الزاهي على امتداد الأبد في جمال الواقع الناطق هو الكتاب، والكتاب يظل حياةً عاليةً حيةً زاهيةً رفافةً في واجهة الأبد إلا أن أشرق إشراقات العلم إلا أن أفتن مفاتن الحياة إلا أن أخلد خوالد البيان هو الكتاب والكتاب لا سواه وكل ألوان الحضارة تمحى وتزول وتصبح أطيافاً وأحلاماً وذكريات إلا لوناً واحداً لا يمحى ولا يحول ولا يزول وليس في طاقة البشر أن يمحوه أو يحيلوه أو يزيلوه ذلك اللون هو الكتاب...

ولولا أن الكتاب عظيم وعظيم جداً لما أسمى الله وحيه المنزل كتاباً..

﴿ونـزلْنـا عَلَيْـكَ الكِتـابَ تِبْيــاناً لِكُــلِّ شَيءٍ وهُـدًى وَرَحْمــةً وبُشْـرى لِلمُسْلِمينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وسقط الإغريق القدماء في خبر كان. سقطوا هم وزينة مدنهم وعزة سلطانهم وزخارف دنياهم ولكن شيئاً واحداً لم يسقط ولن يسقط أبداً هو الكتاب فالكتاب كل شيء في الحياة بل هو الحياة بل بلغ الأمر حتى في جاهلية العرب فإنهم أكبروا الكتاب أيما إكبار حتى دوّنوا المعلقات السبع وعلقوها في جوف الكعبة في طرفة الذهب.

ونحن الآن في تعاون هذه النهضة الاجتماعية العربية السعودية التي أقام عمادها الملك عبد العزيز آل سعود نشاهد قادتها وفروا كل المعونة المادية ليكون الكتاب هو ركنها الركين على كل عهود تاريخ الكتاب العربي حتى أصبحت المطابع الكبرى تعد له العدد والمكاتب الكبرى تشيد وشركات إعداد الكتاب أو توزيعه تنظم كل مدن المملكة.

ونستطيع أن نقول ما هي إلا بضعة أعوام حتى تكون المكتبة السعودة الحديثة أضخم مكتبة عرفتها الدول الإسلامية والدول العربية في تاريخها الطويل.

أجل إن الكتاب الحديث في هذه النهضة عملاق: قممها وأزفع منائر عمارها. وما دام الغذاء الجيد هو هدف الدارسين والدارسات والمطالعين والمطالعات فليس من الضروري الحملات التي تعاود في الصحف كرة وكرة حول إفراد الكتاب العبقري الخالد بالطبع دون سواه لأن كل إنسان يتناول غذاءه الصالح له.

أجل ليس من الضروري تلكم الحملات المتتابعة الشاعلة سواء في نوادي الأدب أو في الصحافة أو في مجالس السمر حول الكتب التافهة التي تضر الألسنة والأفكار والسلوك والأخلاق والعقيدة.

وكلنا نعلم أن الإنسان المثقف كلما نضج عقله وسمت ثقافته وصحت نفسه واشتدت عزيمته يدع الحسن ويطلب الأحسن ثم يدع الأحسن ويطلب المثل الأعلى لأن الإنسان الذي يملك عقلاً وقلباً ذكياً وعزيمةً وقادةً يظل يطمح ويطمح إلى أمجاد الخلود وكشف حقائق الوجود ويأبى أن يحيا كالسائمة يأكل ويشرب ويثافن.

وإذا كان الطموح أساساً في فطرة الإنسان العادي فما بالك بالإنسان الحضاري المثقف الطموح.

والإنسان كما يطلب الغذاء الصحي الجيد الحسن المناسب لجسده في نمائه وسلامته. كذلك يطلب الغذاء الصحي الجيد الحسن الذي تسمو به ثقافته وتسلم من العطب والانحطاط وأوبئة الثقافة وبلاياها أدهى وأمر من أوبئة الأطعمة.

هب أن ألف طبيب وطبيب طلبوا إليك أن تتناول طعاماً موبوءاً كريهاً فإنك حتماً ترفضه وكذلك لو أن ألف باحثٍ وباحثٍ أخذوا يمجدون لك شعر الوأواء الدمشقي ويفضلونه على شعر المتنبي.

ثم جاء أديب وألف بعض مختارات من شعر الوأواء وجاء آخر وألف بعض مختارات المتنبي فبالله عليك أي المؤلفين يقبل عليه المثقفون دراسةً واستظهاراً واقتناء؟ أي المؤلفين يعرض عنه المثقفون؟ إذن فخصومات نقد المؤلفات التي تطالعنا بها الصحف كل يوم لا لزوم لها بالنسبة للمثقفين. إذن فخصومات النقد اللاذع التي تنشر حول المؤلفات التافهة في صحف العالم لا لزوم لها. لأنها لن تقدم مؤلفاً يستحق التأخير ولن تؤخر مؤلفاً يستحق التقدم.

فنفس المؤلف هو الذي يقدم ذاته إن كان عبقرياً نافعاً ويؤخر نفسه إن كان منحطاً تافهاً فكم هم السخفاء الذين حاولوا الحط من شعر أحمد المتنبي وتفضيل أبي فراس عليه.

فكان الأدباء يسخرون منهم ويرونهم ممرورين يؤثرونهم بالشفقة عليهم ويطلبون لهم الشفاء لأن إيثار الأدنى على الأعلى ليس غريباً أن يكون في بعض النفوس. فهؤلاء الإسرائيليون عافوا المن والسلوى وطلبوا الذي هو أدنى من العدس والبصل والثوم فنزل فيهم قول الله تعالى.

﴿... أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

لا تعجب إذا رأيت من يفضل الروايات الخليعة التافهة على الروايات العبقرية كرواية مجدولين، والفضيلة، ورفائيل، وآلام فرتر، وسيد قريش، وزينب، وأهل الكهف، وتس.

ومهما يكن فاتباع الأحسن والأجود والأخذ به وتأييده والانضواء إليه والهيام به هو الحياة الحقيقية والفوز والنجاح. واتل خاشعاً مستقيداً:

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ قبلِ أَنْ يأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرون﴾ [الزمر: ٥٥].

نواويس المتاحف

كل آثار الأمم البائدة والأجيال الغابرة تدخل في نواويس المتاحف: السلاح والثياب والمجوهرات والتحف والطرف إلا الكتاب فإنه يظل حياً ناطقاً صارخاً في المكاتب الكبرى العامة والخاصة وتجد العلماء وطلاب المعرفة والباحثين المحققين يهتمون بالكتاب وهم من أجل ذلك يترددون على المكاتب العامة والخاصة. على أن العالم المحقق والأديب البحاثة والشاعر الفذ العبقري لا يستغني عن مكتبةٍ خاصةٍ للمراجعة. . .

وهكذا تجد سوق الكتاب في كل الأزمان وفي كل الأعصار، والإقبال عليه متزايداً لأن الإنسان لا يستغني بتاتاً عن غذاء فكره ما دام إنساناً حياً حساساً له عقل وعلم، وكتاب معجزات قلب القرآن هذا هو من الغذاء الجيد العلمي، ولولا أنه كذلك لما ترادف طلبه من هنا ومن هنا. وإني أسأل الله أن يديم به النفع.

القسم الأول

مدخل لعلم دراسة الأديان

الأديان السماوية
فيض من سعة رحمة الله وشمولها

حرام أن يتخيل ملحد أن الأديان السماوية هي من وضع البشر، وهي التي جعلت البشر أوزاعاً يتحاقدون ويتقاتلون ويتصارعون ويتآمـر بعضهم ضد بعض كأنهم قطعان من وحوش الغاب، وليسوا أبناء الإنسان الأول آدم عليه السلام.

أجل حرام أن يتخيل ذلك ملحد حقود، أو منافق ختال، أو عنصري متآمر، ولماذا يتآمر ويضمر السوء، والأديان السماوية الموحاة من رب العالمين، رحمة وهدًى للناس أجمعين؟

ألا ترى لولا وحي الله المنزل في الأديان السماوية لما عرف البشر أنهم خلق من خلق الله، وأن الله خالق كل شيء وأنه علام الغيوب له العلم الشامل والإرادة التامة والقدرة المهيمنة ذات الخلق والإبداع والسلطان العظيم. . .

ألا ترى الأجيال التي مرت بها الحياة وهي تحت ظلال وحي الله المنزل سواها وهي تحت عرش فرعون ونمرود ونيرون وجنكيز خان وهولاكو وأمثالهم، وهم غارقون في سفك الدماء وتخريب العمران والإطاحة بالأفراد والجماعات، وسبب كل ذلك مهالك مبادئهم العنصرية الضيقة البعيدة عن سعة رحمة الله. . . وستان بين سقيا رحمة الله الصافية وحماة الغدران وأقذارها ووحولها. . .

ألا ترى أن أكثر الدعاة الذين يرصدون الشباب وهم في غفلتهم عن مآثم المبادىء الهدامة الحقودة التي تجعلهم يسفك بعضهم دم بعض، أمام الأسماع

والأبصار بدون اكتراث، وهم يحسبون أنهم مثقفون ومتحضرون . . .

يا عجباً كل العجب، كيف عزب عن أفكار هؤلاء الشباب المتصارعين هنا وهنا، أنهم ما أجابوا صريخ هذا الصراع الوحشي المهدم لذات بينهم إلا بما لقنوه من المبادىء السخيفة الوحشية المتخلفة في غفلة وعي الفكر والعلم وأشربوها بسقيا مخدرات إثارة العاطفة وإغرائها بمباذل الحياة الراغدة البعيدة عن شرف الإنسانية وسدادها الراشد.

والمبررات كل المبررات هو التعجيل المزيف بإثراء متعة غريزتي الجنس والتملك لكي لا يحس أنه يساق إلى المسلخ وهو لا يدري . . .

وإنه ليبدو لك في خفايا دهاء العنصريين السخفاء الذين لم يتطوروا لأجل الاهتمام والأخذ في الدعوة السلمية إلى سعة رحمة، بل ضيقوها وضيقوها بكل إمكانياتهم وذلك هو الإيمان في زعمهم، أو أن رحـمة الله أمنع من أن تضيق، هل في وسعهم أن يضيقوا رحب الفضاء المترامي ولو تمزقوا إرباً إرباً من الحقد والكراهية؟ وهكذا رحمة الله تظل واسعةً واسعةً رغم معاناة التضيـيق . . .

نعم، رحمة الله تضيق بها أنفسهم، ومن أجل ذلك هم كاذبون في دعوتهم الضائقة بسعة رحمة الله، ومحال أن يكونوا صادقين، بل هم كاذبون . . . وكاذبون سيان . . .

١ ـ في يقين وحي الله القطعي.
٢ ـ أو في يقين العلم القطعي.

فآيات خاتم الوحي الإلّهي تنادي بسعة رحمة الله . . . أتـلُ هذه الآيات تَعِ ذلك . . .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ . ٱلحَمْدُ لِلَّهِ رَبِ العَالَمِينَ. ٱلرَّحْمَـنِ ٱلرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمُ. صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْـهِمْ غَيْرِ ٱلمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِينَ﴾ آمين [الفاتحة].

﴿قَـالَ رَبِّ اغْـفِـرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَـا فِـي رَحْـمَـتِـكَ وَأَنْـتَ أَرْحَـمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٢، ٢٣].

وكذلك تلمس سعة رحمة الله في يقين العلم، فالله خلق خيرات السماوات والأرض لهذا الإنسان...

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وعلماء الحضارة حين يصنعون شيئاً فيه حياة للناس كالأدوية والعقاقير والآلات وكل ما تقدمه الحضارة من تلافز وطائرات وسيارات هو للناس جميعاً، والسبب أن الأصل هو سعة رحمة الله وشمولها للناس جميعاً، ولا يضيّقها إلا المبطلون. حتى الكفار تنالهم سعة رحمة الله في الدنيا.

رغم أن دعاة التضييق هم دعاة عبادة النار المجوس، إذ يطلبون إلى الناس عبادة النار فإذا أنت أبيت عبادتها اعتبروك كافراً وتنادوا... وليست النار بمحتاجة إلى قليل الدين كافر، فهم يجعلون النار مدركة وتعلم من يعبدها ممن يأبى عبادتها.

وهكذا كل فريق من هؤلاء الذين تناءوا عن رحمة الله في عبادته هو وحده ورضوا بالضيق في عبادة سواه، وسواه لا يضر ولا ينفع، والمصيبة أنهم يجحدون أن رحمة الله تسع الجميع، ولكن مرض نفوسهم جعلهم يجحدون سعة رحمة الله ويضيقونها في أوجه الناس.

وهذا ديدن عباد ذوات الأكوان منذ أبعد الأزمان، وقد سرت عدواه حتى نفذ إلى الأديان السماوية...

فاليهود يرون النصارى ليسوا على شيء من يقين الوحي زاعمين أنهم آمنوا بمسيح مزيف لا صلة له برسالة الله بتاتاً، وأن المسيح الحقيقي المرسل من قبل الله لما يأتِ...

والنصارى يرون أن اليهود كذبوا مجيء سيدنا المسيح وزعموا أن الآيات التي جاء بها سيدنا المسيح من أحياء الموتى وشفاء المرضى ما هي إلا افتراء وكذب وسحر، زد على ذلك قذفهم السيدة الطاهرة البتول مريم ابنة عمران بالفاحشة.

ومن أجل ذلك النصارى لا يرون اليهود على شيء كما أن اليهود لا يرون النصارى على شيءٍ، وهذا منصوص عليه في يقين الوحي الإلّهي، لأنه هو الواقع المنصوص عليه في مؤلفاتهم عد إليها... ثم اتل قوله تعالى خاشعاً مدركاً أن الله هو علام الغيوب...

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارى عَلى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الذينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وهكذا ضيق اليهود سعة رحمة الله أن تصيب سواهم وضيق النصارى مثل ذلك، وكل فريق تصور أنهم وحدهم أحباب الله مع نسبة الشريك والولد إلى الله وأن الله روح أزلية قديمة، فرد الله جل وعز عليهم زعمهم وعرّفهم حقيقة أنفسهم أنهم بشر كسائر البشر الذين خلقهم وكيف يزعم من يزعم ويعين كنه الله، أنه روح، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لذلك من المحال نسبة الولد إلى الله تعالى...

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصارَىٰ نَحْنُ أَبْناءُ ٱللَّهِ وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنَ يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَمَا بَيْنَهُما وإِليهِ المَصيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

ورحمة الله واسعة وليست في قدرة كل المخلوقات أن يضيقوها... ذكروا أن أعرابيًا جاء من البادية في يوم إلى مسجد رسول الله ﷺ وحصره البول فقام في ناحية في المسجد وطفق يبول فجن الصحابة لهذا المنظر الكريه وحاولوا منعه وقطع بوله،

فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك برفق وأفهمه ما يجب من الطهر للمساجد وصونها من الأقذار . . . فدهش الأعرابي لرفق رسول الله ﷺ به دونهم وطريقة إرشاده فقال في صلاته اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً، ولم يعلم أن سعة رحمة الله هي التي جعلت رسول الله ﷺ يعامله بذلك الرفق، والرفق هو من رحمة الله لأن رسول الله ﷺ مرسل رحمة للعالمين، وهكذا أرشده ثانية إلى سعة رحمة الله بقوله لقد حجرت واسعاً.

أجل رحمة الله واسعة، وأي سعة أعظم وأجلّ منها، ولا يجوز تحجيرها وتضييقها وحسبنا أن نتلو قوله تعالى بخشوع وإكبار وإجلال.

﴿فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. والناس كانوا قديماً قساة إلى درجة أن جعلوا إحراق الإنسان وقتله والتنكيل به قرباناً لينال رحمة الله، فعلّمهم أن الله لا يعبد بالقسوة أبداً وكيف يعبد بالقسوة وهو الرحمن الرحيم.

ومن أجل ذلك حرم خاتم الوحي الإلٓهي وأد البنات، ووأد الحي هو منتهى القسوة، وكذلك إحراق المرأة نفسها مع زوجها في الهند قرباناً، وكذلك إلقاء فتاة في النيل لكي يفيض ولكي لا يشح، فهذه القسوة محرمة لأن الله الرحمن الرحيم حرم كل ذلك.

وسعة رحمة الله أعطت كل كائن ما أراده الله له سبحانه وتعالى. أعطىٰ نعيم الدنيا لمن أراد الدنيا، وكذلك أعطى سبحانه وتعالى نعيم الآخرة لمن أراد الآخرة. . .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً. كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً. اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ١٧ - ٢١].

وخلق عالم العذاب جهنم هو من عين رحمة الله، لأن البشر إذا تركوا يتصرفون وفق إراداتهم الحرة، فإنهم حتماً يؤذي بعضهم بعضاً ويفتك بعضهم

ببعض ليأخذ ما يستطيع أخذه لنفسه من الشهوات ولو كان في ذلك إهلاك الغير وحرمانه حتى من الحياة نفسها، وانظر في عالم حياة الإنسان البقعة التي تخلو من الردع الزاجر المخيف كيف يسطو المجرمون على سواهم ويسلبوه حياته وما يملك، غير مكترثين لحق ورحمة، وهذا مشاهد.

إذاً، فالعقوبة التي تحمل الزجر والردع من التمادي في الكفر والإصرار والأذى هي عين الرحمة بلا ريب.. والحديث هنا عن الرحمة في الدنيا..

الرحمة التي يقول رسول الله ﷺ عنها «الراحمون يرحمهم الله. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»...

الأديان والتضييق
من سعة رحمة الله جل جلاله

الأديان منها السماوية الموحاة من رب العالمين كالحنيفية واليهودية والنصرانية والإسلام ومنها الوضعية التي هي من وضع أناس صدقهم أتباعهم في أقوالهم حتى اتخذوها ألواح عبادة وترتيل، وأصول تشريع وتفريع قوانين، كالبوذية والمجوسية والبرهمية وسواها مما ذكر في كتب الملل والنحل.

وكان التضييق من سعة رحمة الله في الدنيا دأب أتباع الأديان الوضعية لدى دعوتهم، والتضييق من سعة رحمة الله داء عضال وبيل عدواه مرعبة وسريعة في الإعياء ومفضية إلىٰ قطع تعارف الرحم الإنساني.

ألا ترى كم أشعل دعاة أهل الأديان الوضعية من فتن التلاحي والتحاقد والخصومات والحروب وهم يضيِّقون من سعة رحمة الله وحرمان سواهم منها، كأن مفاتيح خزائن رحمة الله بأيديهم ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٠].

أجل حصل كل ذلك وتفاقمت العدوى حتى تسربت إلى نصوص الأديان السماوية قديماً. انظر إلى التثليث البرهمي المؤلف من آلهة ثلاثة سيفو وفشنو وبرهما، كيف تسربت عدواه إلى المسيحية فقالوا باسم الآب والابن، وروح القدس، ولولا هذه البنوة التي تجعل ذات الله روحاً تحل لما رأيت في الأديان نسبة البنين والبنات إلى الله جل وعز، وهذه النسبة هي مرض وبيل كان بكثرة في أديان

الهند الوضعية ولدى الرومان واليونان القدماء والفراعنة. وانتقل إلى اليهودية لما بالغوا في قداسة عـزرا واعتبروا أن الله جل وعز حلَّ فيه، ونص عليه التوراة بعد ضياعها، فقالوا عنه ابن الله، باعتبار أن ذات الله روح حلت فيه، وبهذا الاعتبار نفسه اعتبروا أن المسيح ابن الله.

ولم يفت إعجاز خاتم الكتب السماوية أن يصحح الوضع، ويرجع العقيدة إلى أصلها السماوي الرفيع فقـال تعـالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

فكفر أرباب الأديان الوضعية بزعمهم أن ذات الله روح أزلية تحل وتؤله وتعبد فيمن تحل فيه نعم ليست كل فرق اليهودية التي زعمت عـزرا ابن الله، ولا كل فرق المسيحيين، ولكن حديثي يتناول الذين قالوا ذلك في كتبهم التي بين أيـديهم، فليراجعوها.

وهذا الموضوع من الأسباب التي جعلت البشر يمقت بعضهم بعضاً ويعزل كل فريق رحمة الله عن الفريق الآخر كأن الأمر بيدهم.. وبالحري في دنياهم.

رحمة الله لا تضيق أبداً

أجل رحمة الله لا تضيق أبداً إلا ممن جهل سعة رحمة الله وصفاته العليا وأسمائه الحسنى وعظيم وحيه اليقيني الصحيح.

ألا إن الله هو الرحمن الرحيم، وكل أمرٍ عظيم ذي شأنٍ يجب أن يفتتح ببسم الله الرحمٰـن الرحيم، والرحـمٰن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى مشتقان من الرحمة، والرحمة إذا نسبت لمصدرها الله رب العالمين وسعت كل شيء.

﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرَوا أَنْفُسَهمْ فهمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿وَقُلْ رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

وكما أن القرآن منزل إماماً ورحمة، كذلك كتاب موسى من قبل...

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وهل أنزل الله خاتم وحيه القرآن إلا ليكشف للناس ويبين لهم الواقع القطعي في أمثال هذه الخلافات، ويفصل الحق عن الباطل والعلم عن الجهل والصدق عن الكذب، أجل يقول الله جل وعز في ذلك...

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ.وهُدًى وَرَحْمَةً لقومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

فلماذا يريدون أن يتصرفوا في رحمة الله ويخصوا بها أناساً ويمنعوها عن المؤمنين به حسب أهوائهم ومشتهياتهم، ونسوا أن رحمته شملت كل شيء، وما أقربها من المحسنين، أجل هي للمحسنين، إذ الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا لا يصح بحال إلا إذا صرفت العبادة إليه وحده دون سواه من مخلوقاته...

اتل واخشع...

... ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

واتل واخشع...

﴿بِسمِ اللَّهِ الرحمٰنِ الرحيمِ. الم. تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ. هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ١ ـ ٣].

وهل تظن أن أي كائن يوجد إلا برحمة الله ورعايته وإرادته جل وعز، لأن

وجود كل كائن يقتضي تكوين ذاته وإعطائها وسيلة الحياة وتدبير مكانها وزمانها الذي تحيا فيه سواء ثانية أو دونها أو فوقها بما يفوق الحصر من السنين.

ألا ترى، لا يتم ذلك إلا برحمة الله وإرادته وعلمه وقدرته وهيمنته، والذي يجحد هذه الحقيقة ويتجاهل أنه مخلوق كان كافراً بالله جل جلاله. وتعجب كيف يكفر بالله جل جلاله وهو مشمول في أصل وجوده وبقائه برحمة الله. ولولا رحمة الله لما كان شيئاً مذكوراً.

لذلك لا يجوز لأحد أن يضيق من سعة رحمة الله الشاملة لكل ذوات أكوان الوجود.. واتلُ لتفهم هذه الحقيقة قول الله تـعالـى:

﴿رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما الرَّحْمٰنِ لاَيَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ [النبأ: ٣٧].

لذلك تجد نصوص وحي الله التي تتحدث عن سعة رحمة الله وفيرة جدًّا في صحيح يقينه المنزل على خاتم رسله محمد ﷺ.

فإياك أن تتصور أن دعاية الإيمان القطعي تقوم على التضييق من سنة رحمة الله، وأنت تلمس مظاهرها الكريمة صارخةً في الوجود وفي حياة كل موجود أنى كان..

وأؤكد لك أنه لولا يكفر صغار الأحلام والعقول وضعاف الإيمان المهاويس لرأيت مظاهر رحمة الله على هؤلاء الكافرين، في حياة ناعمة وادعةٍ عظمى في هذه الدنيا التي آثروها على الآخرة في شأن أجل مما هم فيه، وليس هذا من علمي وإرادتي وقولي، إنما هو من علم الله وإرادته وقوله ومن قسمة رحمة ربك بين خلقه...!!

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَرَفَعْنَا بعضَهُم فوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضَاً سُخْرِيًّا ورَحْمَةُ رَبِّكَ خيرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَوَلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمٰـنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٢ - ٣٥].

والذي نفهمه من أسرار وحي الله أن رحمة الله عامة وشاملة، فمن كفر وأرادها في الدنيا فحسب منحه الله إياها فضلاً وكرماً، ومن أرادها في الآخرة خصه بها فضلاً وكرماً، ومن أرادها في الدنيا والآخرة وأعدّ لها العدة من الإحسان والإيمان والصدق والإخلاص وشريف الأعمال وكبير الذكر والتضحية في سبيل دعوة الإيمان في الأرض، فإن رحمة الله تضاعف له فضلاً وكرماً وإحساناً... وأولئك هم عباد الرحمٰن الذين وصفهم الله جل وعز في خاتم وحيه الإلٓهي بصفات تليق بمن يدعو إلى رحمة الله، بإخلاص وصدق ويتمسك بها ويسير على نهجها ويدعو لها سواه من إخوته في هذا العالم، لكي ينالوا جميعاً رحمة الله ويكونوا من عباد الرحمٰن:

﴿وَعِبَادُ الرَّحمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً. والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهِ مَتَاباً. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً. أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً. قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٧].

والخلاصة أن رحمة الله واسعة وشاملة، ولا يحرم منها إلا شقي. نعوذ بالله من ذلك.

وحي الله يرفع إنسانية الإنسان
ولا ينحط بها

إذا أردت أن تميز بين وحي الله الحق وبين وسوسة شياطين الإنس والجن، فما عليك إلا أن تنظر في ثمرته المعروضة بين يديك، فإن ألفيتها رفافةً بالهدى والخير والحكمة والسموّ والنضرة والبهجة فاعلم أنها ثمرة وحي الله الحق.

وإن أبصرتها تنزّ صديداً كريهاً من السلوك المعوج والخبث النفسي العنصري البغيض القاطع للرحم الإنساني الذي مجَّده الله جل وعز فاعلم أن ثمرته منتزعة من رؤوس شياطين الإنس والجن.

واحذر أن تصدق ما يوحيه بعض الكاتبين في بعض رواياتهم ومجلاتهم من أن ثمة انحطاطاً في تعاليم وحي الله.

أنى يكون الانحطاط ووحي الله يفيض رحمة وحناناً وبراً وإشفاقاً ومودة لجمع كلمة البشر على أصول الرحم الواحد وقدس توجيهاته...

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَٱتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

وانظر إلى توجيه اختلافهم في قبائلهم وشعوبهم، كيف يكشف لهم الناحية السامية التي تليق بكرامة الإنسانية، وهي التعارف والتزام التقوى في المعاملة وجعلها وحدها محلاً للتغاضد بين العباد كافة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وحسبك عظمة في التوجيه الإنساني العالي الذي وجه به رسول الله ﷺ البشرية كافة في آخر خطبة خطبها يوم الحج الأكبر التي يقول فيها:

«يا أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

ويقول الكاتب المفكر عبد الوهاب عزام تعليقاً على كلمة رسول الله ﷺ (كلكم لآدم وآدم من تراب):

تلك هي الكلمة الخالدة التي كانت دستور الحكم فيما فتح العرب من الأرض، فجعلت الفتح العربي بعيداً عن رفعة قوم على قوم، أو جنس على جنس، فلم تصبه ما أصابت غيره من الفتوحات، وبقيت آثاره خالدة في الشرق والغرب.

وقوام هذه الروح قد فطنت لها الحضارة الحديثة في هيئة الأمم وتنادوا بها، ونهض أهلها والعالم بأسره في هذا العصر يتنادون بالتعايش السلمي ووحدة الكلمة، وليس ببعيد أن تقيم الدول الكبرى والصغرى كافة برلماناً واحداً للنظر في الشؤون الدولية كافة، وفق ما أنزله الله جل وعز في خاتم كتبه السماوية من التعارف والتآلف.

أنى يكون الانحطاط وخاتم الوحي الآلهي يُحرِّم التناجي بالمؤامرات ضد الأمم بعضها ضد بعض للإفساد وقطع الأوصال وإثارة النعرات والفتن والأحقاد والمخاوف، وذلك ماثل في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَٱتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

والذي يفهمه الدارس لهذه النصوص الإصلاحية الإنسانية المنزلة على خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، لكي يصلح بها أحوال البشر في مؤامراتهم ودسائسهم وإلحادهم وخصوماتهم، يجد نفسه أمام إصلاح إنساني سلمي كبير وهو روح ورحمة وخير وهدى من الله جل وعز للبشر كافة.

ويشهد الله أنه لو كف الذين يعقدون المناجاة السرية فيما بينهم من هدم العمران وتقويض أركان السلام وهدم المودة والتعارف وتبادل المنافع بين الناس بالثقة والأمن والأمان والسلام... لكان سبق حدوثه منذ أقدم الأزمان كل الذي نشاهده في هذا العصر الحضاري من التغييرات العامة بين كافة الدول الكبرى والصغرى.

وقادة الدول كافة يعملون بصدق وإخلاص لأجل السلام... أجل، لكان سبق حدوثه منذ أقدم الأزمان لأنه منزل في خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد...

إذاً فلن تجد في خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد، دعوة إلى الانحطاط والإلحاد والإشراك والتنابذ أبداً... إن هو إلا دس وافتراء على خاتم وحي الله، وجرأة على طمس حقائق العلم.

والحمد لله نحن في عصر نفضت الإنسانية كل مواريث الغاب من مجموعاتها النفسية وتخلت عنها وطرحتها تحت أقدامها، وتوجهت تنظر إلى المستقبل بكل ما فيه من تطلعات وطموحات جديدة بكر.

أجل كل ذلك ظاهر في أعمال القادة، وفي مجالات المجتمعات وفي أعمال الشبيبة الطامحة في الحياة الخالدة السلمية الأبدية... وكل ذلك آت... وكل آت قريب...

أسس العلم القطعي
التي يميز بها صحيح وحي الله من سواه

إن حقيقة يقين العلم بالشيء، سوى قصورات الظن والوهم والوضع والزيادة والنقصان والأسطورة.

ألا ترى الصعود الحضاري المطرد في الأشياء يثمر تحرير يقين العلم، ويقدم إليك نعمة الحياة ورفاهها، وهذا الإثمار حق، فالمختبرات العلمية والمراصد الفلكية والجامعات ومعاهد الثقافة المدنية والمحطات الفضائية، وأنواع مكوكاتها الموائمة للهبوط في الكواكب، كل ذلك منوط بتحرير يقين العلم في الأشياء وكشوفاته.

ونحن الآن في عهد كل إنسان ينشد يقين العلم في كل شيء سواء مما يعرض عليه أو مما هو طالبه، أو مما يتنادون به في دعاياتهم.

نعم كان وما يزال هذا شأن الإنسان المفكر الواعي في كل عصر وعصر.. فما بالك بإنسان حضارة هذا العصر الحديث، الذي اخترقت عرباته الفضائية آفاق القمر والمريخ، والزهرة وسواها.

هل تريده أن يأخذ قضية الإيمان بحقيقة وحي الله الذي يدعى إليه بالتقليد والتلقين والتوريث والإيحاء والسطوة والسلطان...

قد يكون هذا ممكناً في سكان الغابات والأدغال والكهوف، لا في سكنى المدن الحضارية الكبرى في العالم.

وما دام هذا الأمر هو الظاهر الملموس، إذ نشاهد البرهان العلمي القطعي مطلوباً في المحاكم والمعاهد وفي مختبرات البحوث وفي المحاضرات التي تلقى على الجماهير في كل الدنيا.

وهذا المطلوب المرتكز على دعائم علوم الحضارة هو الأجدر والأولى والأحق أن تلتزمه ناشئة الأمم المثقفون في معتقداتهم ومذاهبهم ومناهجهم، بل وبكل ما يدينون به، حتى لا يختلط عليهم الأمر فيأخذوا بالجهل باسم العلم وبالإعداد باسم وحي الله، وحتى يستطيعوا أن يعزلوا يقين وحي الله المنزل عن الظنون والأوهام والترهات والأساطير، وهذا عين العلم والسلام العام، بل هذا هو علم العلم وسلام السلام من الإبادة العامة، لأن شر الشر وإفك الإفك وبلاء البلاء، هو في عَمْد انحراف مجموعات أنفس ناشئة الأمم المثقفين باسم يقين واقع العلم عن أضواء وحي الله القطعي ونداءاته لسلام السلام والحياة الماجدة، نداءاته للنجاة من المهالك القاضية، والأحقاد الممزقة: أجل... اسمعوا، اسمعوا نداءات الإيمان الحق إذ يقول: احذروا الأحقاد العنصرية الوحشية ذات الأهوال الفاجعة المدمرة، واحذروا الإعراض عن الإيمان والاستهانة به والسخرية.

ألا تعلمون أنه يحمل لكم وحدة رحمكم الجامع، ودعوته الإنسانية السلمية ويأمركم بالبر به، وينهاكم عن عقوقه والتنكر له، وعن تمزيقكم لأنفسكم بأحقاد المؤامرات وتسخير المرتزقة الملاحدة لتنفيذها في كل مكان: للهدم لا للبناء ولإراقة الدماء لا لسلامتها وللتشويش على التقدم الصناعي لدى كل أمة، والأمم الإنسانية كافة في هذا العصر الحضاري الحديث الذي بلغت عدده الحربية الفتاكة مبلغاً أرعبت حتى من يُملكونها وزلزلتهم وأزاحتهم عن تقاليدهم. ولو كانوا يملكون الثقة أن يأمن بعضهم بعضاً، ويكفوا عن الحذر من الانقضاض المفاجىء لأبادهم جميعاً بما يحمل من العدد، وأقاموا بينهم مجلس السلام العام.

أجل إن الأمم الإنسانية كافة في هذا العصر مفتقرة إلى دعم دعوة السلام بثقة بتضحية بصدق وببذل وبسهر وبمتابعة.

وهذا كله مضمون في يقين العلم الذي أوحاه الله في خاتم كتبه السماوية..

وربما هنا أو هناك من يطرح مثل هذا السؤال:

إن لدى كل أمة أدياناً ونحلاً ومذاهب وفلسفات وصوفيات وكتباً مقدسة

ومناسك ومعابد.. وكل دين يحمل للدين الآخر الكراهية والحقد والتنافر، اللهم إلا أديان الوحي الإلٓهي الإنساني الجامع.

فكيف يمكن أن ينكشف لعلماء البشر في هذا العهد الحضاري الحر حقائق الأديان السماوية الإنسانية، وحقائق الأديان الوضعية..؟؟

أجل كيف.. كيف.. وكل فريق ينسب ما ورثه عن آبائه هو الدين الحق الذي هو عين يقين العلم.

ما دام الأمر كذلك وهو حاصل ومشاهد، فماذا يكون الحال ومجرى الجواب قل: لولا الخوف من هلاك البشرية كافة بالحرب الثالثة لما فكر المفكرون في الدعوة السلمية العامة، والتعايش السلمي العام.

والحقيقة أن التعايش السلمي الصادق الأكيد الذي ينبعث من صميم نيات القلوب وطمأنينات النفوس لا يحصل إلا إذا عرف دارسو البشر الوسائل العلمية التي بها يميزون بين كلام الله الذي أنزله على رسل الله والتي تليق نسبتها إلى جلاله بسمو موضوعاتها ومقاصدها الفذة، وتمييزها عن كلام البشر المنبعث من صميم مجموعاتهم النفسية المشتملة على الغرائز والعواطف والعقل والوجدان والضمير والشعور والعادة وسواها مما هو مذكور في علم النفس.

إجابة المسألة بسيطة جداً جداً..

معلوم أن الكلام صفة المتكلم، فإن كان المتكلم مكون الأكوان الأزلي رب العالمين ذا العزة والجلال والإكرام الواحد الأحد الفرد الصمد خالق الخلق أجمعين وراحمهم ومدبر أرزاقهم ومقدر أعمالهم وأعمارهم.

فإن المتكلم حينئذ رب الوجود الحق سبحانه وتعالى، فلا بد أن يكون كلامه حقاً ورحمة وبراً وإحساناً وعلماً وتوجيهاً وإنسانية واستقامة وصدقاً وعدلاً ومصلحة أكيدة لسعادة حياة الإنسان في العالميْن، عالم الدنيا وعالم الآخرة.

فإن وجدنا في الوحي المنسوب إليه ما يناقض صفاته الأزلية العليا أو صفات رسله الكرام الذين اختارهم لرسالته من أجل هداية البشر، أو يناقض صفات وحيه المنزل لإسعاد البشر كافة، ذلك لمن أخذ به بعزم وانتمى إليه بصدق وسلم الأمر إليه ولجأ إلى حكمته وتوجيهه لسعادة الدارين، خذ مثلاً مسألة الرسل فإن الله ـ جل

وعز ـ خلقهم في أحسن تقويم، خَلقاً وخُلقاً وسلامة أنفس وصفاء سريرة وصدق لسان وسمو استقامة وكبير بر وإحسان وعفو وعلم، وهم لا يغضبون لأنفسهم ولكنهم يغضبون لربهم، فإنا نعلم بكل تأكيد أن ثمة تحريف في الوحي المنزل.

وانظر كذلك إلى وحي الله ـ عز وجل ـ فإذا وجدت فيه ما ينافي صفات الكمال الخاصة برب العالمين أو صفات الكمال الخاصة بوحيه وكتبه، أو صفات الكمال الخاصة برسله أو توجيه الكمال لخلقه إلى ما يسعدهم في العالمين.

فاعلم أن ذلك مدسوس حتماً، وكذلك كان من ألزم اللازم وأحق الحق أن يطالع المثقفون علم دراسة الأديان، فإنه يكشف لهم الحقائق الخاصة بالله والحقائق الخاصة بوحيه والحقائق الخاصة برسله والحقائق الخاصة بالآخرة، وعالمي الثواب والعقاب وتقدير التبعة والمسؤولية.

مراجع عقائد البشر

تجد كل إنسان يحيا على وجه الأرض لا يخلو من عقيدةٍ ما يدين بها وينطوي عليها ويسعد بها أو يشقى كالسودرة، وتناجيه بأطيافها وأمانيها وأغاريدها ويناجيها بأمانيه وأحلامه وأغاريده أجل كل إنسان لا يخلو من عقيدة مـا سـواء:

١ ـ أكان ممن استوى على قمة العلم والفكر والبحث والتنقيب والوعي، من أي مكانٍ كان من العالمين.

٢ ـ أو كان ممن لا يزالون نُوَّماً في مهاوي الجهل والبدائية والسذاجة، أي كان من الأسفلين.

٣ ـ أو كان ممن هم في إحدى مراتب الوسط بين بين. !!

ومهما يكن فالعقائد أحلام وآمال ومصالح ومنافع ومواريث وطقوس وألغاز ومصادر وموارد وترغيب وترهيب. . . وسـائرهـا متداول بين الأفـراد والجماعـات ببواعثها وتوجيهاتها في كل جيل من الأجيال.

هكذا وللعقائد في منافعها ومضارها وخيرها وشرها وحسنها وقبحها أمثال من الأشجار. . .

١ ـ فهذه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء خضراء فينانة طيبة الثمار تأتي أُكلها كل حين بإذن ربها.

٢ ـ وتلك شجرة خبيثة كشجرة العوسج مُرّة الطعم كبيرة الأذى أشواكها دامية

وثمارها ذات شعب ثلاث تأتي على الإنسان والحيوان والنبات.

وكما أن الأشجار لها نوى وأصول يعود إليها نموها وانتشارها وتمكنها هنا وهناك وقد تقلع ويحل محلها ما هو خير منها وأكمل مما يدوم بين البشر ويمكث في الأرض، كذلك عقائد البشر كثرتها وكثرة ثمراتها الطيبة والخبيثة، لها أصولها المعروفة الموروثة التي تعود إليها. والأصول التي ترجع إليها كل العقائد خمسة فقط...

١ ـ الحنيفية.

٢ ـ الشرك.

٣ ـ الوثنية.

٤ ـ المستهينون بكل عقائد البشر والمعرضون عنها وهؤلاء ليسوا بالملحدين ولا بالمؤمنين وهم أشبه شيء بالمنافقين ولكن لا يضرون.

٥ ـ الإلحاد.

هذه هي أصول العقائد الخمسة، وإني أجملها هنا ما استطعت، ليتبين كل إنسان حقيقة ما يدين به إن كان علماً أو جهلاً خيراً أو شراً، إنسانياً أو عنصرياً، سلماً أو حرباً، أي ليعلم حقيقة العقيدة التي ولد في رحابها وانطبع بطابعها، وهيمنت على مجموعته النفسية بسلطان من ميراث الأبوين وتقاليدهما وبيئتهما الخاصة، وبالتزام تقليدي عنيف وإليك هي:

١ ـ الحنيفية

وهي عقيدة الإيمان الصحيح المنزل من رب العالمين على الأنبياء كافة واشتهر سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام بها لأنه كان شديد الذود عنها والدفاع بالمناظرة من أجلها والحجاج، وقد تعرض للأخطار بسببها ولكن الله سلمه في كل مواقفه ونصره الله نصراً عزيزاً. وإليك جملة من الآيات التي تكشف عقيدة الحنيفية والدفاع عنها، وحسن التأتي بالحجج والبراهين القطعية الصحيحة المشاهدة للدعوة لها...

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ والأرْض وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِين. **فَلَمَّا** جنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هذَا رَبِّي فَلَمَّا أفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ. **فَلَمَّا رَأى**

الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَىٰ ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكبرُ فلمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكونَ﴾ [الأنعام: ٧٥ ـ ٧٨].

هذه هي ملة إبراهيم التي أمر الله باتباعها والتي استقامت دعوة الأنبياء كافة عليها ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهيمِ حنيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وحسبك أن تفهم التوجه الصحيح الذي كان يتوجه به إبراهيم الخليل في صلاته وعبادته لله، وقد أوصى بذلك أبناءه فصدقوا في الأخذ به والاتباع له. . .

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمٰوَاتِ والأَرضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. وختاماً أتل هذه الآية:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً واتَّخَذَ اللَّهُ إِبراهيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

وهذا خاتم الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ، الذي التزم كل تعاليم الحنيفية السمحة التي جاء بها جده الأعلى سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ يقول لرجل سأله وكان ﷺ بارزاً للناس في ذلك اليوم، فقال له: ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال ما الإسلام: قال أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهذا الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنهما، وهذه خلاصة معنى الحنيفية السمحة التي اختتمت برسالة خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ.

٢ ـ الشرك

هو عقيدة مبنية على أن كنه ذات الله روح وجودية أزلية تحل في الأشياء فتوجد وبه تتم، فالأشياء لا تعبد إلا أنها جزء من الله حل فيها فالمشركون لا يعتبرون ما يعبدون من دونه ينفي وجود الله بل يعتبرون ذلك جزءاً منه ودالاً عليه، والعبادة لها

قربى له وزلفى والشرك كفر وغير قابل للغفران أبداً لأنه ترك لعبادة الله الواحد الأزلي الذي ليس كمثله شيء وعطف على عبادة المخلوقات، ومن أجل ذلك جاء النص...

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٣ ـ الوثنية

هي عقيدة منحطة جداً، جداً، إذ حقيقتها مبنية على أن كنه ذات الله روح، كالشريك تماماً، إلا أن الوثنيين يعتبرون أن الله حالٌ فيما يعبدون أصالة من دون الله وليس الله إلا ذلك الذي يعبدونه خِلافاً لعقيدة المشركين، لذلك تجد الوثنية ضئيلة، ولا توجد إلا في الغابات ولدى الهمج.. ومن هنا كان الشرك أهون من الوثنية لأن مجموع الأديان الوضعية مبنية عليه كالبرهمية والثانوية وسواها وقد أشربت أمراض الوثنية واعتقاد أن الله روح أزلية تحل في الأشياء المعبودة إلى الأديان السماوية، ومن جراء ذلك تجد ذلك خاتم الأديان السماوية حملاته على الشرك والوثنية عنيفة جداً مع الحفاظ على حرية العقيدة الأصيلة في تكوين الإنسان وعليها كان مدار حياته وتبعاته. وقد سرت عدوى عقيدة أن الله روح أزلية في فلسفة كثير من الفلاسفة والشعراء مثل سبينوزا وطاغور والوجودية والبابية وسواها.

٤ ـ المستهينون بالعقائد كافة

هناك طائفة من البشر لدى كل أمة مهملون كالدواب لا يبالون بشيء من المعتقدات ولا يهتمون بها ولا يقيمون لها وزناً ولا يسألون إلا عن نزواتهم وحياتهم القصيرة في الدنيا ويمقتون سواها وإذا حدثهم عن ذلك متحدث لا يصغون له ولو كانت لهم آذان تصغي إلى الحق والعلم لسمعوا، وقد يتمادى بهم الأمر إلى العناد فيسخرون بالقائلين، بل يقولون إنهم سمعوا ولكن ما سمعوه كان كذباً وأسطورة، وفي ذلك يقول الله في حقهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢١ ـ ٢٢].

أي لا يعقلون ما يحدث به واعظوهم من وحي الله لأنهم معرضون عنه. . .

وهؤلاء المعطلون للإفادة مما وهبهم الله من الحواس لأجل الهداية بها والرشد ونبذ الهوى ورعونة الكفر، أجل آثروا كل الإيثار أن يكونوا كالدواب وهم الذين يصدق عليهم قول الله جل وعز. . .

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وليس سهلاً أبداً تعطيل الحواس التي خلقها الله لتوصل إلى الإيمان والحق والعلم وإلى عالم النعيم، أجل ليس سهلاً بالمرة، وكيف يكون سهلاً تعطيل الحواس التي يُفضي تعطيلها إلى أن يكون المعطلون من سكنى عالم العذاب جهنم سواء كانوا من أهل عالم المادة الإنس الذين نراهم ويروننا ونستمع إليهم ويستمعون إلينا، أو كانوا من عالم اللطافة الجن الذين يروننا ولا نراهم ويسمعون منا ما نقول ولا نسمع منهم ما يقولون، وهذا منصوص عليه في خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد. . .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُم الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وأنك تفهم من معنى ذرأ الموطن الذي يستحقه الذين لا يبالون بالبحث عن حقيقة الإيمان القطعي الواقعي وهم راضون أن يعيشوا عيشة الدواب من أكل وشرب ونزوات وضحك ولعب، كأن الله خلقهم لذلك ولم يخلقهم للاهتداء إلى الإيمان به وعبادته وتصديق كتبه واتباع رسله والإيمان باليوم الآخر، ومعنى ذرأ كذرع تفيد كأن الذرع ألوان وأنواع في حقولها وكذلك هؤلاء في جهنم أيضاً هم في حقولها ومواطنها الخاصة، أجل إن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالله لهم أمكنة خاصة في جهنم.

٥ ـ الإلحاد

إذا كان المستهينون بالعقائد يعطلون الحواس الخمس التي هي طريق الإيمان الصحيح فإن الإلحاد فيه نزع وعي الحواس الخمس الإيماني من صميم العلم والفكر، لذلك كان الإلحاد مصيبة المصائب وفتنة الفتن وكبر الكبرياء وغرور المغترين، لأن الملحد يحسب نفسه فيلسوفاً مفكراً حراً مطلقاً ليس خاضعاً لأحد إلا

لنفسه فهو يعبد نفسه ولا يعبد أحداً سواها ولا يؤمن إلا بها وهو في الحقيقة يؤله نفسه، وهو متكبر متمرد جبار عنيد يخادع ويغر وينتهز ويغش ويؤذي ويماري ويواري ويرى كل ذلك إصلاحاً.

ومن كان هذا ديدنه وما يدين به فجداله ضياع في ضياع لأنه محال أن ينقاد إلى اليقين ولو لمسه بحواسه الخمس...

﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الذينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

وأما مثل الملحد الغارق في تقاليده المظلمة وملابساتها فإنه لا يلين ولا يرجى منه للحق عودة في يوم من الأيام، ويشهد الله أني أشفق على الكاتبين الداعين الملاحدة إلى النور إلى العلم إلى الحق إلى الميزان أشفق عليهم سواء كانوا شرقيين أم غربيين لأنهم كاذبون في دعوتهم في هذه ولو كانوا كذلك للمسوا النور الذي في خاتم الوحي الإلهي وحقائق العلم والإيمان، أجل أشفق عليهم أنى تناولت أقلامهم وقدمته من براهين خالوها علمية قطعية وما هي من العلمية والقطعية بشيء، على أدنى ذرة أو خلية تكوينها أكبر برهان صارخ يمزق الإلحاد وأهله كل ممزق، وكم أجد في نفسي ونفوس المؤمنين من سخرية لهؤلاء الملاحدة صغار الأحلام تلقي المرء على قفاه من الضحك والسخرية عليه.

وعلى كل حال فأطرقت أفكر وأفكر في الأسباب التي جعلت بعض الملاحدة بهذه الصلابة الفولاذية ضد كل دعاة الفلاسفة والعلماء المؤمنين في الشرق والغرب، وأخيراً أخذت أتأمل الجهات الست التي تحيط بالملحد لعلي أجد ثغرة أنفذ منها إلى مجموعته النفسية فلم أجد أبداً أبداً...

أمامه: نظرت أمامه فألفيت إيثاره لمصالحه التي يعتقد أنها هي التي تسعده وتنيله ما يرغب في نيله.

خلفه: نظرت خلفه فإذا مصالح أمته وأهله وأصدقائه ومن ينتسب إليهم ويعمل معهم ملقاة وراءه ظهرياً.

يميناً: ونظرت يمينه فإذا الغرور مجسم يلوح بكلتا يديه وفي كل لمحة ونفس وكلمة تبدو منه.

يساراً: ونظرت يساره فإذا الشيطان اللعين إبليس يؤيده ويناصره ويزعم أنه مفكر وفيلسوف وذو شخصية مرموقة محترمة ثم يدير وجهه ضاحكاً ويقول زد، فإنك تزاد ما تشتهي وتهوى.

فوق: ونظرت فوق فإذا عواطفه ورغباته تطل عليه من فوق وتجذبه إليها بشدة فلا يكاد يلتفت إلى سواها لأنه أعمى، أعمى، عن مشاهدة السماوات وما تحويه من الأسرار والعجائب.

تحت: ونظرت تحت فإذا مزاعمه تنبت تحت قدميه وتزهر بأزهار كأنها رؤوس الشياطين أو قل هي، هي، رؤوس الشياطين بلا ريب.

العلم والحق والهدى والخير والصدق والوفاء والاعتراف بحق العالمين، كل ذلك يدوسها بقدميه دون مبالاة واكتراث واتزان وإحسان..!!!

هنا قلت كلمتي... إن الإلحاد بلية من بلايا الإنسانية ومصدر شرورها وآثامها وحروبها ومذابحها ونهبها وسلبها، وإني أنصح لك، حذار ثم ألف حذار أن تأمن لملحد أبداً. اسمع واحترس واعرض وحاذر وفكر لأنك حيال ظلم عظيم، والله يكون وقاية لك من كل ذلك إن أنت آمنت بصدق وحينئذ يأتيك الأمان والصدق من رب العالمين، ولا ظلم للفرد والجماعة ولنفس الإنسان بالذات أكبر من الإلحاد لأنه يقضي على الأمن في كل أحواله ومناسباته كل القضاء، وتحذيراً من كل ذلك يقول الله تعالى في خاتم وحيه القرآن المجيد:

﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

الناس يدخلون في العقائد لثلاثة أمور

كل إنسان في هذا الوجود لا يخلو من عقيدة ما... ذلك لأن مجموعة نفس الإنسان مشدودة إلى الاعتقاد بالغريزة وبالعاطفة وبالفكر... وفطرة الله هي فطرة الحنيفية السمحة.

فمنذ ولادة الطفل والعقيدة تلبسه وتهيمن عليه وهو لما يدخل بعد عالم الوعي، ويد الأهل في المنزل ويد التربية ويد البيئة... الجميع تحكم سلطة العقيدة وسطوتها أيًّا تكن العقيدة، كما تحكم نسجها وإلباسها لنابتة الأمة وتصبغهم بصبغتها...

خذ مثلاً النصارى فإنهم يطبعون عقيدتهم في جسد الطفل صغيراً فيعمده رجل الدين عندهم في الكنيسة، أي يغسل جسده بالماء المقدس المحضر لديهم.

أما العقيدة الإسلامية، فإنها حنيفية سمحة محصنة وصلتها الأولى بالروح لا بالجسد، وبما أن الإسلام يعتبر كل مسلم هو رجل دين فهو يؤذن في أذنه اليمنى الأذان الشرعي ويقيم في اليسرى إقامة الصلاة الشرعية، وهذا خطاب للروح لا للجسد، والروح تخاطب أبداً حتى بعد الانتقال إلى العالم الثاني... مثل السلام على أهل القبور فهو سنة متبعة، والسلام لا يكون للهواء (أي للا شيء)، ولئن زال الجسد إلى أجله فإن الروح باقية...

والأمور الثلاثة التي يدخل بها المرء في العقيدة عادة هي:

الأمر الأول

الوراثة... والوراثة هي مجموعة أحاسيس ذات انطباعات عامة وخاصة، وانطباعاتها العقائدية متوارثة في كل الدنيا، فالمسلم يورث ذريته الإسلام، والنصارى يورثون ذراريهم النصرانية، وهذا شأن المجوس وسواهم.

وهذا التوريث يحصل لكل مولود لدى أهل عقيدة ما على الإطلاق...

أجل، كل إنسان منذ إحساسه الأول والانطباع آخذ طريقه التقليدي العملي إلى نفسه حتى لو أخذت أطفال النصارى إلى بيئة مسلمة لنشأوا مسلمين، ولو أخذت أطفال المسلمين إلى بيئة النصارى لنشأوا نصارى... وهذا مشاهد.

الأمر الثاني

قناعة الدعاية، والدعاية لا تقنع إلا إذا كانت علمية يقينية صرفة، وقناعة الدعاية العلمية اليقينية الصرفة إذا هيمنت على مكانها الصارخ المطمئن في نفس المفكر العلمي الحر البحاثة أتت بالعجب العجاب.

وهذا ما يسمى بالقناعة النفسية المنبثقة عن الدلائل العلمية الصارخة التي تستحوذ على مجموعة نفس المفكر الإنسان، حيث يرى من المحال أن يستهين ظلماً وعلواً بجلال الحق والواقع والعلم والصدق فأيان ينحرف...

وهذه القناعة العلمية أثرها في الدعاية كبير جداً، ذلك لأنها عمل إنساني سام تعيه أدق الوعي الحكيم عقول العلماء الأحرار الباحثين بأساليبهم العبقرية الكشافة لواقع يقين العلم.

نعم، قد تدخل المادة ومنافعها وأمجادها وألقابها الفتانة من أجل طمس اليقين العلمي ولكنها لا تؤثر إلا لدى الأغرار النفعيين، ومهما يكن فطلاء الحقيقة العلمية بزيف الباطل لا يستمر إلى الأبد، والقناعة العلمية اليقينية الصحيحة لا تضل من يحيون لأجلها ويتمرسون لتصفيتها وإظهارها، ويملكون حرية الإرادة والسلطة النفسية والاقتدار على تصفيتها في كل يوم، ولو كان يوماً قاتماً عبوساً قمطريراً.

ذلك لأنهم يخافون الله إذا هم تعمدوا أن يطمسوا يقين العلم والبرهان المشاهد الصارخ. ومهما يكن، فالعلم القطعي الصحيح لا يفقد الأنصار في كل

عصر ومصر، عملاً للصعود الحضاري الإنساني المستمر المرتبط بيقين العلم، لو يفقدهم بالمرة لما كانت هذه الحضارة التي أطلت على البشر من كواكب السماء.

الأمر الثالث

الإرغام والإكراه، والإرغام والإكراه لا يصدران إلا من نفوس المتزمتين المتعصبين الذين لا يعلمون أن الله خلق البشر ومنحهم أمرين أساسيين للسمو الحضاري...

الأول... حرية الإرادة. والثاني... حرية العقيدة.

ومن أجل ذلك تجد علماء الإسلام كافة حرموا الإكراه على الإيمان بالسيف لقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ بالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ الله وَيَجْعَلُ الرِجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

وكذلك رفضوا إيمان المقلِّد الذي يملك العقل الذي يميز به بين الحق والباطل والصدق والكذب ووحي الله والأسطورة، وهذا الرفض نهوض للتفكر في خلق السماوات والأرض، ونهوض للعلم والقرآن كله في هذا الصدد، وهذا كله يقتضي الثبوت على العقيدة.

الأمور الثلاثة التي تثبت الناس على عقائدهم

الأمر الأول:

كل عقيدة هيمنت على جماعة بعينها من أزمان خلت وتوطدت وتحكمت على مجموعة نفس كل فرد من أفراد الجماعة فإنها تكون ثابتة كل الثبوت في نفوس أهلها وانفصال أحد من أهلها عنها يثير فتنة عمياء وعاصفة من السخط، وتكون عليه وصمة زراية، ويقاطع المنفصل عنها ولو كانت العقيدة عقيدة تأليه إنسان أو حيوان

أو نبات أو حجر أو شمس أو نجم أو روح أو ملاك أو شيطان.

والسبب أن الوسط الذي يعيش فيه المعتقد هو وسط بدائي مدخول بسيط ساذج، ولكن إذا كانت العقيدة صحيحة ومؤيدة بالبرهان العلمي القطعي الصارخ فإنك تسمع نداءها صباح مساء...

﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩].

والسبب أن العقيدة المتسامحة هي أوثق رباط بينها وبين أهلها وبين سواهم، ولماذا لا؟ ووثاق الرباط يكون بالعلم والوحي القطعيين ولا يكون بسواهما.

ومتى توثقت العقيدة برباط العلم والوحي القطعيين فإن أهلها يكونون سمحاء يعايشون إخوانهم البشر بالعيش السلمي المشترك وسواهم من أهل العصبيات الوثنية الذي لا يتحملون رؤية من لا يدين بعقيدتهم، فمثل هؤلاء لا يكونون إلا عنصريين، وتكون اتجاهات أعمالهم بأسرها ذات أنانيات وبغي وظلم، تكون شريرة شريرة.

والعادة في قادة العقائد الوثنية والمشركة لا يكونون إلا ملاحدة سراً أو علانية، وهم فوق مجاري الأمور في أوساطهم... أما الأوساط الملتزمة بيقين العلم فالأمر فيها بخلاف ذلك تماماً كما عرفت من قبل.

الأمر الثاني:

في الثبوت على العقيدة، ويكون بسبب أصيل، وهو وجود المعتقد في أسرة متبتلة مستمسكة بالعقيدة وتعاليمها وصلواتها وضراعاتها كل الاستمساك، وبالحري إذا كان المعتقد بسيطاً لا يفكر تفكير بحث ودراية أي لا يميز بين الحق والباطل والعلم والجهل والوحي المرتكز على القصص الأسطورية والأحلام الخرافية فإن مثل هذا المعتقد نراه ثابتاً على عقيدته ما دام يفقد الوعي العلمي، فإنه يثبت عليها بالوراثة كل الثبوت ولا يخطر على باله لمحة من نقد ولو كان من عبّاد النار أو الشيطان.

ناهيك إذا كان وراء هذه العقيدة الوراثية أناس من الخارج يستغلونها للتفرقة بين جماعات أمتها الواحدة وفئاتها، وكل إنسان في مثل هذه الأمة يسخرونه في بلاده ويستعبدونه، ومثل هذا الإنسان البسيط هو الذي يضحي بنفسه في سبيل

عقيدته المشركة أو الوثنية، ولكن لو كان متعلماً بعض الشيء لآمن بيقين العلم ١
والوحي حتماً، ومثل هذا المعتقد بقليل من العلم حتى لو اضطرته الظروف المعيشية أن يستمر بين قومه الوثنيين أو المشركين البسطاء، إلا أنك تراه سواهم على كل حال في كل ما يأخذ به أو يدعه، بخلاف ذلك الفدم الجاهل بالمبادىء الذي يقاد كالدابة في نصرة عقيدته الوثنية المشركة بكل ما يملك من طاقة ومال وحياة، وهذا إنسان سلفت بمثله البشرية من يوم أرسل الله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الأمر الثالث:

هو من الأسباب التي تجعل المعتقد ثابتاً على عقيدته ولو ظاهراً بقوة وحماسة وذَوْدٍ وفداء لعلك تقولِ إن كان هذا المعتقِد يؤثر مصلحته الدنيوية الزائلة على مصلحته مع ربه وخالقه... أقول هذا قليل ولكن قد يكون ملحداً لا يؤمن برب كَوَّنَه وجعله بشراً سوياً، بل ينسب تكوينه إلى الصدفة والطبيعة.

فمن كان هذا شأنه فهو إن كان رئيس دين ولو كان يعلم يقين العلم أن معتقده مخالف ليقين العلم فإنه يظل متولياً الرئاسة الدينية المشركة والوثنية التي تحفظ له السيادة والرئاسة في قومه، لما يظل ينافح ويكافح من أجلها، أي يثبت عليها ويقاوم كل منحرف عنها علم من فساد العقيدة ما يعلمه هو بالذات حرصاً على ظروف الرئاسة وأمجادها في هذه الدنيا، التي لا تغني صاحبها فتيلاً عن أمجاد الآخرة.

إذاً، فالتجارة المربحة والمكانة المرموقة والكلمة النافذة تجعل صاحبها ثابتاً على عقيدته، مهما يكن واقعها العلمي اليقيني من الفساد والبطلان والخسران.

هذا الأمر حصل في الدنيا قديماً، وما يزال يحصل حتى الآن، وهو لا يغني عن يقين العلم ويقين الوحي فتيلاً...

ويا خسارة نفس في تجارتها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

وقد أشار جبران خليل جبران إلى التجار بالدين في قوله...

كأنما الدين ضرب من مكاسبهم إن واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

طريقا معتقدات البشر

كل إنسان ذي حس من الفكر، وذي رشفة من العلم لا بد له من عقيدة يؤمن بها، ويطمئن لها، ويفكر فيها، وينفعل بتوجيهاتها وينقاد. . .

ولكن ما كل إنسان يدري من أين وافته هذه العقيدة التي يدين بها، وينقاد لها ويصر عليها، ويستجيب لنداءاتها. . .

إذاً، فلا بد من درس مآتي المعتقدات في أنفس البشر. . نعم، معتقدات البشر كثيرة، لا تكاد تحصى، وكذلك مآتيها، إلا أن لمعتقدات البشـر طريقين أصيلين ولا ثالث لهما.

الطريق الأول: طريق الحرية المطلقة، والعلم القطعي، والروح الإنساني العالي، والبرهان المسلم به لدى أهل العلم قاطبة.

الطريق الثاني: طريق التوريث التقليدي والتنشئة التلقينية التي تسود الأمة، وتربية الإيحاء العنصري، والتعليم الخاص.

وأنت أيها الإنسان المعتقد بعقيدة ما. . . ادرس عقيدتك التي تدين بها، وتنفعل لها، ادرسها دراسة علمية محررة نزيهة مخلصة، لتعلم من أي الطريقين وافتك، لأن كل إنسان لا بد أن تكون عقيدته وافته من إحدى هاتين الطريقتين، سواء أكانت العقيدة إنسانية علمية عالية، أو كانت عنصرية ملحدة منحطة.

أجل أيها الإنسان المفكر الحساس العالم، انظر إلى عقيدتك المتمكنة في نفسك، والموجهة لك. انظرها نظرة عالم دارس أمين على كشف حقيقة يقين العلم، ولا تفكر في نفسك فهناك ملايين الملايين من الأنفس هم في لهفة إلى درسك، وولع إلى فكرك، وبالحري إذا كنت إنسانياً عالمياً عالياً، لأن الأمم جميعاً أفرادها وجماعاتها تنتظر من يجمع كلمتها، ويوحد اتجاهاتها ويدعم السلام والأمن والثقة في نفوس زعمائها، وقادتها، من قبل أن ينفجر بركان العنصرية الملحدة الحائرة الحاقدة... هذا ما أشتاقه أنا، وما تهواه أنت، وما يحن له هم، وما تتغنى به هن...

أجل هذا شأني وشأنك وشأن كل إنسان يملك مسكة من فكر وأثارة من علم، وحساسية من إنسانية.

والآن يجب علينا أن نسعى لكشف يقين العقائد التي ندين بها، دون محاباة ومناكرة وتهافت وأثرة وغرور بشخصية، وخلود عنصريين زائفين، لأن بخلودك كشفت يقين العقيدة الإنسانية وسموت بها فوق كل خلود، ولأن الشخصية التي تكشفها باليقين العلمي هي الشخصية الأصيلة التي خلق الله آدم عليها حين نفخ من روحه وأمر له ملائكته الكرام بالسجود، وجمّل بها رسله صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

وازدان بها علماء أتباعهم وحكماؤهم، إذاً فوطّن نفسك معي لكي نتكاتف بثقة ونكشف يقين ما ندين به ما دمنا نحب خلود الحقيقة، وسمو الشخصية الإنسانية وثقة السلام بين الأفراد والجماعات كافة.

إذاً، فأنا وأنت وهو نلتقي جميعاً على إلحاح الرغبة واللهفة لكشف يقين العلم ويقين الحق ويقين الصدق... وهذا لا يتم إلا بأمرين اثنين...

الأمر الأول: أن تميز بين يقين وحي الله المؤيد بالبرهان الحسي الصارخ، وبين الظنون والأساطير المنسوبة إلى وحي الله القطعي، ومن لا يميز بينهما فلا يمكن أن يهتدي إلى العقيدة الصحيحة.

الأمر الثاني: أن تميز بين العلم اليقيني الثابت، وبين الظنون والفروض والمفتريات التي تزج في العلم القطعي للإفساد والإضرار والتشويش، لذلك يجب

على الدارس اليقظ، كما يجتهد في كشف يقين الوحي كذلك يجب أن يجتهد في كشف يقين العلم.

ومتى انتهى الوحي إلى اليقين والعلم إلى اليقين، زال الخلاف والاضطراب والزيادة والنقصان والتأويلات الفاسدة.

وهكذا إذا لم تجتهد في كشف اليقين في العلم والوحي معاً سقطت في الأوهام والأساطير وأغلال التقاليد المتوارثة ومهاوي التأويلات الباطلة والنحل الزنيمة الزائفة التي يستحيل أن تنسب إلى مجد العلم اليقيني والوحي اليقيني.

وهنا كل معتقد يطالب علماء دينه بتقديم البراهين القطعية لكي يعلم يقين العلم أنه على دىن حق أو على دين سوى ذلك، فإن لم يطالب عاش هملاً ومات هملاً، وكان من الخاسرين الرعاع الهمل أتباع كل ناعق...

بحث أقسام البشر حيال معتقداتهم

هذا أسمى بحث ينبغي أن تعنى به الأفراد والجماعات، دراسةً ونظراً وإجمالاً وتفصيلاً وعمقاً... وينبغي بالتالي أن يقدمه المطالعون من شتى الفئات في كل أمة على سواه من البحوث، لأنه متصل بصميم النيات النفسية الخفية الموجهة لأعمال الجوارح الظاهرة والباطنة، وتوجهها في اليقظة وفي الأحلام.

وبحث كهذا ليس بالقليل أبداً، إنه أنفع أنواع العلم... أما يسعدك أيها الإنسان أن تعلم موجهك النفسي الخفي الذي يثيرك إلى ممارسة أعمالك في هذه الحياة بكل ما تملك من طاقة؟ ويثير سواك وسواه وهلم جرًّا... ولماذا ولماذا لا؟!!!

والأعمال كافة فيها الإيمان والكفر، وفيها الخير والشر وفيها الحسن والسيء، وفيها العلم والجهل، وفيها النفاق...!!!

ولا ريب أن تعمق اطلاعنا وعلمنا، كل ذلك مبارك ونافع، وهو حضارة وتقدم وتفاهم وسلام وإيمان وإصلاح، وبذلك يكون إصلاح المنحرف عقيدة وعملاً سهلاً جداً وعظيماً جداً، وبإمكانه هو دون ما حاجة إلى عظات كابتة أو سلطة ردع زاجرة.

والمنحرف إذا لمس كل ذلك بنفسه من عقيدته التي يدين بها وراثة وتقليداً، ولمس يقين المعرفة العلمية، صلح وسما نية وعملاً.

ومن جراء ذلك ترى كل إنسان بسبب نيته وعمله من أمرين...

الأول: إما أن يرجح كفة علم الله في وزن نياته وأعماله.

الثاني: وإما أن يرجح كفة علم الناس عنهما، رغم أنه يعلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولا يجهل إنسان أن علم الناس مشوب بمجاجة الألسنة، وهل تمج أكثر الألسنة إلا الأقذار في محراب طهرك، ولا ينجيك من ظلم حسدهم وبخسهم وأنانيتهم إلا اعتصامك بعلم الله عنك، فهو وحده القادر أن يقصم ظهور الحُسَّد العتاة وينصفك منهم ويعطيك حقك بقسط العدل بميزانه المستقيم الذي لا يخيس أبداً، ومستحيل ذلك أبداً.

وما عليَّ ولا عليك، بل الأمر كله يعود إلى العقيدة التي يدين بها الإنسان... ولا تنسَ يا أخي الإنسان، أن الأرض تطفح بمعتقدات الإيمان، ومعتقدات الإيمان شتى، وأشهرها الإسلام والنصرانية واليهودية والبرهمية والبوذية والمجوسية، كما تطفح بمعتقدات الإلحاد كالعلمانية والوجودية والشيوعية وسواها من المعتقدات. وهكذا تجد طوائف البشر تجاه المعتقدات، ولست متعمقاً في دراسة الإيمانية كافة، ولا في دراسة المعتقدات الإلحادية كافة حتى أفضل أقسامها التسعة بكل حقائقها العلمية القطعية بأمانة وصدق دون زيادة أو نقصان، لأن الخائن والكاذب ملعون في كل ما يأخذ أو يدع عند الله والناس أجمعين.

ولكن أستعين بالله سبحانه وتعالى وأشرح ذلك في الإسلام مع الرجاء ممن يرى نقصاً أو خطأً يصلحه ويتمه...

المعتقدات الإيمانية بالنسبة للإسلام ثلاثة أقسام أصلية وهي...

١ ـ مؤمنون.

٢ ـ كافرون.

٣ ـ منافقون.

ولقد جاء ذكر هذه الأقسام في افتتاح سورة البقرة...

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. الٓمٓ. ذَٰلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون. أُولَٰئِكَ علىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِم وأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلىٰ قُلوُبِهِمْ وعَلىٰ سَمْعِهِمْ وعَلىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم. وَمِنَ النَّاس مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وإذا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. ألاَ إِنَّهُم هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُـمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ١٨].

الأقسام الفرعية

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى ثلاثة فروع. . .

فالمؤمنون ثلاثة فروع فرع أعلى وفرع أوسط وفرع أدنى.

والكافرون ثلاثة فروع كذلك. . .

والمنافقون ثلاثة فروع كذلك. . .

الإلحاد

الإلحاد أكثر ما يكون في البيئات الجاهلة التي تعجز عن إدراك سمو الواقعية الماثلة في أفراد الكائنات لكي تنطلق منها إلى معرفة الله خالقها العظيم، وجليل صفاته التي تليق بتكوينه لها وتحديد مواطنها وأعمالها وعجائبها وتهاويلها، وقد يكون بين العلماء المفكرين.

والسبب الذي يحدو بهم إلى الإلحاد هو الوثنية التي اصطبغت بها الأديان والإشراك، لأنهم يرون إيماناً وخضوعاً وإذعاناً وسهراً مضنياً وصلاة وضراعة للأبقار والفيلة والأنصاب، من الأصنام والأوثان والنار والظلام والشياطين والجن.

وهم يعلمون من عوالم الوجود عجائب كائناتها وغرائب أهوالها ومعجزات تكوينها، فيستصغرون هاتيك الآلهة ويرونها أعجز من خلق ذبابة، فضلاً عمَّا علموا من العوالم المكتشفة، وما جهلوا منها أعظم ألف مليار مما علموا.

أجل يرون الآلهة المتخذة من هاتيك العوالم في صغرها وضالتها وعجزها فيلحدون بها وهم معذورون من ناحية أنهم لم يكلفوا أنفسهم بالبحث عن الصفات الحقيقية المنزلة في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد، في قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهناك فئة من العلماء قالوا إنه لا يجوز لأحد أن يقلد في العقيدة، واختلفوا في صحة

إيمان المقلد مع قدرته على الدرس والنظر والتفكير والمقارنة والقياس والاستنتاج، أجل اختلفوا بل قالوا إن الله لا يقبل له عذراً، وعذابه مجتوم لأنه عطل قوله تعالى:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

تعريف الإلحاد

يقولون ألحد الرجل: مال عن الحق وحاذ عنه، والملحد اسم فاعل، والجمع ملحدون وملاحدة.

وقصدنا بالملحد هنا كل إنسان انحرف عن الدين وعن الإيمان بالله الخالق العظيم وأخذ يطعن كل ذلك ولا يبالي.

والملحد أحياناً يعلم أنه على باطل وزيغ وضلال، لكنه يعلن الإلحاد قربى من الملحدين وتظاهراً بالتجدد وحرية الفكر والانطلاق، وهذا العمل كفر ونفاق والمنافقون...

﴿فِي الدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]

وأحياناً يجهل أنه على باطل، ويتصور أن الإلحاد هو العلم الكوني اليقيني، وأن الأكوان لا تفسر إلا به، وأن الصدفة هي معتمد التفسير، وأن كل ما في العوالم من حقائق ومعارف مصدرها الصدفة.

وتفسير هؤلاء المحلدين يكون بالدهر والزمن استمرارهما، اقرأ وتدبر قوله تعالى في محكم كتابه:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٣، ٢٤]. وقد ذكر الله جل وعز في خاتم الوحي الإلٰهي أن هناك فئة ممن يلحدون بأسمائه قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ

مَا كَانُوا يَعْمَلونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وتدبر أيضاً قوله تعالى في الذين يلحدون في آياته:

﴿الَّذِينَ يُلْحِدُون فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّه بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وأخيراً اقرأ وتدبر معي في قوله تعالى في الذين يصدون عن سبيل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ الذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

لماذا ألحد فلان وفلان...؟

انتدبت لألقي بضع كلمات عن معجزات خاتم الوحي الإلّهي في المدارس الثانوية والعالية إبان كنت مقيماً في بيروت، وكذلك انتدبت لهذا الغرض الشريف نفسه للكشاف المسلم في لبنان في عهد مؤسس النهضة الإسلامية المفتي الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد.

أجل انتدبني لأكون مرافقاً للكشاف المسلم في رحلته الكشفية للاشتراك في مخيم أبي قير ومحاضراً، وكان رئيس الكشاف المسلم العام يومئذ الأستاذ محمد الهبري نجل العلامة الشيخ محمد توفيق الهبري، وكنت في خيمة القيادة، وكان يتولى أمرها السيد نزار المخزومي، وكان في عنفوان شبابه شديد المراس ذكياً، ومؤمناً صادقاً، وكان والده عضواً في محكمة التمييز المدنية، وكان مثالاً لاستقامة المؤمن المخلص الماجد في أعماله مما يدل على صدق نسبته إلى بني مخزوم من قريش.

وكانت الرئيسةُ المشرفة في فرقة البنات، مديرةَ كلية الباشورة للبنات (المقاصد) السيدة الفاضلة زاهية محيي الدين دوغان، وقد سألتني في جلسة إرشاد. . . لماذا فلان وفلان ممن تخرجوا من الكلية الشرعية منهم من (تَعَلْمَنَ) أي صار علمانياً، ومنهم من (تَوَجَّدَ) أي صار وجودياً؟

مع أن الإسلام هو اليقين العلمي في حقيقة الوجود واليقين العلمي في حقيقة وحي الله، وكون الإسلام كذلك تعضده البراهين المشاهدة بالتجربة والمعجزات التي

ما تزال تتجدد من حضارة إلى حضارة، ومن عهد إلى عهد بسطوة الحق وسلطان العلم وصدق الحجة، وكم فيه من توجيهات إصلاحية لاطراد التقدم الحضاري الإنساني العام، ولإيجاد التعايش السلمي، ولتشييد منائر حرية العقيدة لدى كل أمة.

ألا تجد فيه من التوجيهات الحضارية الإنسانية السليمة العجب العجب، في المكاتب الطافحة بالعلوم والآداب والفنون، وليس من باب الإطراء المختلق، بل هو الحقيقة الماثلة لكل من تجرد للبحث والنظر والتفكير بحرية الفكر وأمانة العلم وصدق الحديث... دون مواربة وانحياز، وزيادة ونقص...؟

قلت: هذا صحيح، ومهما قلت أنت أو أنا أو سوانا من العلماء الأعلام الأمناء على يقين العلم والوحي، وعن المعجزات المنزلة في خاتم الكتب السماوية، فإن نسبة معرفة ما هو عليه في واقع الواقع، أغمر من البحر المحيط، لا تنقضي آياته ومعجزات آياته أبداً أبداً.

وفلان وفلان ممن ذكرتهم كانت دراستهم عن كل ذلك مدخولة ومريبة ومدسوسة من أناس ملاحدة يتصلون بهم ويزينونه لهم...

وهكذا كل ما يصلحه المصلحون من العلماء الأحرار الأمناء يفسده أولئك الدعاة الملحدون المقلدون الخائنون.

يا ويحهم قد تزول السماوات والأرض ومن فيهن، وحقائق الإيمان بالله مكون الأكوان وما أنزل سبحانه وتعالى من وحي لن يزول أبداً... وصدق من قال: «ما بنى الله ما له من هادم».

ولو أمكن لفلان وفلان المعرفة اليقينية المنجية لما هلكوا في وساوس العلمانية، والوجودية والشيوعية والقاديانية، والبابية... وهلم جرًّا، والفتن وافرة وأهلها أوفر...

وهي أقرب إلى النشء من لفتة الجيد، وما أسرع مداخلها في النفس الساذجة ناهيك والمفسدون المنافقون كثر منذ أبعد الأزمان، كيف والدنيا في أقرب مراحلها إلى النهاية؟

أجل المنافقون المفسدون كثر في كل عصر ومصر، والله جل جلاله يحدثنا بـذلـك إذ يقـول. . . ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

كذلك إذا أردنا أن نمحو الإلحاد من الأرض في هذا العهد الذي انتشر فيه دعاته ظاهراً وباطناً في كل مكان، يلبسون على النشء الساذج ما يلبسون، ويزينونه لهم بانفلات الغرائز وظواهر الاختلاط الجنسي والتبذل والاستهانة بكل شيء، والكبرياء الأرعن المصنوع.

على أن بواعث الإلحاد في عصرنا كثيرة جداً وشتى وإنك تجدها في ما يلي. . .

١ ـ في التربية.
٢ ـ وفي الثقافة.
٣ ـ وفي الصحبة.
٤ ـ والانتقال من بيئة إلى بيئة، من بيئة الكبت إلى بيئة الانطلاق.
٥ ـ وفي خفيٍّ الدعاة المجرمين الذين يهربون المخدرات والمسكرات وسواها.

شتان بين عقيدة الإيمان والخير
وعقيدة الكفر والشر

تحتوي مجموعـات الأنفس الإنسانيـة على جملة أشياء... على الغـريزة والعاطفة والعقل والضمير والوجدان والعادة والعقل الباطني... إلى سائرها...

وسلطة المجموعة النفسية موكلة إلى حرية الإرادة، وحرية الإرادة تملك حرية العقيدة... والرسالات السماوية والدعوات الأرضية، إنما توجه إلى الإنسان باعتبار أنه يملك حرية الإرادة وحرية العقيدة.

ولولا ذلك لكان مجبوراً، والمجبور لا توجه إليه دعوة أبداً لأنه مقيد بما هو مجبور عليه، وإنك تجد حرية الإرادة وحرية العقيدة في مجموعات أنفس البشر متفاوتين بنسب كثيرة، وليستا على نسق واحد في أنفس البشر، ولو كانتا واحدة في اتساق واقعها في أنفس البشر لما كان ثمة اختلاف ما على شيء ما.

مظاهر الاختلاف

انظر... فهذا صاحب عقيدة الإيمان والخير قد يرتفع بها إلى قمة المثل الأعلى، وهذا الذي كان في أنفس رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد تكون قرب القمة...

... وقرب القمة تكون للأتباع وأشياعهم المخلصين الأبطال المضحين، ولكنهم لن يبلغوا القمة الخاصة برسل الله، لأنهـا قمة العصمـة والوحي ومنح

الرسالات والنبوات التي لا تعلوها منح أبداً.

ومنح الله لعباده متنوعة ولا نهاية لها، وضدها هوة الإلحاد والكفر والشرك والبغي والغواية والإفك والبعد عن رضوان الله جل وعز وإليك هذه النصوص المتواترة... فتدبرها...

﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٦، ١١٧].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَٱتَخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. وَلِلّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ [النساء: ١٢٥، ١٢٦].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَٱعْتَصَمُوا بِاللّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ويقول رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم». وهو حديث صحيح رواه الإمام مسلم ـ والقلب هو محل خواطر النيات التي هي الأصل في الأعمال.

ومهما يكن فوصول الهداة المصلحين من أرباب عقيدة الإيمان القطعي الصحيح إلى قرب قمة المثل الأعلى الخاص بالرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ممكن كل الإمكان، ما دامت الإرادة سليمة وقوية الشكيمة وغلابة مباركة، أي كل ذوات المجموعة النفسية تحت سطوتها... وهذه هي الإرادة الفعالة الآمرة الناهية في أفراد المجموعة النفسية.

ومتى كان الإنسان كذلك فإنه يقدم لإخوانه البشر العجب العجاب من الخير والهدى والعلم والحكمة والاختراع والفنون الجميلة.

والإرادة إذا لم تكن مسيطرة على مجموعة أفراد مجموعة نفس الإنسان فإنها

تكون مثاراً للفتن والقلاقل والمؤامرات والأحقاد والحروب والخراب والدمار.

إذاً فالإرادة القوية المسيطرة على مجموعة نفس الإنسان هي القادرة وحدها على تغيير بواعث النفس الغابية ووراثاتها التقليدية.

وهذا حق، وخاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد يؤكده بقوله تعالى...

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١].

وتغيير ما هو موطد في أعماق النفس من مواريث وتقاليد وإلحاد وانطباع نزوات ومآثم، ممكن بالإرادة الحرة الصارمة الحاكمة المسيطرة.

ألا ترى مرجع الإيمان القطعي الصحيح وقبوله التضحية من أجله، ومرجع الإلحاد والكفر والخصومات والانحرافات إلى الإرادة الخيّرة المؤمنة المستقيمة، أو الشريرة الكافرة المعوجة، والبشر جميعاً في أي بلد كانوا يكبرون كل داعية عالم منصف ذي إرادة نافذة في أية أمة، لأنه يلمسهم هدى العلم القطعي، ونور الإيمان الصحيح عياناً.

والذي يدهش ويلفت حس الفكر النير ويزعجه، هو ما تراه من ظهور الصلاح المصطنع لدى بعض فئات الدعاة المنافقين الذين ينفثون الشرور والأحقاد، وإثارة الخصومات والحروب بين الجماعات والأفراد في كل مكان ولدى كل أمة، يفعلون كل ذلك بحكم وراثاتهم العنصرية المنحرفة الملحدة ويصبغون كل ذلك بصبغة الإيمان والدين.

انظر هؤلاء فئة من المنافقين الأشرار كانوا على سفينة وصادف أن هاج البحر هياجه المرعب المنذر بإغراقهم فهالهم الأمر وزلزلوا في هذا الموقف المرعب المنذر وطفقوا يضرعون ضراعة الإيمان والخشوع ويدعون دعاء المؤمنين المخبتين، حتى إذا أنجاهم الله جل وعز من مخاطر الغرق والهلاك وعادوا إلى منازلهم سالمين أصحّاء، عادوا إلى نفاق إلحادهم وانحرافهم كأول مرة...

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ

أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً. أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً. أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ [الإسراء: ٦٧ - ٦٩].

ها أنت ترى هؤلاء المنافقين الملاحدة الذين تسيطر عليهم عقيدة الإلحاد والبغي والفساد والإفساد، إذا وقعوا في ضيق المهالك وأهوالها تابوا وأنابوا إلى ربهم وضرعوا إليه ضراعة الإيمان حتى إذا انقشع عنهم البلاء عادوا إلى شر ما كانوا عليه من قبل، لأنهم مصرون إصرار الجحود المتغلغل في أعماق مجموعاتهم النفسية والمهيمن على إراداتهم، فإذا عرضت عليهم الحقيقة العلمية الصارخة عموا عنها وأعرضوا عناداً وتمرداً، وإليك إعجاز وحي الله جل وعز فيهم:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

ويكفي أن نعلم مدى إصرار هؤلاء الملاحدة المنافقين أنهم لو سيقوا إلى جهنم وذاقوا جزاء نفاقهم وإلحادهم مرارة وغصة وحميماً، ثم أفرج الله جل وعز عنهم وعادوا إلى الحياة الدنيا كأول مرة فإنهم يعودون إلى نفاق إلحادهم مردة طغاة لا يعبدون إلا أهواءهم وكبرياءهم وغرورهم ولا يمارسون إلا نزواتهم وخبائث أعمالهم، وينهون الناس عن الإيمان وينأوْن عنه، ولا يبالون أن يهلكوا أنفسهم بكل ذلك...

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٦ - ٢٩].

مصائر أتباع الفرق الهدامة

أتباع الفرق الهدامة هم قوم باعوا أنفسهم للتدمير والتخريب والموت، وهم هلكى منذ الساعة الأولى، ولماذا لا يكونون هلكى منذ الساعة الأولى وقد سجلت أسماؤهم في سلك الفرق الهدامة؟

وهم أكثر ما يكونون سريين، ولكنهم يظهرون في ألف لون ولـون، وهم لا يعلمون سوى الأمر الذي استحفظوا على سريته وتنفيذه في الوقت الذي يؤمرون به بالتنفيذ من هاتيكم الجهات الخفية، التي اصـطنعتهم لذلـك ودربتهم عليه، ولا يعلم إلا الله كم يكون عدد الهلكى من الأبرياء الغافلين على أيديهم؟

وهم وإن كـانوا لا يعلمـون شيئاً عن هـاتيك الجهـات التي خططت لهم مـا خططت إلا أنهـا تجـود عليهم بسخـاء ورخـاء، وبنضـرة عيش يشتمـل على التـرفيـه لنزواتهم والاستجابة لهواتف أشواقها... وتؤمن لهم كل ذلك من حيث لا يعلمون عن مصدره شيئاً، ولا يعلمون إلا أمرين...

الأمر الأول: أنهم يدربون لأجل إنزال الأهوال بمن يراد إنزالها عليهم بمهارة ودقة وخفة، في ساعة عمياء صماء بكماء غافلة.

الأمر الثاني: هـذه المخصصات الناعمة السمحـة هي ثمن دمائهم وهم يتناولونها بطرق ملتوية خفية بعيدة عن شبهات الظنون مغشاة بعطاء ناعم جذاب حسن الدعاية محظور غير مريب، وهم يتناولون أجورهم المخصصة لهم دون أن يحس أحدهم بوخزة ضمير أو خفقة قلب أو بلبلة فكر، مع أنه يدري أنه معيّن

للبطش والفتك بالآمنين في وداعة العافية والسلامة.

وإذا مرت خواطر إنسانية حضارية كريمة بالمسخرين وألمسبتهم بشاعة الإقدام على مثل ذلك الإفساد أجابوا... الحياة القاسية توجب ذلك، ولو كان الهلكى هم آلهم وعشيرتهم وأهل أوطانهم، ذلك لأن مدى نظرهم قصير وملوث بما هو فيه من قاذورات المخدرات وأشباهها.

والحق أن الذين ينتمون إلى هذه الفرق الهدامة السرية، يعلمون أكيداً أن انتماءهم إليها لا خير فيه ولا صلاح ولا إصلاح للناس بل وحتى لأنفسهم ذلك لأنه فساد في فساد.

أرني شخصاً واحداً لا يدري أن الفرق السرية الهدامة هي فرق خطيرة بطاشة مجرمة وأن الانتماء إليها أخطر وأجرم...؟

ألا تراهم مخدرون بنزوات غرائزهم المنحطة، وأنهم يقادون بها إلى المهالك، دون أن يحسوا... نعم، هم يعلمون أن الفرق الهدامة لا خير لها ولا نفع فيها وأن لها مبادىء ظاهرية مباركة يتغنى بها المنتمون إليها، ومبادىء سرية إجرامية لا يعلم بها المنتمون إليها إلا قليلاً، وأهول وصاياها ذرع الأحقاد، وإشعال الفتن والقضاء على الأخضر واليابس.

والعجيب أنهم يطلقون عليها مبادىء، وإطلاق مبادىء عليها خسران، أين هي والمبادىء؟ والمبادىء لا تكون إلا إنسانية حضارية عالية.

والمعاملة مع المنتمين إلى الفرق الهدامة يجب أن تكون بيقظة الحذر، وفراسة الوعي وحزم الإعداد لدفع شرها وبلاياها عن الجماعات والأفراد لدى كل أمة.

وها نحن نستوحي الحذر والوعي والنور والهدى والقدوة، من موقف رسول الله ﷺ تجاه أعمال الفرق الهدامة، هؤلاء هم في عهده ﷺ، وفي المدينة المنورة، وهو يجمع الأمة الممزقة ويعلم الأمة الجاهلة ويهدي الأمة الضالة إلى رشد الإيمان والمودة، وهم يحاولون الهدم والتمزيق من نفس الطريق الذي يسلكه ﷺ، فشيدوا مسجداً ضراراً وفي زعمهم أن تشييد المسجد لا أحد يرتاب به كالجماعات الخيرية التي تؤلف للشر، ولكن رسول الله ﷺ لم يغترر بهذا الظاهر البلر، وقد كشف وحي

الله ما وراءه من إضرار وكفر وتفريق للمؤمنين وإرصاد، ومع هذه الخبائث الإجرامية يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الحسنى والهدى والخير، ولماذا الإكثار من القول والوحي ذاته فيه ألف كفاية وكفاية... وإليك هــذه:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١١٠].

وإنك إذا تتبعت أعمال الفرق الهدامة على مدى التاريخ فإنك تجدها كيف تزين الإلحاد والعنصرية وحب الذات والبغي وتجعله سهلاً حبيباً إلى نفوس المجرمين الهدامين، ولا شيء أحب إلى نفوسهم من إراقة الدماء وتخريب الديار وتـأليب الجماعات بعضها ضد بعض.

وكم من ثورات تدسها الفرق الهدامة في جنح الظلام، حتى إذا استوت وربت، أكلت الأخضر واليابس، كغابة شجراء أشعلت فيها النيـران بغياً وأذى، وتشتد، وتشتد، إذا لم تفاجأ بقوة أعتى منها وأعصف وأهول.

والخلاف لا يشتد فجأة ويهيج الهياج المدمر إلا إذا تولاه دعـاة مجرمـون ملاحدة لا قيمة لحياة البشر لديهم ولا وازع ولا زاجر، وهم لا يتولونه إلا من وراء، وراء، لدى جماعة تقطن الوطن، وهي عدوة للوطن وأهله، وأضرارها من أجل دماره أحلى أمانيهم.

وهؤلاء الدعاة المجرمون لديهم كل إمكانيات المغريات والخبـرة والمران بإحكام دسائس الدعايات السرية وتوقيت ضرباتها وظهورهم من خفايا سراديبهم، ولكن الذي يبشر أن الأمة اليقظى الواعية البطلة المضحية لا يفوتها فائت من أعمال الدساسين المجرمين ودعاة الإلحاد والتمرد والبطش والنهب والسلب.

إذن فحسم الخلاف إنما يكون بالوقوف الحازم ضد إنشاء الفرق الهدامة ذات الوجهين الظاهر والباطن.

أما وجه الظاهر فخداع متواضع دساس هيّن ليّن.

أما وجه الباطن فبركان وزفير وشهيق ورجم وسدم وبلايا إثر بلايا متلاحقة. ولا نجاة من مثل هذه المهالك الحتمية إلا بالإسراع إلى الضربة القاصمة الحاسمة لكل من ينتمي إلى أعمال هذه الفرق الملحدة الكافرة.

ونشوء هذه الفرق الملحدة الهدامة الضالة، إنما يكون على أيدي المنافقين الفساق الذين يظهرون الإصلاح ويبطنون الإفساد، وهؤلاء يضعون مبادىء نشوء الفرقة بالتواءات ومكائد ومصائد وأهواء ومفتريات وتيسير أمر النزوات، وقد يستعينون بالمخدرات، وهم من دهائهم ينسبون ظاهر مبادئهم إلى الحمية الدينية والغيرة على المعالم.

أجل هم يصنعون ما يهوون من المبادىء بأهوائهم وحماسات خبثهم والتواء اتجاهاتهم ثم ينسبونه إلى الدين، ويتصدون لما وضعوا من الدس والبلاء النصوص الدينية المعتمدة تعمية، وغير المعتمدة تضليلاً.

وإذا جاءهم عالم يقظ واع مدرك، وكشف حقيقة مبدئهم، زعموا أنه متخلف ورجعي، وإذا عجزوا تجاهه عن إثبات مفترياتهم صرفوا النصوص العلمية اليقينية عن حقيقتها وواقعها المراد، إلى ما يريدون بإصرار وعنت وخبث ولؤم.

وإنك تجد خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد يغنيك عن كل ما قلت في آية واحدة لأنه سبحانه وتعالى أفهمنا أن هؤلاء المريبين الدساسين منشئي الفرق الهدامة قوم يخفون مبادئهم المجرمة عن المؤمنين، وهم يجهدون لإفساد العقائد بإظهار أنفسهم أنهم مؤمنون مثلهم ثم يكفرون للتضليل والإفساد. . .

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وختاماً، مثل الفرق الهدامة الفاسدة في المجتمعات الحضارية السليمة كمثل العلل والأمراض التي تعتري الأجسام السليمة في فترة غفلة الجسم، فإذا عولج

بالإصلاح والمبادىء الإنسانية العالية صلح الجسم وقضى على كل الأوبئة التي لحقت به وأضرته زمناً. . .

ومهما يكن فصدق رسول الله ﷺ حيث يقول. . . «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

دس الفرق الهدامة في الأديان
وكيفية الوقاية منها

كما أن لبناء الحضارة الإنسانية العليا دعاة إنسانيين يشيدون بنيانها ويدعمون أركانها بكل الرغبة والتضحية والفكر والثروة، كذلك لهدم الحضارة الإنسانية وتقويض أركانها وزلزلة دعاماتها وتدميرها عنصريون، دأبهم الإفساد بكل طاقاتهم ومؤامراتهم، وبكل ما لديهم من وسائل الهدم والتقويض والتخريب. . .

ولا ريب أن كل ذي نظر يملك ولو أثارة من الوعي يرفض جرائم الاغتيال وتخريب العمران وتحطيم معالم حضارة أية أمة من الأمم، ولو كانت أمة نامية بمبادئها، بدائية غابية.

والآن تستطيع أن تعي أن أي انحراف وفساد واضطراب وفتن يكون في مجتمع، إنما يكون من صنع هؤلاء المخربين المندسين في المجتمعات، ويكون من ذرع مبادئهم وثمراتهم المسمومة ذات الأحقاد والخصومات والنعرات والعصبيات والمؤامرات.

وإذا هالك الخلف الشاعل في قلوب صغار البشر في أية أمة، وأحببت الأمة أن تعلم الخلف من أين جاءها، وإلى متى يظل حاصداً لأفرادها وجماعاتها، فارجع إلى تاريخ نشأة معتقدات فرقها التي تنتمي إليها، وما نجم عنها من أهوال وأهوال، ومن زرعها، والأسباب التي من أجلها كان زرعها وما نجم عنه، وما يهدف أن يكون من وراء زرعه. . .

إذا عرفت كل ذلك أو بعضه فإنك تدرك ما تجهل وتحيط به علماً، وبالحري

إذا تولعت بيقظة وانتباه في كل ما تدرسه وتطالعه، وحينئذ تحيط علماً بحقائق الأشياء، ولن تكون كبعض قطعان الإمعات تساق إلى مسلخ المبادىء الحاقدة ولا تدري . . .

والخلف من طريق دعاة الفرق ووضع المبادىء الحاقدة لها سوى الخلف العادي الذي لا رصيد له من هاتيك المبادىء الحاقدة.

أجل زرع الخلف بطرق المبادىء والمعتقدات مخيف جداً، جداً، وهو ذو أهوال في تمزيق الأمة وإبادتها، ولو كانت مثقفة عالية كأمة الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا، وألمانيا . . .

والذي يخيف هو كثرة الغرباء في الأمة، الغرباء الذين لا يهمهم عاشت الأمة أو ماتت، علمت أو جهلت، سعدت أم شقيت، بل كان همهم الكسب من أي طريق ولو كان من طريق إهلاك الأمة.

فوجود أمثال هؤلاء الموبوئين بالمرض العضال المزمن هو السبب كل السبب، ويجب أن تكون كل مساعي قادة الأمة الأصيلة وأفرادها وجماعاتها هو مراقبتهم في ما يأخذون به أو يدعون، ومعرفة خفاياهم، وتحرّي الجماعات الذين يأوون إليهم ويستريحون لهم ويتصلون بهم ويراسلونهم، وأهم من كل ذلك معرفة مصادر تمولهم وما يكلفون بتنفيذه على المدى الطويل.

ومهما يكن فيجب أن يفهم كل فرد في أمة يرجو حياته وحياتها وحياة أهله، يجب أن يفهم أن الذين يعدون الفرق الشاذة في الأمة هم هؤلاء الوضاع السريون، وهؤلاء هم الذين يزرعون بذور خلف الفرق الهدامة في الأمة، يزرعونها بأسباب من نزوات الغرائز، لأن الانقياد بالأنفس إلى الهدم والموت لا يكون أبداً إلا بأسباب من نزوات الغرائز، وناهيك بها من أسباب جذابة مؤاتية سلسة . . .

والهدم مضمون إذا كان الزرع في طفولة اللاوعي الفكري، إلى جانبه استغلال سطوة نزوات الغرائز إبان شبابها وثورتها وحماسها، وبالحري سطوة غريزتي الجنس والتملك.

والناقدون يتساءلون هل العلم بالمبادىء الهدامة وحده يكفي في قتل بواعثها وإزالة مفاهيمها؟ لا، لا، إن العلم وحده لا يكفي، نعم يكفي العلم إذا تقدمته تربية

صالحة واعية عالية مدعومة بإحساس سام بحقوق الأمة والدين والعلم والوطن، أي بالمثل الأعلى الاجتماعي في الأمة.

وما دمت علمت أن مرجع المذاهب السليمة هو عين الوحي القطعي الذي تلقاه مؤسس الدين الأول من رب العالمين عز وجل، دون زيادة أو نقصان، أو شذوذ أو خلاف، أو تباعد أو تناقض فتكون هي من عين معين الوحي الإلّهي تماماً، تماماً. حتى لو شذّت مسألة «ولو بسيطة»، وكان الوحي يشتمل على سواها لتنكر لها صاحب المذهب وأخذ بما ظهر يقيناً من معين وحي الله، وطرحها غير آسف، والباعث على ذلك هو الإيمان الصادق والتبتل والخشوع والخوف من الله جل جلاله، والنية الصالحة التي يكشفها الإيمان الصالح الصادق.

وكذلك ما دمت عرفت أن مسائل الفرق الشاذة هي كلام العنصريين الملاحدة، باعث النفاق وإضمار الشر والأذى والكيد، كل ذلك يبدو لك إذا قارنته بوحي الله الصادق، وما جاء في مذاهبه السليمة، والمقارنة ممكنة وهي تهدي قطعاً إذا كانت بيقين براهين العلم القطعي من عالم مكين متبتل لكشف خفايا العلم اليقيني في الأشياء...

ومهما يكن فما دمت عرفت ذلك فبالضرورة تكون المبادىء التي دست في الدين هي صارخة بينة مكشوفة لكل حواسك الخمس.

ولا يجعل مبادىء الفرق الهدامة هي عين الدين والوحي القطعي الذي تلقاه المؤسس الأول للدين، إلا جاهل غبي، لا يفرق بين الوحي القطعي العالي الرائع، وبين الترهات الممزقة، التي دست لإفساد قلوب فطرية لما تعلم الحقائق، ويكفيك بعداً وسخطاً من الله أن مبادىء الفرق الممزقة، لا نور لها من الله، ولا من العلم، ولا من الإنسانية، بل هي ممزقة، ممزقة، شأنها زرع الغفلة والباطل.

ولو أردت أن أعدد الفرق الممزقة التي تكونت حول الأديان السماوية وسواها لضاقت أنفاس المجلدات عن ذلك، وعلى أنك لو رحت تبحث عنها وعن أساطيرها وخوارقها ومسائلها لوجدتها في مؤلفات الملل والنحل، والمؤلفات التي تتحدث عن أهل الأهواء في الأديان، وإذا حاولت أن تختصر هذه الفكرة أدق اختصار...

فقل، إن المذهب الصحيح القطعي هو عين الوحي الصحيح القطعي، فإذا

بدا لك شيء مما في المذهب سوى ذلك فصاحب المذهب بريء منه، وحالاً عد به إلى صحيح الوحي الإلّهي . . .

وأما الفرق فمبادئها في واد والوحي الإلّهي الصحيح في واد آخر لا صلة بالوحي القطعي به، ولا شبه صلة، هي سواه. . . سواه، من كل الوجوه.

وكل المسائل التي جرت حول قضية المذهب وقضية الفرقة، هو في جوف هذه الكلمة المختصرة. . .

المذهب هو الإيمان بالوحي الإلّهي القطعي، والفرقة هي الكفر بالوحي الإلّهي القطعي، ونسبتها إليه كنسبة الدم الذي كان في قميص يوسف إلى الذئب دس، دس.

أعمال حرية الإرادة في المذاهب المؤمنة

لا ريب أن حرية الإرادة الجزئية التي منحها الله للجن والإنس، هي السبب في نشوء المذاهب المؤمنة الهادية والفرق المضللة الكافرة.

نعم خلق الله الجن والإنس لطاعته وعبادته ولكن لم يخلقهم مجبورين على طاعته وعبادته وليس في قدرتهم مخالفة لأمره وعصيانه كالملائكة الكرام.

لا، لا، بل خلقهم أحراراً لهم تمام المشيئة في أعمالهم فإذا شاؤوا الإيمان والطاعة استطاعوا، وإن شاؤوا الكفر والعصيان استطاعوا، لا جبر لهم من قبل الحق جل وعلا.

ولكنه جل وعلا لم يهملهم مع كل ذلك بل خلق لهم عقولاً في مجموعاتهم النفسية، توجههم إلى حقيقة الإيمان بالعلم القطعي الذي تحرره عقولهم وتستوعب حقائقه، كما أقام لهم كل بواعث الإيمان، من إنزال وحي، وإرسال رسل، وتأييدهم بالمعجزات الباهرات، أجل أقام الله في أنفسهم كل بصائر الإيمان والهداية والتصديق كما أقام لهم البراهين الصارخة الهادية إلى يقين الحق الصريح الصحيح في الإيمان، ولكن ذلك دون جبر وإرغام عليه، لذلك كانت التبعة تقع على عاتق المعتمدين الإعراض عن الإيمان، ومن أجل ذلك خلق الله عالم النعيم لمن لم يعرض وآمن، وعالم العذاب لمن أعرض وكفر، وفي ذلك يقول الله جل جلاله:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلوبٌ لَا يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وإبليس اللعين لو لم يملك حرية الإرادة لما استطاع أن يتمرد على أمر الله جل جلاله ويستكبر ويأبى أن يسجد لآدم في جملة الملائكة لما أمرهم الله بذلك محتجاً أنه أفضل من آدم في زعمه، لأنه مخلوق من نار وآدم من طين، وهذا منصوص عليه في وحي الله المتواتر...

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ. قَالَ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مَنْ طِينٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [صَ: ٧١ - ٧٨].

إذن فحرية الإرادة الجزئية هذه، هي التي جعلت إبليس يرفض السجود لآدم ويتوعد بإغواء من يستطيع إغواءه من ذرية آدم إلى يوم القيامة... وهذا هو الحاصل.

وحرية الإرادة هذه هي التي جعلت فريقاً من ذرية آدم يستجيبون لإغواء إبليس اللعين ويكفرون بوجود الله ويلحدون ويدسون مبادىء الفرق المضلة في كل دين سماوي كريم هادىء بأساليب شتى من الدهاء والكيد، وزرع الفتن والإباحية والأحقاد.

أما كيفية نشوء الفرق المضللة المفسدة والمذاهب المؤمنة الصالحة، فإليك هو...

من الواضح أن الله جل وعز لم يترك خلقه هملاً دون أن يقيم لهم المعالم التي تهديهم إلى سواء السبيل.. بل كما أشرت إلى ذلك... أرسل الله الرسل وهم دعاة هداية إلى صدق الإيمان بالله جل وعز، وأنزل عليهم كتبه لتكون هي المعالم إلى صدق ما يدعون إليه وأيدهم بالمعجزات الكبرى الزاجرة للمكذبين، ولكن كل ذلك مع القدرة على الاستجابة أو عدم الاستجابة، إبقاء على حرية الإرادة

الجزئية التي هي الحد الفاصل بين المؤاخذة وعـدمها.

وإذا أردت معـرفة الـطريق المستقيمة التي سلكهـا الـدارسـون المؤمنـون الأبرار... والطريق المعوجة التي سلكها الدارسون الملحدون الفجار، فهي مفصلة في مؤلفات دراسة الأديان والملل والنحل، والأهواء وأصول استنباط الأحكام في المذاهب الصحيحة، وتفصيل هذه تقتضي مجلدات.

ولا تعجب إذا أبصرت الفرق المنحرفة كثيراً حول الأديان السماوية خاصة فهذه آية على حرية العقيدة، وآية على صدق الأخبار الموثوقة التي نصت على حدوث كل ذلك...

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قول رسول الله ﷺ في عدد الفرق التي حدثت والتي ستحدث فقال...

«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

وأما فرق أهل الأهواء الوضعية فإن صاحب الملل والنحل يقول ص ١٣ : «لا تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم...».

والآن يحسن أن نعرض على القراء أعمال أهل المذاهب السليمة الصحيحة وأعمال أهل الفرق الفاسدة وكيفية تطبيقها واستخلاص المسائل منها ووسائل الدعوة إليها.

والآن أبدأ بالمذاهب الصحيحة المستخلصة من صميم وحي الله القطعي، دون انحراف ودس، ودون زيادة ونقصان، وتأويل وشذوذ، ودون تناء عن الغاية الخيرة المباركة الجامعة التي أنزل الله من أجلها وحيه على من شاء من رسله الكرام للنهوض بعباده إلى الإيمان الصادق والتقوى وصدق الاستقامة وصحيح التوجه إليه أثناء عبادته جل جلاله.

... وأئمة المذاهب الصحيحة الصالحة هم من فحول علماء المؤمنين، ومن أبرارهم الأخيار الذين يتبتلون للقربى إلى الله خالقهم بخدمة وحيه المعجز، وإيصال فهمه الصحيح إلى عباده ليلتزموا العمل به بعزم وحزم، ويسعدوا به سعادة الدارين. ويسمو السمو الإنساني الخليق بالإنسان... الإنسان.

ولماذا؟ لا . . . وهم أئمة أعلام يستخلصون مسائل مذاهبهم المرضية، وأحكامها من صميم وحي الله القطعي، بعد أن يكونوا حرروا صدق نسبته إلى رب العالمين.

أجل هم أئمة أعلام يستخلصون مسائل مذاهبهم من صميم الوحي القطعي دون انحراف أو خلل أو زيادة ونقصان، ودون تأويل بعيد لا صلة له بالوحي المحكم، ودون شذوذ عن الغاية الخيرة المباركة التي أنزل الله من أجلها وحيه ليكون هدى للناس وللمتقين . . .

وحسبهم مكانة في العلم اليقيني أنهم صادقون في تقديم البرهان الصارخ على كل مسألة أو أنهم صادقون في توجههم المستقيم الصحيح إلى رب العالمين وحده دون شريك وند ومعين.

ويا لله . . . كم لمذاهبهم من سمو ونور وخلق، وكم لفصولها وأبوابها وأصولها وفروعها من كريم الالتزام بهدى من الله وكريم الأخذ بوحيه المنزل اليقيني الحق، وبسرعة الإقدام على الأمر وبسرعة الإحجام عن النهي.

أي هي مذاهب موازينها الروح والنور من براهين وحي الله القطعي الذي به تستطيع بوعي علمك، وحرية فكرك أن تميز العمل السامي من العمل المنحط، وتميز به حكمة يقين الدين من سفه ترهات الأساطير، ومن علو العلم، من إسفاف الجهل، ومن شرق الوعي، إنها مذاهب ذات أمجاد أتباعها ليسوا إمعات يخالون الخرافات، وأشباه الخرافات التي لفقها الملفقون أنها اجتهادات علمية لفقهاء عباقرة وأئمة أعلام لا . . . لا . . . بل هم يأخذون ما يأخذون ويدعون ما يدعون بالحجة والبرهان وإيثار مصلحة الحضارة العليا . . .

والآن يجب أن يعلم الناس، كل الناس، أن الله ما أنزل وحيه إلا ليخرجهم من ظلمات انحطاط الغرائز وبواعث النزوات واختلاط الرجال بالنساء، والاختلاط القذر المريب، إلى نور الفكر والعلم والوحي والسمو بالأخلاق.

فإذا علم الناس هذه الحقائق كانوا أبعد الناس وأشدهم عنفاً على كل خداع مجرم خبيث يزين انحراف بإباحة المحرمات واستحلال الحرام، والسقوط بالشباب إلى مهالك الغرائز والنزوات.

إذن فأنت قبل أن تعطي أذنيك لأي داع يدعوك، اعط لعقلك ومستقبلك وأمانتك وأمتك الوعي والفهم لما تسمع، أي احذر ألف حذر قبل سماعك لأية دعوة تعرض عليك وتزين لك وتغريك وتسقط بك إلى السفه والانحراف الجارف باسم العلم والحق والهدى والمصلحة، وهي في النهاية خالية من الخير والحق والعلم والهدى والمصلحة، ويوحي إليك أن دعوته هي دعوة المذاهب الصحيحة النافعة الحرة.

أجل احذر أمثال هذا الداعي، بمعرفتك حقائق الفرق الهدامة الضارة، ومهما يكن من الأمر فكن أنت ذا وعي يقظ قادر على مجابهة الشر لصيانة العلم والخير والبصيرة الواعية النافذة، ولا ريب أن من كان في حصانة ومنعة وشوكة وقدرة على إبطال خطط إفساد المفسدين وهدم الهدامين الضالين فإنه هو الآمن في سربه ونفسه.

وهكذا من عرف أمجاد المذاهب الخيرة الصالحة الصحيحة نجا من خبائث الفرق الضالة المنحرفة.

وكم من شبان أبناء الجامعات في العالم وضعت حولهم الفخاخ لإيقاعهم ببواعث غرائزهم الثائرة إلى شر الدعوات وأردأها وأخسرها . . .

نعم الشباب الذين يحصنون بيقين العلم وسعة أفق الفكر ويقظة الوعي وشرح دعوات الخير من دعوات الشر، هم في وقاية من المهالك، ألا ترى كيف يحقن جسد الإنسان بأمصال الأمراض ليكون وعي الدم يقظاً في دفع الشر الغريب إذا هجم على حين غرة، كذلك فكرك أيها الشاب إذا حقن . . .

وما دمت ذا وعي ويقظة وعلم وبصيرة فأنت بمجرد ما يتحدث المحدث أمامك أو من وراء حجاب . . . تدرك إن كان داعياً لفرقة مشبوهة هدامة مقوضة لك ولأمتك والحضارة والعلم والإنسانية.

أجل تدرك ذلك تماماً كما أنك تدرك الداعي إلى المذاهب الصالحة الخيرة الهادية إلى الإيمان الصحيح بالعلم الصحيح، وبالبرهان الصحيح.

مسالك العنصرية الملحدة
لهدم حقائق الانسانية القطعية في وحي الله

قد سلك العنصريون الملاحدة منذ أقدم العصور مسالك ذات طلاسم وألغاز، وذات أحقاد لهدم كل حقيقة قطعية يقوم عليها دعائم أمجاد الإنسانية، وصلات رحمها الواحد، ومراشد أمنها وتعاونها وتعارفها، أي تقوم عليها أسس وحدتها الحضارية العالية والسبب الذي جعل العنصرية الملحدة تسلك هذه المسالك المريبة المنحرفة الباغية، وتنحرف عامدة عن خط الإيمان بالرحم الواحد، والإيمان الصحيح المستقيم، هو كبرها الذي جعلها تعزل نفسها عن نعيم الإيمان، وعن كل مُثُل الإنسانية العليا ذات الرحم الواحد.

ومن أجل ذلك أبت أن يكون أهلها بشراً كسائر البشر، بل هم وحدهم الإنسانية، وما عداهم من الأنواع التي هي دون الإنسانية. . .

ومن جراء رفضهمْ أن يكونوا كسائر البشر طفقوا يندسون في أنفاس الأمم ومصادر قواها وموارد طاقاتها واستغلالها لهدمها وتمكينهم من التحكم في مصايرها باصطناع الخونة الأوشاب من كل أمة، من نساء ورجال وولدان، صنائع تدمير وبغي وإبادة.

وإني أجمل في هذا الفصل جملة المسالك التي اصطنعوها ودسوها وزينوها لهذه الأغراض وإليك هي. . .

المسلك الأول: التشويش على الحقيقة الواحدة بدس أقوال كثيرة وتفسيرات

وتأويلات من حولها ما أنزل الله بها من سلطان، ونسبتها بكل دهاء وكيد إلى من يوثق الناس بأماناتهم العلمية وحسن الرأي فيهم. . . !!

المسلك الثاني: عرض صور الأشياء معكوسة بأسلوب الغمام الجهام تعمية للمبصرين المطالعين وإثارة لأغبيائهم حيث لا يفطنون للشر الهدام المتواري في زينة صور البناء المدخول المزعوم أنه صورة التقدم والأسطورة المزعومة أنها صورة الوحي، والباطل المزعوم أنه صورة الحق، والجهل المزعوم أنه صورة العلم، وأنى تستقيم لأمة بناء أمجاد علمية وحضارية والحال ما ذكرنا.

المسلك الثالث: الإطراء الجزاف والمبالغة في الاحتفاء ومنح الأشرطة والأوسمة لكل منحرف أفاك ملحد، والمقصود من كل ذلك هو تضليل الشباب وإغرائهم لكي يتصوروا أن انحراف الإلحاد هو عين التقدم العلمي والصعود الحضاري.

المسلك الرابع: بناء مصنع لصنع المنحرفين وتوليدهم وذلك باصطناع رجل أو امرأة منحرفة وإمداده وإمدادها بكل مرافق العزة والكرامة والانتصار، وكل وظيفتهما هو صنع المنحرفين على شاكلتهما بكل وسائل إغراء الأبالسة ومفاتنهم، أي تركيزهم ليكونوا حبالة منصوبة لصيد الجاهلين والمتجاهلين والمنافقين والمنتهزين والدهاة العتاة الذين يفسح لهم في سبيل التسلط والتجبر.

المسلك الخامس: تنشئة فتيان وفتيات من أبناء الأمة على المبادىء المنحرفة المعدة لهدم أمتهم وتقويض أركانها وذلك بإدخالهم في المراكز الحساسة ذات السلطان والهيمنة وذلك بأسلوب قريب أخاذ لا تبدو فيه شبهة انحراف في الظاهر، وإنما كل الهدم في الخفاء.

المسلك السادس: إبداع مذهب ديني ظاهره الإيمان والخير وباطنه الإلحاد والشر والانحراف، كالقاديانية، والبهائية، وأضرابهما، أو مذهب فلسفي، كالوجودية والعلمانية وأضرابهما، ثم العمل الدائب لتمكين أهل المذهبين من السلطان والعزة والنفوذ الحاسم في الأمة الواحدة العادية لكي تعيش فوضى كثيرة الأهواء لا تقوم لها قائمة.

المسلك السابع: إظهار التعصب الممقوت غير العادي لأحسن أهداف الأمة

وأقواها وأحبها إليها ليكون فخاً ونصباً خداعاً ليسوق المهووسين وأبقار البشر إلى المسالخ وهم مستبشرون فرحون، وما عهدنا بابن سبأ ببعيد في تاريخ فجر الإسلام.

المسلك الثامن: إحداث طوائف من الأمة الواحدة ذات وجهات متناقضة متباينة محال أن تتآلف وتتوادع... ومن هذا القبيل إنشاء الأحزاب... المتباينة المتصارعة، لكي لا تستقيم لأمتهم وحدة واجتماع. وتفاهم على أمر واحد.

المسلك التاسع: دس المخدرات في أدق أوساط الأمة، والأهم من الدس هو إيقاع الشباب والشابات في بلايا تعاطيها، بأساليب الإهداء والصداقات والمجالس السرية، والحكم بالإعدام لا يكفي في الردع والزجر، وإن أقرته الدول كافة، لأن مسالك الإغواء والمخالفات وإذاعة الشر والأذى يظل خفياً، خفياً، ودهاة المجرمين يخططون له خططاً قلما يفطن لها رجال الأمن.

ألا ترى أن إبليس اللعين استطاع إغواء أبوينا وهما بين سمع الملائكة وأبصارهم ولهيب الرجم السوداء تتصاعد من الجحيم.

لذلك لا بد من المتابعة والسهر والبحث الدقيق ونشر العيون والأرصاد حيث يتلاقى المجرمون في مواطن خفية عن الأسماع والأبصار، وحيث يتعاملون ويصطنعون الحيل والمكائد.

وفكرة إمساك المريض المخدر الذي يتعاطى ذلك بالتشدد عليه لكي يدل على من يهيىء له ذلك هي فكرة عظيمة وبالحري إذا كانت مصانة بالإعدام السريع.

ونحن والحمد لله في أمن من كل ذلك لأن مصدر عقوبتنا هي من وحي الله، أنزلها في كتابه وفرضها لقمع المجرمين وصد من يحاول الإجرام أو يفكر فيه أو يخطر في قلبه، وما دامت نصوص الوحي تطبق بحذافيرها كما أراد الله جل وعز تطبيقها دون مجاملة أو مساندة أو مراوغة أو دسيسة أو إخفاء، ناهيك إذا لقي العقوبة من جامل وساند وراوغ ودس وأخفى.

ولا يُخفي المجرم إلا مجرم دساس خائن لأمته ولدولته ومصلحته، بل خائن للشريعة الإسلامية التي أراد الله بها أن تكون أمناً وسلاماً للأمم كافة.

ولعلك تقول إن دولة واحدة كدولتنا السعودية حرسها الله تأخذ بعزم وحزم بالدستور الذي أوحاه الله جل وعز لا يكفي في ردع المجرمين لدى الأمم كافة، وعسى الله سبحانه وتعالى أن يلهم قادة الأمم جميعاً إلى الأخذ والتطبيق بما أوحاه الله لأمن الجميع وسعادة الجميع.

وحينئذ يسعد الجميع في ظلال رحمة الله ورعايته وأمنه وسلامه ورضوانه... وحسبنا أن نتذكر ذكرى الاستمساك الأكيد بما يقوله الله عز وجل لنا في هذا الأمر...

﴿إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ومعلوم أن الله ورسوله لا يحاربون، إنما الذي يحارب هو ما أنزله الله على رسوله للأمن والإصلاح والسلام والخير... ومهما يكن فالانتصار أخيراً لله ورسوله والانهزام أخيراً لأعداء الله ورسوله...

أثر نفقات الدعاة الملاحدة لهدم الإيمان

هناك نفقات باهظة تقدر بآلاف الملايين من الدولارات تدفع سراً وعلناً لدعاة الإلحاد أعداء كل عقائد الإيمان بوجود الله جل وعز، ألا تراهم يحاربون بكل لعناتهم ومكايدهم وأباطيلهم مطلق الإيمان، بوجود الله في الأرض أياً كان نوع الإيمان...

وهؤلاء الدعاة الملاحدة هم من أقدم الأزمان مدسوسين لإفساد صميم الأديان السماوية وصحيح الإيمان بالله جل جلاله بكل مفتريات الشرك والوثنية، وبكل أساطيرها وخوارقها، وبكل الترهات المضحكة التي أجروها على ألسنة الكهنة والسدنة، بمغريات لا تخطر على بال.

أجل هم يفعلون ذلك تقويضاً لصحة الإيمان بالله جل جلاله ودعماً للإلحاد ودعايته... وهؤلاء الملاحدة هم الذين يتعهدون زيف البشر ممن يرونهم صالحين للتعهد بالإيحاء والتودد والدعم المادي ليطبعوا في صميم أحاسيس مجموعاتهم النفسية كل مخططاتهم ومؤامراتهم وشعاراتهم وتوجيهاتهم.

والزيف من البشر الذين يتعهدونهم... صنفان... لا وعي لهم، يحرسون أنفسهم من مضار انطباعات الإيحاءات المرصودة للإغواء والكسب الحرام... والصنفان هما...

الصنف الأول: الناشئة الغافلة القابلة لغسل الأدمغة بالإيحاء المركز وانطباعاته الموبوءة المبيتة على أصول أصبغة التربية والتعليم.

الصنف الثاني: البدائيون المعزولون في سحيق غابات الأرض وفي شعاب جبالها وفي سهوب أوديتها.

وأولاً وأخيراً، يُساق هذان الصنفان من البشر إلى المسالخ كما تساق الأبقار، ولكن بعد تسخيرهم في إنفاذ مؤامرات المخططات والمؤامرات التي دربوا على إنفاذها بإحكام من المدربين هنا وهناك وهنالك، حيث يظلون مجهولين.

ومهما يكن فهذان الصنفان من البشر هم محل الهدم والبناء، ومحل الأخذ والرد ومحل الانطباع، ومن ملاحدة هذين الصنفين من البشر يختار عصابة الدعاة الغواة المنحرفين لكي يدسوا بالخفاء في المصلحين للإفساد والتمزيق وتخريب بناء الأمة الحضاري وأمن سلامها وإنسانيته وسموه، وعموم دعوتها في العالم الحضاري الحديث، وعزلهم عن يقين العلم وقطعي الوحي، لكيلا يفهموا جلال دعوة السلام والإيمان وتجلي قداسة منافعهما، ورفعة توجيهاتهما الإنسانية العالية، لكيلا يفطن قادة دول جامعة الأمم إلى ما تحمله دعوة تحويل جامعة الأمم إلى دولة إنسانية سامية واحدة، فتشيد محكمة العدل الدولية الكبرى وتضع لها دستورها من صميم دعوة السلام والمصلحة العامة الشاملة، التي تؤمن لكل إنسان ما يحتاج إليه لاستمرار حياته وحياة أمته في هذه الكرة الأرضية، وتؤمن له ولهم كل الحقوق المشروعة، دون إخلال في العدل، ودون عبث في الحق، ودون انتكاس في العلم، وحينئذ يتحول كل الدعاة المرسلين لنشر المبادىء الهدامة إلى دعاة كرام ينهضون بالإنسانية إلى السلام ومثله العليا.

ولا ريب أن هؤلاء الدعاة مع طول مراسهم في إشعال الأحقاد وإثارة الفتن بين الأمم، وتمزيق وحدتها ومع اقتدارهم على زرع المبادىء الهدامة، وإيقاد صراع الحروب العالمية المتحاقدة في العالم، بخفيٍّ المؤامرات، فإنهم بجانب ذلك قادرين لصنع السلام.

أجل هم قادرون أن يحولوا أساليب الدعاية، فيتصدرون الدعاية للسلام الحضاري الحديث، يتصدرونه لأنهم يسمعون صرخاته داوية في صميم العُدد الحديثة، محذرة أن تستعمل فعلاً في غفلة عصبية، فإنها حينئذ لا تبقي من باقية لأحد منهم ولا من سواهم ولا من الدول الكبرى ولا من الدول الصغرى.

ولا ريب أن دعاة الإلحاد العنصري هؤلاء هم من أبناء الإنسانية، فهم إنسانيون من قبل أن يكونوا عنصريين، والعودة إلى الأصل أحق من الاستمرار على الانحراف العنصري الباغي المفسد المتآمر.

ومهما يكن فالإنسانية وحدتها عامة، وأمجادها أوسع أمجاد، وذكرياتها السامية أمجد الذكريات السامية وأعم، ولا انحراف فيها ولا أحقاد ولا فتن ولا دسائس ولا مؤامرات، كل ذلك في العنصرية الملحدة الباغية، والبغي مرتع مبتغيه وخيم...

أجل هم إنسانيون بالفطرة، ففي قدرتهم الآن أن يرجعوا إلى الأصل الإنساني، والرجوع إلى الأصل الإنساني سهل جداً وحسن جداً، وفيه الأمن لهم ولسواهم.

وحينئذ يمجدون وتمجد أسماؤهم وتدوّن في سجل الخالدين ما دام زوال انتكاس الإنسانية سيتم على أيديهم، وبذلك يكونون العقل السلمي الإنساني المفكر في هذا العصر الحضاري الحديث، أجل سيكونون حماة السلام وقادته وهداته والدعاة له، وهذا جد ممكن لهم ومرفرف في سرعة إقباله عليهم من قبل فوات الفرصة، وهذه بوادره ظاهرة في عالمي الدول الكبرى والصغرى، فالكل ينشدونه بولع وشوق، والكل يخفون لتكريمه وتذوق أسمى معانيه، وهذه أعلامه المرفرفة على صوى الطرق التي تفضي إلى إزالة مخاوف الدول الكبرى بعضها من بعض، ودعم الثقة فيما بينها بأساليب علمية يقينية ملموسة.

نعم إيجاد صدق الثقة بين قادة دول العالم في الباطن يكاد يكون مستحيل المستحيلات، وبالحري بعد تطور الأسلحة المخيفة في هذا العصر، فكم هم بسبب ذلك، في حذر وفي خوف، بل ومن غدر بعضهم ببعض ولكن مع كل ذلك في إمكانهم أن ينتزعوا الحذر والخوف من أنفسهم، ويحلوا محله الثقة، وما عليهم إلا أن يدولوا جامعة الأمم بكل الصدق لتكون دولة ترعى مصالح الدول عامة.

ألا تراهم جعلوا لأنفسهم حق الفيتو تأميناً لمصالحهم الخاصة، فهم في إمكانهم أن يزيلوا الحذر من أنفسهم إذا هم أسلموا شوكة أسلحتهم الحديثة إلى دولة السلام التي هي هم، ولكن بروح الإنسانية لا بروح العنصرية، وبروح السلام لا بروح الحرب.

وعلى كل حال فالعُدد التي بأيديهم يجب أن يوجهوها إذا أرادوا أن يظلوا أحياء إلى دعم دولة السلام، ولا ريب أنهم قادرون أن يوجهوها إلى ذلك بواسطة رضاهم هم قبل سواهم.

وهذه حقائق أخذ العالم يتحسسها، ويؤمن بها، وما طلب إزالة قواعد العُدد الحربية وإبطال مفعولها... وما إزالة مخاوف القادة أنفسهم منها قبل شعوبهم إلا شارة هداهم للحق والعلم والواقع في هذه الحضارة.

وكلهم مشفقون على هذه الحضارة التي ذهبت في سبيل دعمها وإتمامها ضحايا من العلماء الأعلام والمفكرين العمالق آلاف الآلاف، إذاً فهذه ليست وليدة الصدف، ولا من البِذَر التي تمنح، بل ثمرة ضحايا وجهاد طويل وفداء أبطال، لذلك كل من يملك أثارة من فكر وعلم يخشى على هذه الحضارة من حرب عالمية ثالثة.

لذلك تجد كل تفكير المفكرين وشغلهم الشاغل هو تحويل عُدد الحرب الحديثة لتكون عُدداً لحفظ السلام، ولولا الخوف من الغدر لسلمت هذه العُدد لدولة السلام المنشودة.

والحق أن إعداد العُدد لكل دولة هو لتأمين سلامها، ولكن شتان بين تأمين السلام لدولة واحدة وتأمين السلام للدول كافة كبرى وصغرى، وكم من فارق بين السلام الخاص والسلام العام الذي يدعم لكل عُدد الحرب الجديدة التي تملكها الدول الكبرى، فالسلام العام الذي يبقي الحضارة والمتحضرين لا يكون إلا بدولة السلام ومحكمة العدل الدولية الكبرى، وانتقال الهيمنة على استعمال الأسلحة الحديثة يعود إلى مجلس دولة السلام، وبذلك تحصل بين قادة الدول الطمأنينة، وتزول، وحينئذ يبطل تفاهم الدولة الكبرى على تقويض معالم الدول الصغرى، ويحل محله التفاهم على دعم دولة السلام ومحكمة العدل الكبرى.

وحينئذ يتحقق الأمن العام في العالم، الأمن الذي يتوقف عليه حياتهم في العالم، وحينئذ يزول الخوف والحذر من النفوس قاطبة.

نعم يسود العالم اليوم صنع تنشئات عنصرية موبوءة بالإلحاد والشرك والوثنيات المنحطة المتحاقدة والتقاليد المتخلفة الضالة المتوارثة المركزة منذ غفلة الطفولة في

مجموعاتهم النفسية... من أجل ذلك وضعت «علم دراسة الأديان» بالطريقة الإنسانية السلمية التي هي مدعومة بركنين عظيمين...

ركن الوحي اليقيني القطعي... وركن العلم اليقيني...

ولا ريب أن صدق الالتزام بهذين الركنين العظيمين حسب الطريقة المحررة المبني عليها علم دراسة أصول الأديان، هو نجاة من كل تخلف مهلك، وخلاص من كل شائبة عنصرية انعزالية ومن كل رغبة تسلط على أحد.

إذاً، فدعوة البشر إلى الاستمساك بالعلم القطعي وبالوحي اليقيني، فيه كل النجاة وكل الخلاص ولا شيء أكرم من دعوة الناس بالعلم القطعي وبالوحي اليقيني وبالفكر المحرر من لوثة التقاليد العمياء، ومرض الأنانية المزمن.

فالشفاء من كل الأدواء محقق في الاستمساك العملي بالعلم القطعي والوحي اليقيني...

فهلموا أيها الناس إلى الشفاء من كل الأدواء... هلموا وسارعوا إلى ما يحييكم...

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

اختراع فنون بذر الريب وضلالها

نجد في كل أمة دعاة لخلق الريب وافترائها ودسها في أوساط الجماعات والأفراد، كذلك نجد دعاة للهدى والصدق والعلم والحق.

فن بذر الريب

بذر الريب في الأنفس...

١ ـ هو فن الأشرار الحمقى الذين يخافون مواجهة حقائق العلم اليقيني.

٢ ـ وفن المنافقين الخرافيين الذين ينفرون من واقع العلم اليقيني لأنه لون ثابت شفاف يكشف تلونهم ونفسيات انحطاطهم.

٣ ـ وفن المجرمين المنتهزين الذين يريدون استمرار الفوضى التي تفرق شمل الفكر ووحدة التجانس.

٤ ـ وفن العيون والأرصاد الدخلاء في الأمة الذين يمتصون دماءها ومادة حياتها، ويبعدون أبناءها عن الإفادة من مواردها.

٥ ـ وفن الفاجرين أصحاب النزوات الذين يستحلون الحرام ويحرمون الحلال.

٦ ـ وفن العاجزين عن الظهور بطاقاتهم العلمية أو الأدبية أو الفنية المتفوقة، فلا يجدون سبيلاً إلا معارضة وقائع العلم اليقينية وجحودها، فإذا قلت إن فلاناً عالم ومحقق، جاء الجواب بدس الريب.

كشف افتنان الريب

الفن فيه الخير، وفيه الشر.
وفيه العلم، وفيه الجهل.
وفيه العفة، وفيه النزوة.
وفيه الصراحة، وفيه الإبهام.
وفيه الكفر، وفيه الإيمان.
وفيه الريب، وفيه اليقين.
وفيه الظاهر، وفيه الباطن.
وفيه الجيّد، وفيه الكريه.

وكشف افتنان الريب ليس باليسير أبداً، اقرأ مؤلفاً حيالهم واسمعهم أحاديثه وانظر رسوم أوجههم، وأمعن بصرك في وجوههم، وبصيرتك في أنفس من تتصل بهم أو تلقاهم أو تتحدث إليهم أو يتحدثون إليك، واطرح قناع المجاملات الروتينية جانباً وتذكر الحكمة الماثلة في هذا البيت:

فيا رُبَّ وجه كصافي النمير تشابه حامله والنمر

وتذكر قول البارودي:

فلا يغرنك بشر من أخي ملق فرونق الآل لا يشفي من الغلل

إذا فعلت كل ذلك وأمعنت بصيرتك في المجموعة النفسية وبواعث الأحاديث وكنه ما تهدف إليه فإنك تعرف منهم افتنان الزيف والريب.

فن الريب

صاحب افتنان الريب يقول الشيء الذي يجعلك ترتاب في يقين الواقع العلمي بأسلوب من جمال العبارة، وبحماسة من إفك الزيف وبطريقة مصنوعة في مصنع الدجل والإيحاء والتضليل.

وإليك أمثلة من افتنان الريب وصنع ذويها قديماً وحديثاً...

القديم

أنت تعجب إذا قلت إن الذبيح هو سيدنا إسماعيل، فيقول بل إسحاق، وإذا

سألته من أين أتاك هذا الريب وجعلك تشك في أنه إسماعيل؟ أجاب هكذا يقولون، وإذا بحثت في واقع «هكذا يقولون» ألفيته دساً وإفكاً ورواية منسوبة إلى ألسنة ثقات لم يقولوها.

وأنت تعجب إذا سمعت أن أناساً يحترفون بذر الريب في الأنفس بقذارة ونذالة ووقاحة اعتباطاً، اعتباطاً، يفعلونه تنفيذاً لمخطط يقصد منه الهدم لا البناء، وإشاعة الجهل وهدم العلم. ونصرة المبطلين ودحض الصادقين لأنهم منافقون دجالون لا إيمان لهم ولا صدق ولا إخلاص، بل هم أبعد ما يكونون من الصدق والإخلاص والإيمان، وأنى يكون لهم الإيمان، فهم مرصودون لهدم البناء وتقويض العمران وتفريق الجماعات وإجلاء الناس عن أوطانهم، واستلاب ثرواتهم، وإذا أمكن القضاء عليهم لا يتأخرون أبداً.

إذاً فلا تعجب إذا رأيتهم يشوشون حقائق العلم وحقائق الوحي، ويرصدون العلم والوحي في كل مكان يجدونهما منتصرين.

ومهما يكن فإذا رأيت هؤلاء الناس المنحرفين سالكين فجاً، فاعلم أنهم الشياطين، فاسلك أنت فجاً آخر، وبذلك تسلم من دسهم ومؤامراتهم.

الحديث

وأما الريب الحديثة فما أكثرها، فهم يصورون لك أن لغتك السهلة اللينة العربية صعبة، ويصورون أنها ضعيفة لا تصلح للعلوم والفنون، إلا الفنون الرخيصة، ولا تصلح للفلسفات سوى الهذر والأقاصيص، كقصة عنترة بن شداد، وألف ليلة وليلة، وسيف بن ذي يزن، ورأس الغول.

وما أشبه هذه القصص الخرافية... أجل، هم يقولون إن اللغة العربية تصلح لذلك ولا بد من زوالها والقضاء عليها، ويحبذون لأجل ذلك اللغات العامية، ويؤيدون قادتها ويمجدون شعراءها والناطقين بها، ويحتقرون كل من يتكلم باللغة العربية، لأنهم يعلمون أن أبناء الأقاليم كلها يعرفون اللغة العربية، ولكنهم يجهلون اللغات العامية في كل إقليم، من أجل ذلك تراهم يؤيدون اللغة العامية بكل إمكانياتهم ويحترمون شعراءها ويسخطون حتى على كبار شعراء اللغة الفصحى.

هذا لون من ألوان بذر الريب الحديثة. . . والدين أيضاً لم يفلت من ريبهم، وكذلك التشريع، فهم يرون قطع يد السارق أو قتل قاطع الطريق هو وحشية، ولكنهم لا يرون أية طريقة من الوحشية لمن يضع قنبلة فيهدم عمارة بأسرها، أو يضع في طريق المارة عبوة ناسفة وما أشبه ذلك.

ولو أردنا أن نستقصي الريب التي دست في هذا العصر حول القرآن المجيد وحول معجزات آياته، وحول تشريعه المقتبس منه، وحول نصوص الأحاديث الشريفة التي جاءت لتفسيره وتوجيهه، لرأيت العجب العجاب، بل لرأيت سخط الأنفس العاجزة صارخة في كل مكان، ومندّدة في كل اتجاه ولكن هذا كله لا يخيف سواهم، فالحق هو الحق، ويقين العلم هو يقين العلم، ووحي الله فوق كل قوة وسلطانه فوق كل سلطان، والله لا يحارب، فالهزيمة نازلة بهم حتماً في أقرب وقت، ومن عاش رأى ذلك بأم عينيه. . .

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ ٱللّهَ فَإِنَّ ٱللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

شرود المجموعة النفسية
عن استقامة يقين الواقع الأكيد

وجود هذا الإنسان المدرك في الكون هو من يقين الواقع المعاين. والفلاسفة الذين يرون وجوده في هذا الكون حلماً طائراً، وخيالاً مجنحاً تهيمن عليه سنة خلوة غافلة مغشّاة بأهواء من لذات وشيكة الزوال خاطفة النهاية والغاية.

والذي جعلهم يجنحون إلى حسبان أهوائهم المجنحة ذات الحساسيات المادية هو يقين الواقع العلمي الماثل في ذوات الوجود، أي غرورهم بلذات الحياة وتصورهم أنها أبدية.. وهم لذلك تجدهم في أعمال مجموعاتهم النفسية مرتبطين بمقتضيات ذواتهم المادية المقتصرة على الأخذ والعطاء في صميم أحاسيسهم المادية وتجدهم معرضين في دراساتهم وأعمالهم عن حقائق الذوات الطاقية الصارخة في صميم تكوين ذواتهم المادية المهيمنة عليهم وفي صميم حقائق وحي الله اليقيني.

وأنى كانوا وأنى يكونوا فلن يفلتوا من سطوة سلطان الطاقة الروحية التي بها يحسون أنهم أحياء في صميم ذوات الأكوان المادية، وفي عين أعيان الطاقة إذ تقوم ذوات الأكوان وذواتهم على شقين: المادة والطاقة.

فمن اقتصر على البحث والتنقيب في حقائق ذوات الطاقة الروحية أضر بنفسه، ومن اقتصر على الحقائق المادية كذلك أضر بنفسه.

فلا بد من جمع الدراستين والإلمام بعلم مقاصد ذوات الأكوان بجانب الإحاطة بالعلوم المادية الصرفة فالعلوم المادية تكشف الأسرار على عجائب الذوات

المادية المتوجهة لكشفها مجموعات نفسية علماء المادة، أي هم متوجهون إلى كشف كل ما هو مادي صرف دون أي اهتمام لعلم مقاصد التكوين، وهذا كاف منهم حتى يتجنبوا الخلط بين علم الكشف المادي التكسويني، وبين المقاصد التكوينية في الأشياء.

فالعالِم المادي يبحث عن حقائق تكوين الأذن مثلاً من الناحية المادية الصرفة وعالم المقاصد يبحث عن أسرار القصد التكويني منها.

إذن فكل قسم من الدارسين يعمل إلى كشف الناحية التي خصص لأجلها.

وهذا البحث الاقتصاري التنقيبي في حقائق التكوين من الناحيتين يمهد السبيل لتخصص العلماء في أحد الطريقين المادي الصرف والطاقي الغائي الصرف فهما يلتقيان على بساط الإيمان بجلال مكون الأكوان رب المادة والطاقة والغاية، بل رب كل شيء.

ومتى انكشف للعالم البحاثة علم الغايات والمقاصد الكونية عرف الله، ومن عرف الله عرف حقائق وحيه جل وعز، وحقائق رسله الكرام ـ صلوات الله عليهم ـ واهتدى إلى سر عوالم ذوات الطاقات الروحية مثل اهتدائه إلى سر عوالم الذوات المادية.

وفي كل ذلك يقوى الإيمان بالعلم اليقيني، وما أجمل الإيمان المشيد على أسس العلم اليقيني، والوحي اليقيني. اللهم ثبتنا...

تحرير وحي الله لمزاعم الملوك
أنهم آلهة من دون الله

تحرير وحي الله لمزاعم الملوك أنهم آلهة قديم جداً.

ومن نظر في تاريخ الأمم الخوالي يجد مظاهر هذا التأليه صارخاً في كل صفحاته.

وهل أنزل الله وحيه على رسله الكرام إلا للقضاء على تأليه ذوات الوجود وعبادتها من دونه جل وعز.

ومهما تكن ذوات الوجود المعبودة من التهافت أو المناعة كالملائكة والجنة والبشر وكالحيوانات والنباتات والأحجار.

وقد كان هذا التأليه هو مبلغ علمهم، ونهاية ما تهفو إليه أنفسهم، أي كان يقين واقعهم.

وما دام التأليه، كان هو يقين واقعهم.

فقد سهل لملوكهم أن يدّعوا أنهم آلهة، وأن يفرضوا على شعوبهم عبادتهم من دون الله، لأنهم رأوا أنفسهم خيراً من هذا الرعيل المؤله المعبود.

وهم فرضوا ألوهيتهم وعبادتهم بسطوة وسلطان وبالإسـراع في عقوبـة من يرفض ذلك...

فهذا ملك الكلدان نمرود أعلن نفسه إلّهاً معبوداً وجحد ألوهية سواه وندد بها.

فأرسل الله له أبا الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل ليصرفه عن دعوى أنه هو الإلّه القادر على كل شيء، وهذا نص وحي الله في محاورته معه...

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومثل هذا ما كان بين سيدنا موسى وفرعون الزاعم لقومه أنه هو الرب الأعلى وكل الأرباب المعبودة من دونه هي خاضعة له ومسيرة بأمره.

وكم كان يجمع قومه بين يديه وينادي فيهم ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

وصدق الله العظيم إذ يقول عنه:

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

ففرعون كان ملكاً، ولو آمن بوجود الله حقاً لآمن بيوم الحساب. ولو آمن بيوم الحساب لما قال لوزيره وشريكه في إفك ألوهيته إذ كان يتظاهر أمام قومه أنه يعبده ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [المؤمن: ٣٦، ٣٧].

وأذكر هنا قصة ساخرة بألوهية فرعون وتواطؤ هامان وزيره معه، رواها لي الدكتور الزراعي محمود بسيم، قال: يُحكى أن امرأة فلاحة جاءت إلى قصر فرعون يوم الاثنين لحاجة لها فقابلها وزيره هامان وقال لها:

إن فرعون اليوم يخلق الأبقار، فهو مشغول. فذهبت الفلاحة منكسرة الخاطر. ولما التقى هامان بفرعون قصّ له قصة الفلاحة وما قاله لها فاكفهر وجه فرعون وقال له: لم أكن أخلق الأبقار، بل كنت أخلق الحمير فضحك هامان وقال له (على هامان يا فرعون). وضحك فرعون لما بينهما من التواطؤ، وزاعم الألوهية من البشر في أكثر الأحوال يكون جاحداً ليوم الحساب.

وهذا النص يؤكد ذلك: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بيومِ الْحِسَابِ﴾ [المؤمن: ٢٧].

وهكذا يدرك الملوك المؤلهون أنفسهم أن ألوهيتهم باطلة وكلها أساطير وترهات وكلها رؤى وأحلام وزيف وتدجيل.

وأن المعابد المشيدة باسمهم مصائد لأموال الناس وعقولهم وإرادتهم وحريتهم وتسخيرها لهم ولكهانهم.

أما الملوك المؤمنون إذا درست سيرهم فإنك تجد العجب العجاب من صدق الإيمان وضراعة النبل وصدق الإخلاص، فإن رأيت في التاريخ القديم أو الحديث سوى ذلك فاعلم أنه شخص أجنبي عنصري دس بين ناشئة المؤمنين لتنفيذ فكرة بعينها. فهو أبعد الناس عن فهم الإيمان المنزل في كتب الوحي كافة ومثل الإنسانية العليا.

عد إلى مطلع تاريخ الإسلام في فجره وانظر في أحوال قادته كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم - فإنك تجد القادة المؤمنين الخاشعين المناضلين الصابرين المجاهدين.

وعد إلى قادة الإسلام على مدى العصور في بلاد الإسلام، سوريا والعراق ومصر والمغرب وتركيا وإيران والهند وأندونيسيا وادرس سيرهم وأعمالهم.

فإنك تظفر بما يقر عينك، وانظر إلى قلب جزيرة العرب في عصرها الحديث وانظر إلى قادتها وبالحري في وطننا السعودي انظر إلى عقيدة الملك عبد العزيز موحد الجزيرة العربية وجامع كلمتها.

وادرس حياته الإسلامية الخالصة فإنك تلمس عجباً من عباداته وضراعاته وصدقه، وعد إلى بنيه الذين تولوا الملك.. وكيف هم..؟

إقرأ يا أخي تاريخ كل واحد، وانظر في صفحته الإسلامية، أما تجده صادقاً في إيمانه، لا يرضى بالإلحاد والكفر، أما ترى أن ليس للمرتد إلا الإبادة.

لأن الجواسيس والخونة والمنافقين والكذابين لا يكونون إلا من هؤلاء المرتدين الملاحدة.

هذا الذي كان في تاريخ الإسلام القديم، وهذا ما هو كائن في تاريخه

الحديث وعلى يد هؤلاء المرتدين يكون هلاك الأمة وتقويض الدولة وتمزيق الكلمة والتربص والحقد.

اقرأ تاريخ المرتـدين قديمـاً وحديثـاً تلمس هذه الحقيقـة لمس حواسـك الخمس...

من أجل ذلك جاء الحكم الصارم لدى الدول كافة بإعدام الخونة والجواسيس والمتآمرين على سلامة الأمة والدولة ووحدتها ودينها. وهذا حكم الإسلام قديماً وحديثاً...

وأول ما يرتد المرتد عنه هو الجماعة يفارقها عقيدة وسلوكاً وإخلاصاً ورعاية وتضحية.

عد إلى نصوص الوحي التي وردت في حق المرتـدين والخونـة وسافكي الدماء، ثم انظر ملياً في تاريخهم تجد الحقيقة ماثلة أمامك.

الفائدة العلمية

والفائدة من هذه الكلمة العلمية هي أنك تدرك أن كثيراً من القادة في الأديان الأخرى يتظاهرون بالاستسلام لعقائد أديانهم، وهم في صميم أنفسهم غير مؤمنين: فقط يتاجرون على حساب المغفلين المساكين.

أما القادة المسلمون فهم مسلمون حقاً وصدقاً.. لأنهم لا يجدون ثغرة في وحي الله غير علمية ويقينية لهم ولقيادتهم في أمتهم. ولعلهم لو خرجوا عن الإسلام عرضوا أنفسهم للهلاك والطرد والحرمان، لأن تعاليم الإسلام جامعة للخير والأمانة، ومانعة للشر والخيانة.

فالحمد لله على إسلامنا وهدايتنا، وبارك الله لنا في قادتنا المؤمنين الذائدين عن حقائق الإسلام ومثله العليا.

إعدام المرتدين هو عين حفظ الحرية

ومن الجهل المحض أن يحسب إعدام المرتدين المنافقين ظلماً وتجاوزاً على حقوق الحرية الشخصية، حاشا أن يكون هذا في مثل الإسلام العليا، ولكن لو علم

الحاسب ذلك أن المرتد هو الذي يحاول هدم وحدة الأمة، وتمزيق كلمتها والقضاء على المثل العليا التي لا تضارعها مثل عليا في أمة من الأمم، ولا في شريعة من الشرائع، لما حسب ذلك ظلماً.

ومهما يكن.. ﴿وَيَأْبَىٰ ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

الاختلاط بين ذات الله جل وعز وذوات الطاقات

من أسباب الاختلاط الفاحش بين ذات الله جل وعز وذوات الطاقات، جهل العلم اليقيني بحقائقهما، ولا ريب أن الجهل بالحقائق يفضي إلى الالتباس وهذا الذي كان قديماً، لدى أهل النحل الوضعية. . .

ولو علموا أن الجهل بكنه ذات الله العلي، والجهل بكنه ذوات الطاقات هو عين العلم اليقيني لما اختلط عليهم الأمر، ولما ألّهوا بعض ذوات الطاقات وقدسوها وعبدوها باعتبار أنها هي ذات الله الخالق الحق.

ولعل بعض أشطار المثقفين المغرورين يعجبون كيف يكون الجهل بكنه ذات الله، والجهل بكنه ذوات الطاقات هو عين العلم. . .

ومثار عجبهم أنهم قصروا نظرهم في مدلولي علم وجهل في ما بين أيديهم من عوالم المادة، ولو امتدوا بنظرهم إلى ما وراء عوالم المادة، لما عجبوا. . .

ولما كان كشف هذا الموضوع يفتقر إلى تفصيل وبيان.

فعلت ذلك. ورجائي أن أوفق بقدر ما تفضل الله علي به من علم. . .

الجهل بكنه ذوات الطاقات

إن ذات الطاقة كائن بسيط: أي لم يكن من الذرات، فالعناصر، فالمادات؛ حتى يصبح قابلاً للتحليل والتركيب، فيعلم كهنه. . .

وجهل العلم بحقيقة كنه الطاقات لا يقتضي جحود وجودها، لأن وجودها مؤكد بأعمالها الظاهرة في ذوات المادات. كالحرارة والنور والجاذبية والطاقة الحية في الحيوان والنبات.

ومعلوم أن الطاقات قسمان: حية كالطاقات الماثلة في عوالم الأحياء أي الأرواح والملائكة والجان، وغير حية: كالمغناطيس والأثير وسواهما... والحق أن الطاقة حية وغير حية لو لم تظهر بأعمالها التكوينية المحيرة المدهشة، لما عرف العلماء وجودها.. ومع ذلك فقد استحال عليهم معرفة حقائقها.. لأن تحقق معرفة وجود الكائن، لا يقتضي معرفة كنهه...

الجهل بكنه ذات الله الخالق العظيم

معرفة الكنه هي معرفة عين الحقيقة في الشيء المطلوب التعرف إليه. وإذا كان علم الإنسان وقف عاجزاً عن معرفة كنه ذوات طاقات هذا الوجود، وأعلن عجزه على طول مثابرته للدرس والفحص والتنقيب والتحليل والتركيب.

وكم بذل من جهود وكم يبذل ليعرف كنه ذات طاقة واحدة هي كطاقة الحياة في الإنسان والحيوان والنبات.. ولا يشك أنه متى عرف كنهها استطاع إيجاد مثلها وهذا مستحيل إلى أبد الآبدين.

وإذا كان العلم وقف عاجزاً عن معرفة كنه ذوات الطاقات في هذا الوجود. فما يكون موقفه حيال ذات الله الخالق العظيم الذي أوجد هذا الوجود بكل عوالمه المادية والطاقية. وهيمن عليه بعلمه وإرادته وقدرته.. ألا يكون العجز الضارع الذليل، وألا يكون هذا العجز الضارع الذليل هو نهاية العلم بكنه ذات الله الخالق العظيم...

والآن أصارحك، إذا كنت من أهل الثقافة الواسعة والعلم، ولم تكن من أشطار المثقفين السطحيين.. وأقول: ما دام العلم عجز عن كشف حقائق ذوات الطاقات، فلمَ لا يكون أعجز عن كشف كنه ذات الله الخالق العظيم...؟!

وهذا العجز لا يتمثله إلا من اطّلع على سعة عوالم الوجود: من سماوات وكواكب وشموس وأقمار ومجرات وسدم، وما وراءها مما هو مجهول، مع أنه موجود.. موجود...

هذا العجز نفسه هو ما أعلنه الله في وحيه وتحققته عقولنا وقلوبنا بالإيمان والعلم. . .

تأمل في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن الجهل بين كنه ذات الله الخالق العظيم، وكنه ذوات الطاقات، جاء اختلاط الألوهية لدى القدماء. . .

فهم لو ميزوا بين الطاقة الحية الحالة في الفيل ـ وإن كان كنهها مجهولاً، وبين كنه ذات الله الخالق العظيم ـ وإن كان كنهه مجهولاً. لما اختلط عليهم الأمر، حتى منحوا الطاقة الحية الحالة في ذات الفيل المعبودة الألوهية، وزعموا أنها هي الله الخالق العظيم.

والسبب الباعث هو جهل الكنه. . . ولو علموا أن جهل الكنه لا يخلط بين الذوات: لأن ذات الطاقة حادثة مخلوقة وذات الله أزلية خالقة، وشتان ما بين الخالق الأزلي والمخلوق الحادث أجل شتان شتان. . . على أن نفس الطاقة الحادثة هي من صنع الله الأزلي الخالق العظيم، وكذلك ما يصدر منها من أفعال.

على أن مؤلهي الطاقات لو امتدت بهم الأعمار إلى عصرنا، وعرفوا ما اكتشفه العلماء المحدثون فيه: من طاقات هي أعظم آلاف المرات، وأقدر آلاف المرات، من الطاقات التي أدهشتهم قديماً حتى ألّهوها وعبدوها، لآثروها بالتأليه والعبادة. أجل لآثروا ما اكتشفه العلماء المحدثون كل الإيثار، وهذا عين ما يكون منهم لو عرفوا الله مكون الأكوان جل وعز.

خذ مثلاً: بعض قدماء المصريين الذين ألّهوا طاقة الثور وقدسوه وعبدوه باعتبار أنها هي الله. والذي فتنهم منه تماسك تكوينه، وتظهر قوته الجبارة، وقدرته على فلاحة الأرض التي عليها مدار معاشهم. . .

ولو علموا أن طاقة الذرة التي اكتشفها العلماء في عصرنا وما تشتمل عليه من

الهول المرعب، وما تستطيع أن تفعله للسلم والحرب لهجروا كل عبادة وتأليه وعكفوا على تأليهها وعبادتها وحدها . . .

ويا ليت الأقدمين عرفوا أن ذوات الطاقات ليست هي صاحبة العلم والإرادة والقدرة التي يتم بها تكوين الأكوان، وإنما ذلك علم الله وإرادته وقدرته، وما تكوين الأكوان إلا مظاهرها ودلائلها العلمية اليقينية.

أجل لو عرف الأقدمون ذلك . . . لآمنوا بالله الخالق العظيم وحده، واستيقنوا أنه الأخلق بالعبادة والتقديس والضراعة والصلوات . . .

وأن كل عبادة وتقديس وضراعة وصلوات أي فرد من أفراد الكائنات هو جهل وإثم وكفر.

هذا وضع الطاقات المؤلهة من دون الله، لدى الأقدمين، وما جاء تأليهها إليهم إلا من الاختلاط الذي دسه جهل كنه ذات الله وكنه ذوات مخلوقاته.

ألا وإن بين ذات الله، وذوات الطاقات شأواً شاسعاً جداً جداً. لأن ذوات الطاقات موصوفة بكل صفات الكائنات الحادثة من توقيت أعمار وتعين البداية والنهاية، وتحديد كيفية الخلق، ومن خضوع لسنة إحاطة الجهات الست، ومن تذكر ونسيان وقيام وقعود وما إلى ذلك . . .

وأما ذات الله فمنزهة من كل صفات أفراد الكائنات المادية وسواها فلا حلول ولا سهو ولا سِنة ولا نوم ولا قعود ولا نسيان ولا أسف ولا ندم.

وإليك نصوص الوحي الإلٓهي التي تعلن هذا الواقع اليقيني . . .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة: الإخلاص].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠].

وأي شيء هذا الوجود بكل عوالمه. إنه لا يزيد عن خلية من أصغر الخلايا في قبضته عز وجل:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وإِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢ ـ ٨٣].

﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. وَالأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّموات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن رجع إلى خاتم الكتب السماوية يجد أمثال هذه الآيات وافرة.

الخلط بين الصانع ومصنوعاته

معلوم بالمشاهدة أن الصانع سوّى مصنوعاته ومعلوم بالمشاهدة أن المصنوعات لا بد لها من صانع . . !!

فعلم الصانع وإرادته وقدرته وإبداعه تتجلى في مصنوعاته بكل تأكيد. . .

وهي التي تدل على كبير سلطانه، وعلو مكانه، ورفعة شأنه. . .

ولا ريب أن الجهل بحقيقة المغايرة بين ذات الله جل وعز وذوات مخلوقاته يفضي حتماً إلى الخلط بينهما.

ولا ريب أن الذين يجوز عليهم الخلط بين ذات الله الخالق وذوات مخلوقاته يسهل عليهم تأليه أي فرد من أفراد المخلوقات صغيراً كان أو كبيراً، حيًّا كان أو غير حي، عاقلاً كان أو غير عاقل، طآقة كان أو غير طاقة. ما دامت أعماله في نظرهم تدل على عجائب العلم والإرادة والقدرة، ولو علموا أنه هو وأعماله من أعمال الله الخالق العظيم. . لما اختلط عليهم الأمر ولما ألّهوه وقدسوه وعبدوه من دون الله، وفيّ زعمهم أنهم يعبدون الله خالق كل شيء، ولا يعبدون سواه من بعض مصنوعاته.

وهل من علم أوسع، وإرادة أحكم، وقدرة أنفذ، وإبداع في الصنع أروع وأدق: من علم الله وإرادته، وقدرته، وإبداع تكوينه.

وما يظهره الله جل وعز من آثار علمه وقدراته وإرادته وإبداعه في مصنوعاته: إن هو إلا قطرة من بحار عمالقة اللجج . . !!

إذ محال أن يكون خلق العوالم قد استغرق كل علم الله وكل إرادته وكل قدرته.

ولكن ما يبدو من كل ذلك في أي كائن من الكائنات وإن صغر: كتكوين عالم النحل، فإنه يستدل به على جلال علم الله وإرادته وقدرته وإبداعه.

لأن صنع ذات النحل وصنع ما تنتجه من الشهد بإلهام الغرائز الإلّهية وإرادتها وقدرتها، مع إعداد الوسائل المطلوبة لإنجاز ذلك، إن هو إلا دلائل تكوينه ناطقة بجلال الله المكون الحقيقي وعلمه وإرادته وقدرته.

وعلم تكوين الأكوان، وما تشتمل عليه كائناتها العاقلة العالمة من غزارة المعارف وسعتها الهائلة.. الهائلة... لا تزيد عما يمسكه سم الخِياط من الماء إذا أغمس في لجج البحار...

ومع كل ذلك جهل الأقدمون حقائق المغايرة بين الصانع ومصنوعاته، وإن كانت المصنوعات هي الأكوان.. والصانع هو الله جل جلاله.

وأقول بصراحة إن جهل هذه الحقائق هو الذي أفضى بالأقدمين إلى الاختلاط حتى جعلوا المصنوع صانعاً والمربوب رباً.

أي ألبسوا الحقائق الخاصة بالله الخالق العظيم بعض مخلوقاته فألّهوها وقدسوها وعبدوها...

وإذا شئت فقل نجم من تنازع الحقائق الخاصة بذات الله الخالق العظيم، والحقائق الخاصة بذوات المخلوقات الاختلاط المريع فجعلوا بعض أفراد الوجود هي الخالقة للوجود... ونجم بالتالي التخلف العلمي والحضاري والخلقي، وبلايا الإشراك والوثنية...

اتجاهات الأحياء العاقلة

إذا وجد أحياء في أي عالم من عوالم الفضاء المترامي الوسيع. ولهم إلهام وعقل ونظر... ولهم استنتاج وحرية وتصريح وبيان وعلم... ولهم تقاليد واعتقادات ومواريث وعواطف وغرائز...

أي لهم كل ما تشتمل عليه مجموعة البشر النفسية ساكني هذه الكرة الأرضية.

أجل.. إذا وجد أحياء من هذا النوع في أي عالم من عوالم الفضاء، فإنهم لا بد أن ينتهوا إلى أحد اتجاهات ثلاثة، ولا رابع لها...

١ ـ إما إلى الإيمان الصحيح بألوهية الله خالق الوجود الحق وحده...
٢ ـ وإما إلى الإيمان بألوهية أحد أفراد الكائنات...
٣ ـ وإما إلى الإلحاد النافي كل إيمان بأية ألوهية مطلقاً...!!

وكل اتجاه يكون حسب الحرية والمواهب والمواريث ووفق منطق المعرفة والبحث والتفكر صحيحاً كان أو غير صحيح، وعلمياً أو غير علمي، التفكر في حقائق العالم الذي يعيش فيه الكائن المفكر، وفي حقائق العوالم الأخرى السحيقة المترامية آفاقها الست في أبعاد الفضاء...

والآن أقدم تفصيل كل اتجاه بالذات على حدة ليلمس الاتجاه الإيماني الصحيح الذين يرفضون نعمة هذا الاتجاه الإيماني الصحيح بألوهية خالق الوجود الحق الذي له الخلق والأمر، وهذا الاتجاه الإيماني الصحيح نعمة لا تعدلها نعمة في السموات والأرض...

الأول: اتجاه الإيمان الصحيح

هو اتجاه الذين اهتدوا إلى الإيمان بألوهية خالق عوالم الوجود الأزلي الحق الأحد الذي لا يضاهيه ند ولا يشابهه مثيل ـ الله رب العالمين ـ وخالق الخلق أجمعين.

والاهتداء إلى معرفته والإيمان به ـ جل جلاله ـ لا يكون إلا نتيجة لأمور لا بد من توفرها وتحقيقها. . . !!

(أ) الدرس والتفكر والنظر في كل كون من أكوان الوجود المادية والطاقية على حدة، يُنظر هل يصلح أن يكون هو خالقها، ومحدد لها مواطنها ووظائفها وصلة بعضها ببعض والمهيمن عليها والمتصرف فيها:

١ ـ المادية منها: كالأجرام المادية المحتشدة في الفضاء، وأرضنا وجماداتها وأحياؤها، أي كل ذات مكونة من ذرات عنصر واحد أو عنصرين أو جملة عناصر. . .

٢ ـ الطاقية منها: كالجاذبية والنور والحرارة والأثير والروح. . أي كل ذات بسيطة غير مركبة من ذرات. . إذاً نفهم علمياً أن ليس ذات كون من ذوات هذه الأكوان يصح أن تكون هي الخالقة.

والمراد أن عوالم الوجود بقسميها المادي والروحي الطاقي، دلائل صارخة على وجود مكونها وجلاله وكماله وأنه ليس هو كلها أو بعضها. . أو تماثله أو يماثلها شيء ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

(ب) والعلم اليقيني يثبت بالدرس والنظر والبحث والاختبار. إن أي كائن من الكائنات المحصورة في الفضاء بآفاق جهاته الست. . محال أن يكون هو الله الأزلي مكون الأكوان والفارض عليها سننها. . . أجل محال لأنه يجب أن يكون موجوداً أزلاً قبل تكوينها. أي يجب أن يكون متصفاً بالأولية والعلم والإرادة والقدرة والهيمنة. . . وأمثالها من صفات الكمال العليا التي تليق بجلاله وكماله، كالملك العزيز الرازق الفتاح اللطيف الخبير العلي الكبير الرقيب الحسيب المجيد الحي القيوم الباقي الواسع. . . !!!

وهذه الصفات غير متحققة بمعانيها الإلّهية العليا في أي كائن من كائنات الفضاء المحصورة فيه سواء أكان من كائنات المادة أو كائنات الطاقة.

ومحال أن يتم تكوين كائن ما من مادة أو طاقة إلا بيد سابقة عليه تملك صفات التكوين الأساسية التي هي الأولية والعلم والإرادة والقدرة والهيمنة...

الأولية

... صفة أساسية لتحقق الخلق والإيجاد والتكوين... إذ يستحيل أن توجد الأكوان ويتم تكوينها قبل وجود المكون المتمم ـ جل وعز ـ أجل يستحيل أن يسبق وجود المصنوعات وجود صانعها بل قل إنه محال المحال...!!

فكر يا قارئي العزيز... كم يكون مجنوناً من يقول لك إن التلفاز وجد قبل وجود مخترعه وصانعه مركوني!! أو أن الطائرة وجدت قبل مخترعها الأول العباس بن فرناس الأندلسي: وهذا مثل الذين يقولون..:

«إن روح القدس جبريل عليه السلام، أو أية روح سواه، سواء عممت أو خصصت، أو توشترى أو سواه من البشر، أو الفيل الأبيض أو سواهْ من الحيوانات أو الشمس أو القمر أو الكواكب، أو النور أو الظلام، أو الشجر أو الحجر المنحوت منها الأصنام والأوثان أو أي فرد من أفراد الكائنات المادية أو الطاقية هو الإلّه الذي تحل فيه الروح التي يجب أن تعبد ويصلى لها وتسأل ويتضرع إليها لقضاء الحوائج، بزعمهم أنها أزلية وخالقة ومتصرفة ومهيمنة على كل شيء...».

يا قارئي العزيز... هب أن كل علماء الأرض، وكل رجال الإديان قالوا: «إن مهندس قصر الحمراء الذي في غرناطة هو من مواليد العهد السعودي في جزيرة العرب.. أو إن التلفاز وجد قبل وجود مركوني... وأيدوا قولهم هذا بألف رواية ورواية، وبألف خارقة وخارقة...

فهل تصدق ذلك... صارحني...
ألا تشيح بوجهك صارخاً وتنفض يدك مستنكراً وأنت ساخط.. لا أصدق.. لا أصدق.

وهكذا.. تستطيع أن تقول بلسان العلم اليقيني وبلسان الوحي اليقيني المؤيد بالبراهين العلمية القطعية:

«إن ملايين الروايات والنصوص والخوارق التي يتغنى بها أهل كل نحلة... ويثبتون بها ألوهية روح توشترى أو روح البهاء أو سواهما من عالم الإنسان، أو يثبتون بها ألوهية روح القدس جبريل عليه السلام، أو سواه من عوالم الطاقات الروحية الخيرة أو الشريرة.. أو يثبتون بها ألوهية روح الفيل الأبيض أو سواه من عالم الحيوان، أو يثبتون بها ألوهية النور والظلام أو سواهما.

أو يثبتون بها ألوهية الشمس والقمر أو سواهما من عوالم الأحجار والنباتات، وما جاء في فلسفة اليونان عن طاقات العقول العشر... فإن كل تلكم الروايات وكل تلك النصوص وكل تلك الخوارق لا تقدم ولا تؤخر ولا تبدل ولا تغير في ثبوت واقع العلم اليقيني أو نفيه، قلامة ظفر.. وإن بلغت عدد زبد البحر، أو اشتهرت حتى جرت على كل لسان...

والخوارق التي يؤيد بها الإفك والشر والفسوق والحب والغرام هي إمدادات من عوالم الأرواح الخبيثة التي تخفى جل المشاهدين.. وتخييل سحر وخوارق تلصق بالمعجزات، وتوهين للأعصاب وتسلط عليها، وقراءة أفكار واستنطاق للغرائز والأحلام، بخلاف المعجزة التي هي واقع عيان بعلم الله تأييداً لرسالة رسول أو نبوة نبي... ولا دخل للأرواح الشيطانية فيها، ولا للخديعة والاشتباه وكذلك لا دخل فيها لأرواح الملائكة الكرام وإنما هي روح من الله يبلغه لعباده بأية واسطة مذكورة في خاتم الوحي الإلّهي....

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ. وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥١ ـ ٥٣].

إذاً فإحياء الميت الذي أيد الله به صدق المسيح عليه السلام في رسالته، غير إحياء الميت الذي يكون للدجال قرب الساعة يؤيد به ألوهيته... إن هو إلا تصوير شيطاني تمثله الأرواح الخبيثة لإضلال وتخييل واشتباه، وخداع للبصر.

تأمل في هذا الحديث الشريف الذي رواه الشيخان البخاري ومسلم عن حذيفة عن النبي ﷺ قال:

«إن الدجال يخرج، وإن معه ماء وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب.. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب».

وإذا أردت أن تزداد يقيناً عد إلى الحديث الذي رواه مسلم عن النواس بن سمعان فإنك ترى فيه العجب العجاب التي يثبت بها الدجال ألوهيته كإنزاله الأمطار، وجعل الخصب لمن يؤمن بألوهيته.. والمحل لمن يكفر بها، وتلاشي الأموال وهكذا...

وماذا تقول في هذا المنظر... يدعو الدجال رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيشطره نصفين.. ثم يدعوه فيقوم إليه ضاحكاً متهللاً...

وما أكثر الخوارق والفلسفات التي يؤيد بها عباد الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات، إثباتاً لألوهيتها، أنها تفوق خوارق الدجال التي رواها البخاري ومسلم متفقين في بعضها، ومنفردين في البعض الآخر، لكي يثبت بها ألوهيته... وهي كلها زيف وباطل وتهاويل الأبالسة وأشباحهم وأصواتهم وكفرهم وعبثهم، خذ مثلاً هذه القصة العجيبة...

يقال... إن فقيراً من عباد الآلهة الثلاثة في الهند «برهما وسيفو وفشنو» دخل المعبد للعبادة والضراعة فاحتار إلى أي من الأصنام الثلاثة يتوجه وازدادت به الحيرة، وأخيراً رفع بصره إليهم جميعاً قائلاً: إلى أي منكم أتوجه وأعبد وأضرع...

وهنا حدثت الخارقة، سمع صوتاً ضخماً عالياً دوّى في كل المعبد... «أي واحد منا عبدت وتوجهت إليه فقد عبدت الجميع وتوجهت إلى الجميع».

وفلسفتهم في ذلك أنهم تصوروا أن الله رب العالمين هو روح أزلية حالة في الآلهة الثلاثة، فعبادته صحيحة في نظرهم، وربما وضعوا هذه القصة من أجل ذلك.

وهذا ما يقوله عباد الملاك جبريل، أو النور، أو الظلام، أو النار، أو الفيل

الأبيض، أو البقر والثيران والأصنام كافة، وكل ما اتخذ من أفراد الكائنات وعبد سواء كان من مادة أو طاقة.

... وفي النهاية... اخشع تالياً...

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عليمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ. بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ. لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ. وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٠ ـ ١٠٦].

مسؤولية وعي العقل

لا مسؤولية في الدنيا أكبر من مسؤولية وعي العقل... ووعي العقل هو النعمة العظمى التي ميز الله بها تكوين الإنسان عن سائر الأحياء.

وكان من أجل هذه النعمة العظمى ذات التمييز الكبير أن زود الله الإنسان في أصل تكوينه بحرية الإرادة... وبحرية العقيدة... التابعين لنعمة وعي العقل وحريته.

وبهذه الحريات الثلاث...

١ ـ حرية وعي العقل.

٢ ـ وحرية الإرادة.

٣ ـ وحرية العقيدة.

كان الإنسان مسؤولاً عن صحة عقيدته أو بطلانها، وعن أعماله وأقواله المختارة مسؤولية ذات عدل موزون في يقين العلم والوحي، سلباً وإيجاباً... أي يجازى الخير بالخير والشر بالشر.

تفسير

الوعي هو الحس الدقيق المعلوم بما يتوجه إليه العقل... والمجنون يفقد وعي العقل، وبالتالي ترفع عنه مسؤولية العدل الحكمي التشريعي.

والعقل هو الطاقة الحساسة المميزة المدركة في أعماق المجموعة النفسية، عين ما تقصده وتتوجه إليه أو تنصرف عنه لاعتبارات مقدرة موزونة خاصة له، وتطبق بالمثل على كل الأنفس بعين الاعتبارات في فعل الشيء أو في الإعراض عنه، لكل من فعل مثل ذلك فعلاً ذاتياً... قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ [الزلزال: ٨٧].

أي من يعمل مثقال ذرة من الشر ير شراً جزاء وفاقاً، ومن يعمل مثقال ذرة من الخير يرَ خيراً جزاء وفاقاً، وهذا يتجلى في الموازين القسط التي ذكرها الله تعالى في قوله:

﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

الإرادة

هي تقرير مجموعة نفس الإنسان على طلب الشيء أو رفضه، وتبعة مسؤولية الإرادة ناجمة عن حرية تصميمها النافذ منها فعلاً للشيء أو تركاً، ولولا تحقق الإرادة المسيطرة في مجموعة نفس الإنسان لما تحقق فعل شيء أو تركه أبداً.

والإرادة تمر عليها الأدوار التي تمر على حياة الإنسان من طفولة ومراهقة وشباب وكهولة وشيخوخة، ونبتة الإرادة تجدها في حياة الإنسان قبل الطفولة المميزة، لأنها متصلة بالإحساس الباعث إلى فعل الشيء أو تركه.

والإرادة بهذا المستوى الأولي البسيط تجدها ماثلة حتى في حياة الأحياء كافة، والإرادة التي تحيط بها المسؤولية الشرعية، هي الإرادة المدركة المصممة على فعل الشيء أو على تركه.

ألا ترى أن الإنسان إذا أراد فعل شيء من خير أو شر، أداره في نفسه مراراً حتى يصل إلى الإرادة المنفذة، فإذا وصل إلى ذلك المستوى نهض لتنفيذه، فمتى نفذه طبقت عليه التبعة وأصبح مداناً في الشرع.

فمن صمم على تعاطي المخدر فإنه لا يؤاخذ بمجرد التصميم الإرادي غير المحقق، فإذا وصل إلى التصميم الإرادي المحقق وحققه فعلاً فإن الحكم الشرعي حينئذ يطبق عليه.

ومن هنا تدرك حكمة قتل الخطأ الذي تجب فيه الدية فقط دون إنفاذ الحكم بالقتل، كمن إذا أراد إنسان أن يصطاد غزالاً ورماه بسهم أو رصاصة من بندقية وقتل إنساناً خطأ، فإنه لم يكن مصمماً في نفسه على قتل إنسان أبداً.

ومن أجل ذلك لا يقاد ولا تطبق عليه عقوبة الإعدام، بل يكتفى بالدية، هذا ما نجده في موضوع الإرادة المصممة المنفذة، وهناك أحكام أخرى سنفصلها إن شاء الله في كلمة ضافية، كمسؤولية الحق العام.

حرية العقيدة

وأما حرية العقيدة فهي ظاهرة في نصوص كثيرة كقوله تعالى في سورة الكهف:

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩].

وكقوله تعالى في سورة الكافرون:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

وحرية العقيدة تنافي الإكراه وتجافيه، ومن أجل ذلك قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

أما قتل المرتد، فهذا لا ينافي حرية العقيدة بتاتاً، إذ كل الشرائع تبيح قتل المرتد عن شريعة أمته المتواطىء عليها المتآمر.

العقل والعاطفة ودوافع الإيمان الصحيح

الإيمان بالعقل غير الإيمان بالقلب والعاطفة، أي إذا عرفت مثلاً أن خاتم الوحي الإلّهي هو يقين الواقع العلمي بعقلك ودراستك ونظرك دون أن يبعثك على العمل الذي يحقق بطمأنينة القلب والضمير والعاطفة.

فإن هذا الإيمان بالعلم والعقل يكون بمثابة من يعلم أن الدواء الذي عينه الطبيب النطاسي الناصح أنه حق وصدق ولكن لا يستعمله من الوجهة التطبيقية.

ومن أجل ذلك تجد أناساً كثيرين يؤمنون بخرافات هم يعلمون أنها خرافات ولكن يمارسونها من الوجهة التقليدية.

وأحسن الإيمان وأقواه وأصدقه هو الإيمان الذي يؤيده العلم والعقل ويطمئن له من الوجهة العملية القلب والعاطفة والضمير.

واقع الإيمان الصحيح

إذاً فواقع الإيمان الصحيح هو أن يقرر العلم والعقل أنه يقيني ويطمئن له القلب والضمير والعاطفة من الوجهة العملية التطبيقية.

أما الإيمان بالعاطفة وحدها لا خير فيه إذ العاطفة تهوى كل ما وجهت إليه ونشّئت عليه، خذ مثلاً الذين يوجهون بالإيمان العاطفي إلى تأليه بقرة أو فيل أو شيء من ذلك فإنهم يقدسونه ويؤمنون به عاطفياً، وإذا عرض هذا الإيمان إلى

العقل والعلم فإنه مرفوض كل الرفض. ومع ذلك فالمؤمنون العاطفيون لا يبالون.

وكذلك الإيمان الغريزي الموجه بدون فكر وعلم، فإنه يؤدي إلى عبادة الحشرات والنوافع والمضار، لأن الغريزة تنقاد إلى مثل ذلك ما دامت بعيدة عن يقين العلم والفكر.

وهذا حاصل ومشاهد في العالم وليس غريباً ولا بعيداً عنا، فجولة واحدة بين أهل الأديان الدنيا البسيطة تجد ذلك ماثلاً كل المثول في المعابد وفي كلمات الكهان وما أشبه ذلك.

ومهما يكن فالله سبحانه وتعالى أنزل في خاتم وحيه حقائق الإيمان القطعي الناجم عن الفكر والعلم ﴿يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ ٱللّهَ ٱلَّذي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

﴿يَا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

ومهما يكن فالمطلوب منا أن نستعمل الفكر والعلم بكل حقائقهما وبكل توجيههما وبكل براهينهما من قبل أن نؤمن الإيمان العاطفي والإيمان الغريزي، فهذان الإيمانان إذا لم يكن عمادهما العقل والفكر فهما أوهام وأساطير وظنمات بعضها فوق بعض... ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَنُ الرَحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَمٰوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ والفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ آللّهِ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَلَوْ يَرىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللّهَ شَدِيدُ

الْعَـذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّـذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّـذِينَ اتَّبَعُـوا وَرَأَوُا الْعَـذَابَ وَتَقَـطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٦].

وما أحسن أن نختم هذا الموضوع بهذه الآيات الكريمة المعجـزة:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَٰـوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموات وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَـا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْـرِجُونَهُمْ مِنَ النُّـورِ إِلَى الظُّلُمَـاتِ أُولئِكَ أَصْحَـابُ النَّارِ هُمْ فِيهَـا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥ ـ ٢٥٧].

التقليد المركز

هو الوضع الذي يتمسك به أفراد الأمة وجماعاتها سواء أكان نافعاً أو ضاراً.

والتقليد المركز له نفوذه الصارم، وتغلغله الفعال في أعماق المجموعة النفسية.

وليس من السهل الانفصال عن سلطانه، واستبداله بسواه.

وللتقليد المركز في عالم التربية أكبر التوجيه العلمي في مصائر الإنسان، وفي حياته الاجتماعية، وفي هوايته، وإحلامه ومشاعره وأمانيه.

بل في كل ما ينتج من عمل، سواء أكان أدبياً أو علمياً، أو فنياً، أو صناعياً.

ولولا تأثيره الكبير، وتحكمه في أعماق المجموعة النفسية، وفي البيئة الاجتماعية وفي الثقافة المتوارثة، وفي المصالح الخاصة، وفي التآلف بين المواطنين: لما رأيت انحرافاً متعمداً عن واقع العلم اليقيني، وعن الحق الصراح، وعن هدى الصدق من رجال منسوبين إلى الثقافة العليا من علماء وأدباء ومؤرخين وفنانين.

خذ مثلاً دانتي شاعر إيطاليا الكبير، وانظر إلى «ملهاته الإلّهية» التي وصف بها عالم العذاب ـ النار ـ فإنه لم يخجل من حقائق العلم، والتاريخ، وتأنيب الضمير، أن يصور رسول الإنسانية الأكبر، وسيد المصلحين، والرحمة المهداة إلى الخلق أجمعين بصور قبيحة نفر منها مثقفو أوروبا، بل مثقفو الشرق من المسلمين وسواهم. صور لا تليق أن تصدر عن أجهل الجاهلين: فكيف يكون

الحال إذا صدرت عن مشاعر مثقف عبقري فنان. . .

ولكن هذا بعض ما يصنعه التقليد المركز، وشهوة إرضاء أشطار المثقفين حتى في أوسع رجال العلم والأدب. . .

ويمكنك أن تبين مفتريات التقاليد العنصرية السوداء، موطدة في ثقافات الكثير من أمثال دانتي، ومنتجاتهم، ولا يبالون أن ينسبوها إلى حقائق العلم اليقيني، أو يدسوها فيها.

وهكذا تلمس آثار التقاليد المركزة، علمياً وفنياً في تأليه المؤلهين. ولو كان ما ألّهوا الأحجار، أو الشياطين، أو ما حقر من الحيوان. . .

ولا يرتاب المفكرون الأحرار في أن التقاليد الاعتقادية المركزة من أكبر الأسباب التي أوجدت الخلط الديني المتفاقم بين الله المكون ـ جل جلاله ـ وبين أكوانه الدالة على جلال علمه وإرادته وقدرته.

والسبب أنهم يؤلهون ما يؤلهون من أفراد الكائنات، وسلطان التقاليد المركزة مهيمنة على مجموعاتهم النفسية، تراهم مثلاً يؤثرون عبادة الفيل علي عبادة الله تعالى ويرون ذلك علماً وديناً وتقدماً وحياة وسعادة دائمة.

كل ذلك لأنهم شاهدوا آباءهم يفعلون ذلك، ولقنوهم إياه في صغرهم، وثقفوهم به في كبرهم. وهم على آثارهم يهرعون. . .

وهكذا فأية جماعة تراها تنحرف عن الإيمان العلمي اليقيني إلى أباطيل النِّحل الوضعية وترهاتها وخرافاتها. فإن ذلك يعود إلى سلطة التقاليد المركزة المتوارثة بكل تأكيد.

وفي سلطة التقاليد البالية الضارة.. نزل قول الله جل وعز:
﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَآلِّينَ. فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩ ـ ٧٠].

الخوارق وحقائق يقين العلم

لا ريب أن كل المعارف الظنية منشأها التصورات الوهمية، وأطياف الأماني واشتعال النزوات وترّهات الكهان، ومهما يكن فالظن وأوهامه غير العلم وحقائقه فقد ظن الكافرون أن الآخرة غير حاصلة وأن الملائكة إناث، فرد الله جل وعز عليهم كاشفاً لهم أن العلم والحق غير الظن والباطل بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨].

إذاً فالعلم اليقيني الحاصل هو الحق، كأن تقول الواحد نصف الاثنين، ولا ريب أن كل أمر تحقق أو يتحقق في الوجود هو من العلم اليقيني والحق الثابت ولن يبطله شيء من أساطير معتقدات البشر وإن أيدته ألف خارقة وخارقة.

ألا ترى الأكوان التي تشاهدها مراقب المراصد تقوم بنظام دقيق هائل وتجري في أفلاك مبنية على حقائق علمية غاية في الأهمية والدقة، وكلها آيات علمية ناطقة بأسرار وجود مكونها رب العالمين العليم القدير وأسرار وحدانيته وجلاله.

أرأيت لو جاءك ألف ألف كاهن وزعموا لك أن الذي كونها وهيمن عليها هي الروح التي حلت في ذلك الصنم أو البقر أو الفيل أو الإنسان، أكنت تصدق ذلك، إلا إذا كانت مدخولاً مشترك اللب واهن العزم، ولعلك تدهش وتقول هل من الخوارق شيء باطل وإفك وتزوير ووهم، الجواب نعم، نعم، هناك قسم كبير من

الخوارق إفك وتزوير وباطل ووهم، ولا أساس له من يقين العلم، والواقع الحسي يجب نقضه وحربه لأن منشأه الفساد والإفساد، ومصدره الجِنة والشياطين وخبث الطويات ورعونة الأنفس الملحدة، وتعاويذ السحر وأساطير الوثنية، وإذا قلت هذا عجب، قلت لا عجب، انظر هذا الرجل يطير في الجو ويجلس على أعراف الرياح، ويمشي فوق لجج البحار ويحدثنا بالمغيبات التي نمارسها في منازلنا، أو تجري بيننا وبين أصدقائنا أو تدور في أنفسنا، كالتي تسمى قراءة الأفكار، وهنا أحسبك تدهش منها قائلاً: «كيف يكون كل ذلك باطلاً في باطل».

أجل كل ذلك باطل في باطل ما دام يناقض علم يقين العلم وتجربة الحس وصادق الوحي المتواتر، أجل كل الخوارق الباطلة، العلم أصدق منها وأحق بالإذعان له.

وبالحري إذا أراد أن يثبت لك نصف الاثنين أربعة، أو أن الأرض مربعة لا كروية، أو إذا أراد أن يطلق زوجة من زوجها لكي يسوقها إلى عشيق لها... وأمثال هذه المفتريات تبرهن أن الخوارق التي يأتيها المبطلون هي من سحر الجن والشياطين.

وهنا لا بد من معرفة الخوارق العلمية اليقينية، والخوارق الظنية الأسطورية.

١ ـ فالخوارق اليقينية الثابتة هي بنت يقين العلم والحق والصدق، وهي أسطع من نور الشمس، وهي إما أن تكون معجزة يجريها الله لإثبات رسالة رسول، أو نبوة نبي، وإما تكون كرامة يحققها الله تأييداً لرجل صالح أو امرأة...!!

عد إلى ذكر قصة أم موسى أو قصة امرأة فرعون، أو قصة موسى مع السحرة، كيف آمنوا لما تبينوا أن المعجزة غير خارقة السحر، وهذا باب كبير وشرحه يطول.

يكفي أن نعلم أن الخوارق العلمية الواقعية محال أن تكون برهاناً لإثبات باطل، مثل إثبات نصف الواحد اثنين، ومثل أن الله روح يحل في بقرة أو فيل أو إنسان... أو حجر... وأنه تعدد في حلوله بذوات الأكوان وليس من الضروري أن يكون واحداً في زعمهم.

والحق اليقيني أن الله واحد أزلي ومكون لكل الأكوان، ومحال أن يكون من الأرواح التي تحل هنا وهنا، وتتعدد، بل هو خالقها الواحد الحق.

٢ ـ أما الخوارق الباطلة التي تأتي مؤيدة ظنون الحلول والأساطير الوثنية ومفترياتها، مصدرها عوالم الأرواح الخبيثة، والجِنة والشياطين والشعوذة والدجل والإفك والمكر والدهاء، وعوالم الأرواح ثابتة حقاً ولكن لا يشاهدها إلا رسل الله وأتباعهم الأقربون وأفراد قلائل من المؤمنين الصادقين على مدى الأزمان.

والمؤمنون الصادقون والملائكة الكرام محال أن يؤيدوا باطل المفتريات وكذلك الجن المؤمنون والأرواح الطاهرة والأنبياء، والبررة والصالحون. . .

وأما الذين يؤيدون المفتريات ويحتشدون لأجل إثبات ألوهية بقرة أو إنسان أو حجر فهؤلاء لا تكون خوارقهم إلا من الأرواح غير المؤمنة أو الشياطين.

إذن فليست كل الخوارق من قبيل المعجزات التي يؤيد الله بها رسله أو الكرامات التي يمنحها الله لأوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أو التي تكون إهانة لبعض المتكبرين من سخفاء البشر القساة المستهترين.

أضف إلى ذلك ما يسميه العامة خوارق وهي من أعمال الأبالسة والشياطين والجِنة، وسبب تسميتها خوارق هو اختفائهم عن أعين الناس ومسامعهم، ومن هذا القبيل خفة اليد، وتهويل الرؤى والأحلام، وأعمال التأثير النفسي وسوى ذلك فهذه الخوارق أكثرها يؤيد الفساد وعبادة غير الله، ويؤيد كل الظنون والأوهام والأساطير.

فالمعجزة مثل قصة يونس عليه السلام لما التقمه الحوت ولم يهلك في بطنه بل نجاه الله، معجزة له لأنه كان من المسبحين قال الله تعالى:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلا أَنَّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٢ ـ ١٤٤].

والكرامة مثل قصة صاحب نبي الله سليمان عليه السلام لما طلب إحضار عرش بلقيس من اليمن. . . لينظر من في مجلسه من الأولياء ذوي الكرامات.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يجري بعض الكرامات لأوليائه الصالحين

تجاه رسل الله ليعلم المؤمنون في الأرض أن فضل الله واسع فهو كما يشمل رسله وأنبيائه يشمل عباده الصالحين.

ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، آمين، آمين، آمين.

رسالة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام

رسالة سيدنا عيسى المسيح جاء ذكرها وافياً في خاتم الكتب السماوية. . .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبْراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ على العَالَمِين. ذُرِّيَةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ. إِذْ قالَتِ امْرَأةُ عِمْرانَ رَبِّ إِني نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْني مُحرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّميعُ العَليمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنّي وَضَعْتُهَا أُنْثىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنْثى وإنّي سَمَّيتُهَا مَرْيَمَ وإِنّي أُعيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ ٱلشَّيْطَانِ الرَّجيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيمُ أَنّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٧].

هذه آيات بينات في خاتم الكتب السماوية منوهة بذكرى ميلاد سيدنا عيسى المسيح العظيمة في قومه، وجاء بالإضافة إلى ذكرى ميلاده ورسالته إلى بني إسرائيل ذكر معجزاته العظيمة. . .

﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ الْمَسيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّالِحينَ. قَالَتْ ربِّ أَنَّى يَكُونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِك ٱللَّهُ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ إذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ. وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَلَمَّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَىٰ ٱللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ واتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٥٣].

هذه نصوص مقدسة نزلت في خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد تنوه بجلال رسالة سيدنا عيسى المسيح وما تحيط بها من رعاية إلٓهية عظيمة.

ورسالة سيدنا عيسى المسيح هي كسائر الرسالات الإلٓهية ملتزمة بناموس سر وجود الله ووحدانيته وكمال صفاته وكريم الوصايا الإلٓهيـة المشتملة على صلاح الأفراد والجماعات، وهذا عينه قوله عليه السلام...

«لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل وأني والحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس». متى ١٧ ـ ١٨.

وهذا هو ناموس كل عقيدة موحاة من رب العالمين إلى أي رسول من رسله جل وعز، فما من رسول أرسله الله إلا من أجل أن يحافظ على ناموس وحي الله الذي لن يتغير منه حرف واحد ونقطة واحدة، بل يؤمن به جميع المؤمنين، لأنه وحي الله القطعي الحق، وهذا ظاهر في قوله جل وعـز:

﴿آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَـرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَـالُوا سَمِعْنَـا وَأَطَعْنَا غُفْـرانَكَ رَبَّنَـا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وهذا معين في قوله تعالـى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن هنا ينطلق سر صدق الإيمان والدعوة إليه والالتزام به والتضحية من أجله وبه يتم الانتصار للدعاة إلى الله جل وعز في كل عصر ومصر.

والذي يتتبع ما استمر من نصوص الإنجيل الذي يقول عنه سيدنا عيسى المسيح، إذ يطلب إليهم أن يؤمنوا بالإنجيل، طبعاً هو يشير إلى إنجيل واحد علمهم إياه، ولكن لطول العهد كثر الرواة حتى انتهى إلى أربعين إنجيلاً في مجمع نيقا، فاختاروا منها جميعاً هذه الأناجيل الأربعة.

وكذلك يجد أن رسالة سيدنا عيسى المسيح في واقعها رسالة إصلاحية إنسانية روحية صافية تفيض رحمة ورفعة وبراً وإحساناً وتسامحاً في المعاملات الحياتية بين الناس، وفي صلات بعضهم ببعض، ومن أجل ذلك تجد رسالته عليه السلام مشتملة في أكثر نصوصها على كف الأذى عن الناس وتحمل الأذى من الناس، وهذا الكف المطلق هو الأصل الأصيل في رسالته صلاة الله وسلامه عليه.

فإذا رأيت فيمن اتّبعوا رسالته شيئاً من البطش والفتك والتناكر والصراع على حطام الدنيا، فاعلم أن ذلك مأتاه من عدوى تداخل التقاليد، وتأثير المنافقين العنصبريين الذين يدخلون في الأديان الكبرى ما يجعلها هوساً وخرافات لتخريبها وتمزيقها وإحداث الفرق والنحل فيها.

فاعلم أن ذلك من صنع الإخوة الكذبة المنافقين المنتهزين كما أشار إليهم سيدنا عيسى المسيح في قوله.. «احذروا الإخوة الكذبة». أي الذين يقولون في الدين ما ليس فيه، وكذلك أشار إليهم خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ في قوله «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة» قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال «الذي أنا عليه اليوم وأصحابي» رواه الترمذي وابن ماجه بألفاظ مختلفة.

وعلى كل حال فرسالة سيدنا المسيح الخالصة هي إصلاحية روحية صافية ولا التفات فيها إلى التقاتل لكسب ملك الدنيا ومتاعها وسطوتها وكبريائها، ومن أجل

ذلك لما أراد الكهنة الإسرائيليون أن يختبروا وجهة رسالة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام، فإنهم لم يختبروها من روح ناموس العقيدة الإيمانية بالله جل جلاله، ولا في سمو مكانة الرسل والأنبياء، ولا في حسن المعاملات السلوكية ولا في صلات العفاف والطهر الذي هو سمة الرسالات السماوية، والذي هم في أشد الحاجة إليه، ولكنهم تجاهلوا ذلك الذي من أجله أرسله الله تعالى، بل سألوه عن السلطة والملك لأنهم كانوا في ضيق من استعباد الرومان لهم وسلطتهم عليهم، فكانوا على أحر من الجمر من أشواق الأماني بمجيء مخلص لهم ينتزعهم من براثن سطوة الرومان.

وهم من أجل هذه الأماني انحرفوا كثيراً عن الناموس الذي جاء به سيدنا موسى عليه السلام، وانقلبوا عنصريين ساخطين حتى على ما توارثوه من السمو الإنساني الذي جاءهم به سيدنا موسى والأنبياء من قبل ومن بعد، ناموس الله الحق في تقويم خلقه وإصلاحهم وهدايتهم إلى الرحمة وكف الأذى وتحمل الأذى، ورغبته الملحة لإخراج المصريين من تأليه فرعون.

وكذلك هم من أجل أمانيهم الوقيدة في أنفسهم لم يسألوه إلا عن الذي يشغلهم من ملك وسلطان ومن أجل ذلك لما قال لهم مملكتي ليست في هذا العالم خاب فألهم وغم عليهم وسخروا منه وتآمروا عليه ولقبوه بملك الإسرائيليين سخرية به، وهم لو آمنوا به وتطهروا بإنسانيته العالية وطيب مبادئه وحيائه وعفافه وزهده لنالوا كل مرادهم، وبالحري استقلالهم وحريتهم، ولكنهم كفروه وبالغوا في أذاه واتهامه لدى الرومان بالإفك لإثارة أحقادهم عليه، والسبب أنه لم يأت عليه السلام بما كانوا يتوقعونه منه بل أراد أن يوجههم إلى العالم الذي أشار إليه، أن مملكته فيه والذي هم يجحدونه، وقليل جداً المؤمنون به وعلى رأس جاحديه الصدوقيون.

وعلى كل حال فإن كهنتهم جمعوا الشعب وساقوه إلى الحاكم الروماني (بلاطس) وهم يتصايحون حوله مطالبين قتله صلباً. . . وأثاروه ضده، ولكن الحاكم تخوف من صلبه في أول الأمر وقد حذرته زوجه من الاستجابة لطلبهم فقال لهم نصلب رجلاً مجرماً لدينا بدله، فأبوا إلا هو. . .

ولو أنهم علموا حقيقة رسالته وأنها تحمل فعلاً ملكاً عظيماً وفتحاً كبيراً ونصراً مؤزراً لبايعوه ونصروه وصبروا صبر تلامذته الأبرار الصادقين أمثال بطرس ويوحنا

ويرنابا وغيرهم. . . ولكنهم أخذوا مأخذ المنافقين أمثال يهوذا وأتباعه، والحق أنهم لم يفهموا مراده من قـوله:

«مملكتي ليست في هذا العالم» لـذلك تجـردوا لمقاومتـه وسخطوا عليـه وأسخطوا الشعب معهم وألحوا على الحاكم الروماني إلحاحاً كبيراً للغاية وأثاروا سخط الشعب، فخاف الفتنة العمياء، وتخلى عن حمايتـه من أجل إنقـاذه من الصلب، ولولا أن نجاه الله بحكم روحانيته العظيمة، ولأن مثله لا يحرم أبداً من حفظ الله له وصيانته، لذلك لم يصلبوه يقيناً بل ظناً منهم أنهم نالوا مرادهم منه فقتلوه في ظنهم، ولكن أنى يقتلوه وهو في عين رعاية الله وحفظه، وإليك نص خاتم الكتب السماوية الذي يشير إلى تعطيل صنع الكهنة وإهاجتهم للحاكم من أجل قتله صلباً يقيناً، وهذا كله لم يحصل إلا ظناً، لأن الله جل وعز نجاه ورفعه. . .

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ آللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ آلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ آللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ آللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وأنت إذا رجعت إلى الروايات الواردة في الأناجيل الأربعة ألفيتها تعين أنه اجتمع ببعض تلامذته بعد أن نجاه الله من أيديهم، وألفيت فيها أقوالاً كثيرة، لكنها مجمعة أنهم لم يقتلوه يقيناً بل قتلوه ظناً لأنهم أكدوا أنه اجتمع بعد ذلك ببعض أصحابه يقيناً بكل تأكيد، فلو أنهم قتلوه يقيناً لما كان اجتمع بهم أبداً، وعلى كل حال، فهو لدى أهل المسيحية والإسلام أن الله رفعه إليه، ولدى أهل الأديـان السماوية الثلاثة أنه آتٍ حتماً. . . اللهم قرب مجيئه. . .

نعم مجيئه محتوم وسيكون علماً موكداً لمجيء الساعة. . .

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ. وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

وعلى أي حال فسيدنا عيسى المسيح عليه السلام، عظيم وعظيم جداً جداً في المسيحية والإسلام. وإنك إذا توثقت بالاطلاع على جميع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي وردت في ذكره والإيمان به وتكريمه وتعظيمه وتأييده بغرائب المعجزات عليه السلام... تدرك أنه حقاً هدى ونور وأن الذين حاولوا إبطال دعوته من أول يوم خسروا خسراناً كبيراً، وكان يلقاهم الفشل إثر الفشل في كل أعمالهم.

والله جل وعز أعلن في خاتم كتبه السماوية أن فشلهم وانهزامهم سيكون حتماً، والسبب أنهم لم يفهموا الحكمة من إرساله والدنيا قد لجّت في الموبقات والقسوة والفتن وإراقة الدماء، وأنه ما جاء إلا لإبطال كل ذلك، ولكنهم لم يَعوه ويفطنوا له من كل الوجوه، بل هم جهلوا حتى رفعه إلى السماء وقد أبقى له أنصاراً أبطالاً مؤمنين مضحين.

أجل هم خالوا أنهم أنفذوا إرادتهم حسب ظنهم في قتل سيدنا المسيح، ولكن الأيام أرتهم أن سيدنا المسيح حق وهو عظيم جداً جداً، وجاء خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ مصدقاً بكل ما كان لسيدنا المسيح عليه السلام من معجزات باهرات هائلة جداً جداً، وأعلن الله عز وجل في خاتم كتبه السماوية أن ما جاء به سيدنا المسيح هو المنتصر، أجل أعلن خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد أن التلامذة المخلصين الحواريين هم المنتصرون في النهاية لأنهم هم أنصار الله حقاً وصدقاً وطلب إلى المؤمنين بخاتم رسله ﷺ أن يكونوا مثلهم.

اسمع هذا النص المعجز الذي تحقق بكل حذافيره بل تجد فيه تعظيم إيمان الحواريين تلامذة سيدنا المسيح وعزيمته المنطوية في أنفسهم أنهم سيجاهدون في نصرة دينه حتى يحققه الله، وقد حققه فعلاً وهو صريح في آيات خاتم وحي الله انظر هذه الآية المعجزة وتدبرها ملياً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنْصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَتْ طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

أجل نصرهم الله وأيدهم على أعدائهم رهط المنافقين وعلى رأسهم السامري

كل النصر وكل التأييد لأنهم التزموا بصدق الإيمان الذي بلغه لهم والتزموه بسالة واستقامة وتضحية وبطولة وتبليغ للناس بكل ما أمكن رغم الأهوال التي انصبت عليهم بسبب إخلاصهم في سبيل الدعوة وبسبب هذا الإخلاص الفذ العجيب كان هذا النصر الكبير الذي عم كرة الأرض.

وكان كل ذلك معجزة من معجزات خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد... لأننا فهمنا أن الدعوة والتزامها والتضحية في سبيلها لا تأتي إلا بخير...

وحي الله جل وعز
في رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً. ٱلَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ١، ٢].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ٱلَّذي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلىٰ نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً. وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً. رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلىٰ اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦ ـ ١٣٨].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ. وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٤، ١٠٥].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٥ ـ ١٢٨].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ. وَأَنْ أَتْلُوَا القُرآنَ فَمَنْ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ. وَقُلْ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٣].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٥٦].

﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً. وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ

صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلىٰ آللّهِ مَتاباً. وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٢].

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً. وَيَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ آللّهِ مَا لاَ يَنْفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الكَافِرُ عَلىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفرقان: ٥٤ ـ ٥٦].

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ آللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي آللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ. وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ. وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ. وَلَقَدِ آسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ آنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ. قُل لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلّهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٧ ـ ١٢].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ آكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٦].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ آشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ آلْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَآنْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ. وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَآقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَآغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

﴿عَبَسَ وَتَوَلّىٰ. أَنْ جَاءَهُ الأَعْمىٰ. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِكْرىٰ. أَمَّا مَنِ آسْتَغْنىٰ. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ. وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعىٰ. وَهُوَ يَخْشىٰ. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ ـ ١٠].

﴿وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿اِقْرَأْ بِآسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِآلقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

﴿نٓ وَآلقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ ـ ٤].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

جزيرة العرب
مهبط دستور وحي الله الخالد

أراد الله جل جلاله أن تكون جزيرة العرب هي مهبط دستور وحيه الخالد ومثله العليا. ودستور وحيه الخالد هو نهاية نهايات الإصلاح الحضاري الذي يصح أن تمجد به وتتوحد وتسمو كلمة الإنسانية في هذه الدنيا سواء أكانت دساتير دول المغرب أو دساتير دول المشرق.

أما كون جزيرة العرب هي مهبط دستور خاتم وحي الله، فمعجزاته صارخة والحضارة الإنسانية الحديثة بلغت مستوى إصلاحاته الإلزامية المتحدية.

فعلماء الحضارة الحديثة الآن بين أمرين ولا خيار لهم في ثالث. . .

إما أن يأخذوا به ويمحصوه درساً ودراية بوعي يقين علمهم القطعي. . .

وإما أن تأخذهم الحرب الثالثة بسبب كبرياء أنفسهم فتدكهم وتدك معهم الأرض جملة واحدة. . .

وأنا لا أذكر ذلك هوساً ولا تندراً ولا افتئاتاً ولا تكهناً، وإنما عن يقين الوقائع المعلومة للجميع، ولا تفتقر إلى سعة علم ولا عمق نظر، ولا نضوج رأي، والحق أنه لا نجاة لهذا العالم من دمار الحرب العالمية الثالثة، إلا بانطلاق دعوة خاتم الوحي الإلّهي، فهي متى انطلقت بمُثُلها الإنسانية العليا سما هذا الإنسان الذي هو جزء من أتربة الأرض عن بواعثها الترابية وانحطاطاتها وتخلفاتها. وسموه يكون حينئذ قدر حضاري سماوي عالٍ يتذوق جلال وحي الله تعالى ويلم بمقتضى آياته المعجزات المنزلة لأجل الإصلاح والسلام والعمل بالمثل الموحاة.

وأهم هذه المثل الموحاة هي الدعوة إلى الإيمان الصحيح بالله مكون أكوانه جل وعلا، والإيمان الخالص من شوائب الوثنية والشرك والإلحاد، هو الإيمان الصحيح الذي يسمو بالإنسان إلى إنسانيته الحرة المطلقة العالمة الطاهرة التي بها يحيا الإنسان على ظهر الأرض حياة السماء بقدوة من جعله الله الأسوة الأعظم للناس جميعاً سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . . .

ويلي هذا الإيمان العالي الجامع للأنفس التي طهرها يقيناً وصفّاها من أكدارها وأدرانها الترابية، وسلكها في سلك فرائد آياته البينات ومعجزاته الباهرات، ومظهر هذا تلمسه يتردد على ألسنة الدعاة المصلحين المؤمنين الصادقين بكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

وكلمة التوحيد وإن كانت تضمن سعادة الآخرة ونضرة عيشها وسمو مقامها، فإنها كذلك تضمن سعادة الدنيا ونضرة عيشها وسمو مكانتها، ولئن كان الانحراف عن توحيد الكلمة يمزق الأمة الواحدة كل ممزق ويجعلها سخرية الساخرين وعبرة المعتبرين.

ولا فساد أكبر ولا شر أعم ممن يحسبون مصلحتهم تقوم على تمزيق كلمة الأمة الواحدة والدس في صفوفها واصطناع الأوشاب من أتباعها وسيلة لتمزيقها بصبغة الدس عليها.

ولما أراد الله جل وعز أن ينزل خاتم وحيه لإصلاح البشرية جمعاء، أنزله في أرض طيبة مباركة بعيدة عن مباذل الرومان ومهاوي أخلاقهم وعن كبرياء الفرس وغرورهم، أجل أنزله في أرض طيبة على قوم كرام صالحين للأخذ بفطرة التكيف بوحي رب العالمين، والانطباع على سمو صبغته وصفاء إنسانيته، وقد تم كل ذلك بإرسال رسول من أنفسهم رؤوف رحيم يكمل كل البشر بالمثل الإنسانية العليا التي هي مثل أعلى لمسيرة حضارة الإنسانية العالية في كل عصر ومصر.

وأنزل عليه وحيه المعجز المحصن بالقواعد الأصيلة التي لا يتم أي إصلاح إنساني سام إلا بها، .وهي منزلة من حرم قدس الله في خاتم وحيه المعجز المتحدي، وهي نهاية ما يمكن أن تصل إليه حضارة الإنسان وإمكانياتها ووسائلها وبيناتها ومجالاتها. وهنا أعرض بعض ما تيسر عرضه من هذه النصوص السماوية

المنزلة في خاتم وحي الله وما تشتمل عليه من مثل عليا لإصلاح سياسة الفرس والرومان وكل من ساد وقاد من قبل نزولها . . .

أجل كانت سياسة الساسة من قبل نزولها مبنية على قاعدة «فرّق تسد» فلما نزلت آيات الله المعجزة والتزمها من التزمها بصدق يقين الإيمان العلمي المبرور أصبحت قيادة سياسة الساسة مبنية على قاعدة وحي الله «جمّع تسد».

ومآسي قاعدة «فرق تسد» وبلاياها كبيرة جداً، والحمد لله على واسع فضله فقد أبدلنا وحيه المقدس بقاعدة «جمّع تسد» التي تفيض إنسانية وإيماناً ورحمة وحباً ونهوضاً بالأفراد والجماعات إلى أمجاد العمران وتأمين مرافق الحياة كافة.

وإني قبل أن أعرض نصوص الوحي التي بنيت عليها قاعدة «جمّع تسد» أي القاعدة التي جمع بها رسول الله كلمة العرب الممزقة وباستمساكهم بها سار أصحابه سيرته لجمع من استطاعوا جمعهم ممن اهتدوا بهدى الإسلام ورضوا به ديناً لسعادتهم وسعادة أسرهم وأمتهم والإنسانية كافة.

وبما أن مهبط هذه القاعدة هي هذه الأرض الطيبة جزيرة العرب، ذات السماء الصافية والقلوب الصافية، والاتجاهات الصافية، والإنسانية الصافية، التزمها المصلح السلفي الكبير الملك عبد العزيز واتخذها قاعدته في جمع كلمة أبنائها والعودة بهم إلى ما كان عليه آباؤهم الأول إذ كانوا حماة لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف.

نعم نحن الآن في عصر التجمعات وطرح أحقاد التقاليد الوراثية وتربياتها الوبيلة وثقافاتها العليلة في عصر سمت مطالع رواده بالحضارة الحديثة إلى مطالع النجوم وعسكروا حولها بمراصدهم وبحوثهم ودراساتهم، ونحن نشاهد أفلام كل ذلك في التلافز، ويا لها من أفلام بمقدار أمنها رهبةُ خوفها، ذلك لأنك تشاهد في معالمها إعداد عُدد الحرب وسراديبه وكهوفه مدعومة بالمستطاع من إعداد طغى طغيانه حتى أفضى إلى نهاية القمة المقصودة للإرهاب من واقعها للحفاظ على أمن السلام ولتظل مواطن الحضارة تحت ظلال يقين العلم الصارف عن التفكر في الحرب، فإن تحول أمن الإرهاب إلى خوف الانفجار المفاجىء من خبائث سياسة الضغط المتتابع الذي لا يؤمن انفجاره. والقول صريح، فالدول الكبرى بما أنفقوا

وأسرفوا من الإنفاق من جراء تفاقم الافتنان في عُدد الحرب المقبلة وتنوعها.

قد وصلوا إلى قمتها وطافوا بهاتيك المعدات حول أجرام الفضاء وحول كواكبها وحلقوا ما شاء لهم التحليق في أبعاده وفي مجالاته وآفاقه وأقاموا فيه محطاتهم الفضائية وأسكنوا فيها من أسكنوا من العلماء للنظر وللدرس وللبحث عن الفضاء، وقد كانت نتيجة كل ذلك أن تخوفوا أن ينقلب الإرهاب المقصود من هذا الإعداد الكبير إلى سعير حرب ثالثة فعلاً، تفقد كلا المتحاربين معنى الانتصار لأنها لا تبقي من هؤلاء ولا من أولئك من يظل حياً ليذوق لذة الانتصار.

إذاً فواقع الحرب الثالثة ستجعل البادىء بإشعالها هو الهالك الخاسر قبل من تحاربه، لأن الطلقة الأولى من هؤلاء هي الأخرى بالذات من أولئك ما دام الرد أصبح آلياً في إرصاده ومفاجآته من كلا المتحاربين لمساواتهما في الإعداد الآلي الكبير المفاجىء. والإعداد الآلي الكبير المفاجىء الذي أنفقت من أجله الاستطاعة هو مقعد قاعدة الإرهاب السلمي المسلم به الآن بين الدولتين الكبيرتين وبين سواهما ممن يقرب من مستواهما الإعدادي الكبير أو من هو دونهما من الدول النامية العزلاء.

ومهما يكن فهذا الإعداد الكبير المفاجىء المرهب الماثل في قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذا الإعداد الكبير المرهب الذي أنفقوا في سبيله ما أنفقوا وقد وصلوا إلى قمته في هذا العصر، بطبيعته يدعو إلى السلام ومنع الحرب ومن أجل ذلك جاء النص بقبول السلام في الأرض إذا دُعي إليه بحق وصدق وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولماذا لا تجنح كل الدول كبرى وصغرى إلى العمل الموطد للسلام، وهو دعوة الله الإيمانية لأهل الأرض أن يفيدوا من نور الكتاب المنزل إليهم لأجل

هدايتهم إلى اتباع رضوانه وهدايتهم به إلى سبل السلام، هذا هو الصراط المستقيم.

﴿... قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مستقيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى سمى دار النعيم الأبدي في الآخرة دار السلام ودعا الناس إليها، إذاً فالإسلام يدعو إلى دار السلام في الدنيا والآخرة، وقبول الدعوة ميسورة ما دام العلم القطعي يؤيدها والوحي القطعي، أضف إلى ذلك مصلحة الحضارة الحديثة التي تفرض السلام فرضاً...

وهكذا فكر وأنت تتلو قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وهكذا تجد مصالح البشر جميعاً أفراداً وجماعات ودول صغرى وكبرى، تجد نص دعوة السلام موفورة في خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد، ومتغلغلة في سائر الحضارات الماضية، ولكنها أجلي عنها الآن ظلمات تقاليد القرون المتخلفة وعصبيات الأجيال الغابية المنحطة بفضل هذه الحضارة الحديثة، وبفضل هذه الحضارة الحديثة استطاع كل البشر أن يلتقوا في حجرة واحدة هي حجرة الرغبة في المعرفة واتباع قاعدة الوحي الإلٓهي «جمّع تسد».

وتجد الآن الإنسان بين أمرين ملزمين ولا ثالث لهما أبداً...

الأول

إما أن يقي نفسه من البوار بسلامة السلام وأمن الإيمان وظلال رحمة الله المنزلة في خاتم وحيه السماوي، التي تستطيع وحدها أن تعطي كبت الإيمان بالسلام الذي يحول هوى البشر إلى أعماق رجم الحرب الحامية الموحشة يحولها إلى قمة دار السلام ورفيف نعمه المؤنس المقيم أي يصعد بها إليها، والصعود إليها ممكن وسهل، وإنما يفتقر إلى عزيمة القادة والساسة وصفاء ثقة بعضهم ببعض وصحيح المعاملة فيما بينهم.

الثاني

وإما أن يركبوا رؤوسهم ويرون أنفسهم في علومهم فوق علم الله، ولا يرضون به حكماً ولا يروْن دعوته الإنسانية السلمية، دعوة ذات أقدار ومكانة جديرة بالأخذ، فهم حينئذ لا مناص لهم بعد توالي الضغوط التي تتوالى من جراء الخلافات الغابية الحافلة بالطمع وخوف انفجار عددهم التي بذلت فيها الاستطاعة، وحينئذ لا بقاء لهم ولا لشيء سواهم من الحضارة في الأرض، ويصدق عليهم قول الله تعالى لدى هلاكهم... ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [صٓ: ٣] وهذه هي حكمة العرب القدماء التي تندد بالانحراف والبغي:

ندم البغاة ولات ساعة مندم　　　والبغي مرتع مبتغيه وخيم

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ومعجزته الأبدية
في يقين العلم والوحي

بيان

الحق العلمي أن كل من يتلو هذه الآيات البينات المعجزة المقتبسة من خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد، يلذ له أن يتابع دراسة كل آياته فيه دون استثناء، ليعلم بيقين العلم أن خاتم الكتب السماوية الموحى من رب العالمين هو عين علم اليقين لمن درس ووعى، وعين حق اليقين لمن درس وآمن وصدق، سواء كان من أهل علم اليقين أو كان من أهل عين حق اليقين. . . فإنه بعلمه وفكره البصيرين الأمينين الحريـن:

١ ـ يلمس أن وصايا الإيمان المنزل في وحي رب العالمين الذي نادى به أولو العزم من الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ هي عين حقائق العلم سواء ما علم منذ أبعد الأزمان إلى عصرنا الحضاري الحديث، أو ما سيعلم بعد.

٢ ـ ويلمس من أجلى معجزات بينات القرآن لمدهشات علوم تكوين ذوات الوجود المادية والطاقية بأضواء أمواجها وكاشفة لأسرار ناموس الإصلاح الإنساني العالمي المتجدد المستمر على تطور الحضارات الإنسانية وتطور أجيالها كافة.

ومن أجل ذلك كان خاتم الكتب السماوية معجزة معجزات العلم والفكر والحضارة الإنسانية والهداية والوحدة الاجتماعية العالمية والسلام العام، أجل هو معجزة العلم المحسوس الملموس والشاهد على صدق خاتمة الرسالات السماوية، رسالة سيدنا محمد ﷺ.

ومن أجل صدق رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، كانت كل المعجزات التي أيدت صدق الرسل السابقين، مشاهدة ملموسة للجماهير عياناً في حياتهم...

انظر فهذا سيدنا موسى عليه السلام حين استعمل العصا التي هي معجزته الكبرى استعملها أمام الجماهير المحتشدة يوم عيد الزينة، وكان مشاهير سحرة مصر قد جمعهم فرعون لقصد هزيمة معجزة سيدنا موسى عليه السلام على أعينهم، وكان في حسابهم أن سيدنا موسى عليه السلام ساحر عظيم وفق الدعايات التي كان فرعون قد أذاعها بينهم.

ولكن الله جل وعز خذل فرعون أمامهم لما صرعت المعجزة السحرة، فخروا سجداً معلنين إيمانهم برب موسى وهارون، وكفرهم بألوهية فرعون.

وهذا الانهزام الكبير لفرعون جعله يجن جنونه... ويأمر بصلب السحرة وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف...

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ المُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤١ ـ ٤٩].

إذاً فمعجزة سيدنا موسى عليه السلام حسية مشاهدة للجماهير العالمة والجاهلة، ومن هذا القبيل معجزة سيدنا عيسى عليه السلام...

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ

الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ. إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَىٰ آبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ آتَّقُوا آللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَىٰ آبْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ آللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٠ ـ ١١٥].

فأنت ترى أن معجزات الرسل كافة معجزات حسية زمنية مشاهدة مؤقتة، ثم تتحول إلى ذكرى وعظة وحجة واعتبار ومسؤولية توجب الإيمان بهم، ومن العجيب أن معجزات الرسل جميعاً ينسبها الملحدون إلى السحر، لأن الملاحدة لم يفرقوا بين قدرة الله فاطر السماوات والأرض الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وبين قدرة الشياطين الذين هم أعوان السحرة، والذين لا حول لهم ولا قوة في تكوين ذبابة في هذه العوالم أبداً.

ولكن لا عجب من نسبة السحر ممن لا يؤمن ولا يريد أن يعلم... أجل لا أعجب منهم حين ينسبون إلى السحرة معجزات الله التي يؤيد بها رسله الكرام تصديقاً لهم، ذلك لأنهم لا يعلمون حقائق وجود الله جل وعز، ولا يريدون أن يعلموا، فالمصيبة في أنفسهم بالذات وليست خارجها، حتى تعالج بيقين العلم والواقع المشاهد المحسوس.

وما دامت المصيبة نفسية مزمنة مستحكمة، فمحال أن يفهموا أنهم حين ينسبون معجزات الله إلى السحرة ويعتبرونها من صنعهم، يكونون قد رفعوا السحرة إلى الألوهية، وحينئذ يكونون آمنوا بالسحرة وكفروا بالله جل وعز من حيث لا يعلمون، وفي هذا الصنيع منتهى الغباوة وعدم الفهم.

إذاً فليس بعجيب من ملاحدة الأمس نسبة معجزات الله إلى السحر، ما دام بعض الهوسى من ملاحدة الحضارة الحديثة ينسبونها كذلك على الرغم من اطلاعهم على ما جدّ من علوم الحضارة الحديثة وكشفها لذوات الطاقات بعد انفلاق الذرة وانكشاف ما أمكن من عوالم الفضاء وسعته ومجموعات مجراته وأهوال أبعاده،

مما لم يكن في حساب علماء الأمس، وما علم علماء الأمس واليوم من سعة عوالم الفضاء ومساحات أبعاده إلا كما تعلم النملة من سعة كرة الأرض ومساحات أبعادها التي تعيش فيها. . .

لك وحدك يا رب سعة العلم الشامل المحيط بكل شيء مما كان ويكون أزلاً وأبداً. . .

هذه عوالمك التي تحدت علوم العلماء، والتي هي في محيط السماء الدنيا، والتي هي زينة لها. . .

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٣٧].

فإن كان عذر ملاحدة الأمس الجهل بما تطور إليه العلم من كشوفات هائلة جداً، فما عذر ملاحدة اليوم في إلحادهم؟

لا عذر أبداً سوى أنهم يحسبون إذا هم ألحدوا يطلق الناس عليهم لقب فلاسفة ولو بالسخرية ما دامت تجاوزتهم ألقاب الدراسات العلمية الجامعية، وطرحتهم مع نفاياتها.

وفلاسفة السخرية هؤلاء كثروا في دنيانا هذه لأن جهلة يقين العلم فيها أضعاف أضعاف علمائها الأعلام.

والمصيبة العمياء أن بعض الجاهلين في عصرنا يقولون كبعض الجاهلين في مكة التي كرمها الله تعالى بميلاد خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، يزعمون ما زعمه الوليد بن المغيرة المخزومي عن القرآن المجيد. . .

﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].

أي قالوا: إن إعجاز القرآن سحر ولا واقع له.

انطباعات حقائق الإسلام

١ ـ الإسلام إيمان خالص بالله الخالق العظيم ولن يكون المسلم وثنياً أو مشركاً أو ملحداً أبداً. . أبداً. .

﴿قُلْ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ آللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

٢ ـ الإسلام قراءة وكتابة وزيادة في العلم. . .

فلا عجب إذا كان المسلم قارئاً وكاتباً وفي كل يوم يزداد عِلماً، ولكن العجب أن لا يكون كذلك. .

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

٣ ـ الإسلام قوة وإعداد وترهيب للأعداء. . فلماذا يكون المسلم ضعيفاً أعزل يرهب الأعداء. . .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ آللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٤ ـ الإسلام سمو في التفكير وعدل في الحكم ولو على النفس...

فلن يكون المسلم العملي منحط التفكير ظالماً في حكمه على سواه من الناس، غير ذاكر لربه في كل أقواله وأعماله.

والله جل جلاله يقول:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَارِ لآيـاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ آللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ آللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحىٰ إِليَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥].

٥ ـ والإسلام علم وبرهان وواقع وحق وصدق ويقين...

فلن يكـون المسلم مغفلاً.. ولن يتبـع كل نـاعق.. يدعـو إلى الظنـون الباطلة... وإلى مذاهبها الهدامة الباطلة.

أجل محال أن يكون المسلم كذلك، والله جل وعز يأمره أن يطلب البرهان العلمي الصادق على ما يدعى إليه.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

﴿... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٦ ـ والإسلام سلام للإنسانية وتعارف بين الناس ودعوة إلى الله، فلن يكون

المسلم عنصرياً غير مسالم، بل جانح للسلم في أعماله، ولا يكون جافاً بعيداً عن التعارف. .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٧ ـ والمسلم يكون في أعماق نياته وفي كبير أعماله داعياً إلى الله. . .

﴿قُلْ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً. وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [الإسراء: ١١٠ ـ ١١١].

القسم الثاني

علم دراسة الاديان

قصة الأسباب الداعية
لوضع الأصول العلمية لدراسة الأديان

هي لم تكن قصة بالمعنى الفَني المتعارف، وإن جاءت في منطق الفكر الإنساني المحرر مفصلة في أسلوب القصة. . .

أجل هي فصول محررة من المعرفة اليقينية وكل القصد منها تصفية الصعود الحضاري الإنساني الموحد. . . تصفيته:

١ ـ من مهالك التخلف العنصري الممزق.

٢ ـ ومن مهالك مؤامراته الخاسرة الحقودة التي تحاك رعونة وفتنة وهدماً لكل إصلاح سلمي إنساني موحد.

والخسران الخاسر أنها نزوات شاعلة هدامة لكل هدى ولكل إيمان ولكل مودة، ولكل علم وفكر، ولكل صعود حضاري.

١ ـ بل قل إنها دساسة للأساطير والترهات في صميم عقائد أهل الأديان.

٢ ـ ودساسة بدعايات الإلحاد الخفي والظاهر، وبالإفساد في صميم مذاهب المفكرين المصلحين. . .

والهدف الذي يتوخاه التخلف العنصري الحقود الباغي، من إقامة حواجز الظنون والأوهام والأساطير والزيادة والنقصان والتأويلات وتفسيرات الرؤى والأحلام وركام الخوارق في وجه إيمان المؤمنين، وأفكار المفكرين من الشبان في العالم، هو تضليلهم في شتى المتاهات حتى لا يهتدوا إلى كشف الحقائق العلمية في

الأديان، وفي مذاهب المفكرين قديماً وحديثاً وناهيك بما أنزله الله من حقائق علمية مؤكدة ومؤيدة بالبراهين اليقينية في القرآن المجيد.

ومن جراء تلكم الظنون والأوهام والأساطير وخبائث الزيادة والنقصان التي تدس في الحقائق الدينية، تنصب الويلات والبلايا على الحضارة والمتحضرين على مدى الأجيال. وتـربو الأحقاد والتأويلات وصراع الملل والنحل والوضع في عالم المعتقدات.. !!

وكم شكا من كل ذلك العلماء المحررون الأمناء والفلاسفة الإنسانيون الأعلام في مؤلفاتهم وفي محاضراتهم، وكم، وكم فكروا في حل هذه المعضلات السوداء وكشف ظلماتها وزحزحتها عن مصادر المعرفة، لأنها مصيبة المصائب والسبب في كل هذا التخلف الغابي النفسي المنحط في هذه الحضارة الصاعدة.

ومن أجل ذلك فكر فريق من العلماء المخترعين أن يخترعوا عقولاً الكترونية تكون خالصة للعلم وحده، وطرح الشبهات والمتشابهات والظنيات ومشتهيات أنفسهم التي يخفونها فيه ويصورونها أنها من العلم، وما هي من العلم في شيء.

وفكر آخرون من العلماء المخترعين أن يخترعوا آلات تكون مستطيعة أن تفرز الأصوات المختلطة في أبعاد الفضاء، وفي إفرازها كشف لحقائق العلم بكل تأكيد.

والمستقبل آتٍ، وما يعلم ما يكون فيه إلا الله، وعسى أن يكون خيراً... ومهما يكن فعلماء الحضارة المحدثون جادون في الأخذ بيقين العلم القطعي، وطارحون ما سواه وراء ظهورهم لأنهم يعلمون أنهم ما صعدوا على سطح القمر ولا رنّقوا على سطح المريخ ولا طافوا حول الكواكب بمكاكيكهم، إلا بيقين العلم القطعي المشاهد بالتجربة والبرهان.

إذاً فلا سعادة لفرد من الأفراد ولا لجماعة من الجماعات، إلا إذا حكّموا يقين العلم القطعي في كل ما يأخذون به أو يدعون... وبذلك يفرح المؤمنون في كل مكان وفي كل زمان...

المراد من علم دراسة الأديان

إن المراد الأول والأخير، هو أمر عظيم واحد بالنسبة لحياة الإنسانية كافة، ولكنه يتحقق بأشياء . . .

أولاً :

يكون بتحرير مجموعـة نفس الإنسان من كـل عوائق تخلفـات العنصريـة الإلحادية المتوارثة من تقاليد سلائل العصور البدائية الغابية الحجرية .

ثانياً :

ويكون بتحرير بواعثهم العملية من ترصدات الأدغال وانقضاض فتكاتهـا، وضراوات العيش الوحشي وخطفاته، وغدر العيون الرقب المتحفزة للبطش والفتك بمثل الإنسانية العليا وحضارتها الصاعدة في كل عصر ومصر .

ثالثاً :

ويكون بانتضاء عزيمة الإنسان الإنسان للكفاح والنضال والسهر والصبر والأناة والصدق من ذلك أي يكون بتحرير عزيمة الإنسان من التراخي والاتكالية .

ومتى تحررت المجموعة النفسية الإنسانية من كل ذلك تطورت علوم الحضارة الصاعدة وتكاثرت في ظلال الأمن والأمان، واستقامت في مسيرتها من كل اعوجاج وانحراف وتقليد وأسطورة .

وتطورات الصعود الحضاري الفذ في هذا العصر وافرة في علومه وفنـونه

وصناعاته المبتكرة المعدة للنهوض بالإنسانية إلى سلامها الضروري المرتقب، بتهديدات العُدد الحديثة المرعبة.

وجميع علماء الأمم الأعلام مدركون أنهم بأمن السلام العام استطاعوا أن ينموا معارفهم ويحرروا بأقلامهم كل عجائب العلم، وكل يقين الإيمان، وهذا هو السبب الذي حفزني أن أقدم هذا العلم (علم أصول دراسة الأديان) المصفى من كل شوائب الانحياز والنقص، ومن كل مواريث أجيال الغاب ومن كل نوازع عنصرياتهم وأنانيتهم ونزعات أهوائهم وتحكمات غرائزهم المنحطة، ومن كل هوس عواطفهم المتحاجزة المرصودة للهدم، وتفرقة كلمة الإنسانية الجامعة.

أجل هذا العلم مصفى من كل ذلك، وقد تم لي وضع هذا العلم بفضل الله جل وعز، والأخذ بمعالم خاتم الوحيْ الإلّهي القرآن المجيد وبمبادىء هيئة الأمم، وشريعة محكمة العدل الدولية الإنسانية العالية.

والذي سرني في هذه الأيام بعد تطور الأسلحة الحربية الحديثة إلى أقصى ما يمكن أن يبيد البشر في لحظات، أن البشر جميعاً أخذتهم رجفة سوء المصير المرتقب وهوله المرعب، وكانت دوافعه تحث على التفاهم والتعارف والتواصل والتشاور، ولولا بقايا أنسال وحوش الغاب في أنفسهم لتم لهم إعلان دولة السلام في هيئة الأمم، وألقيت بين يديها الأسلحة بكل أهوالها وفجائعها ومخاوفها. والذي يبشر بكل ذلك، هم اليوم قلة، وبقاياهم سبعة أصناف.

أجل كانوا كُثْراً، وكانوا هم سبب إشعال فتائل الحرب بين الأمم، وكذلك كانوا هم مدبري بواعث التدابر والتقاطع، أجل كانوا كذلك، واليوم قلوا وقلوا، وهم إن شاء الله على طريق الانقراض ولو لم يكونوا كذلك لما أمكن لي ولا لسواي من هذا العصر، وضع علم إنساني نافع كعلم أصول دراسة الأديان، بل كان يلقى إذا تم وضعه كل بخس وزراية، وكل تهجم وصد.

ومع ذلك فهم يرون إفسادهم هو الإصلاح وهو الخير والهدى والسلام، إذ يقولون لا سلام إلا بعد حرب، ولا حب إلا بعد عداوة، ولا صلة إلا بعد قطيعة.

ومهما يكن من أمرهم، فلولا أن قادة الحضارة الحديثة رغم تطوراتهم البطولية الإنسانية، وإبداع عمالقة الفكر والعلم، فهم يخشون بقايا أولئك المفسدين،

ويحذرونهم أن يضعوا العصي في مسيرة عجلات وحدة العالم الحضاري الحديث، وفي تشييدهم لدعائم السلام الدولي العام وفي أخذهم بدعم الثقة الكريمة في تفاهم، لما خفت منهم أبداً، ولماذا أحذر منهم وهم في كل وطن من أوطان البشر طائفة من الأغبياء الإمعات الذين يصدقون كل ما يسمعونه ويرونه عين الواقع العلمي القطعي بمجرد السماع فقط، أجل يرونه كذلك بدون بصيرة وروية وتحقق وفهم ووعي، أي هم أصنام تهيم في أصنام.

أجل هؤلاء الأغبياء الإمعات الأصنام يخيفني أمرهم أكثر من أولئك الدهاة الدساسين الملاحدة، وإليك أصنافهم السبعة وهم إلى زوال وانقراض إن شاء الله تعالى . . .

الأول: الملحدون المصـرون على إلحادهم ضد واقع العلم القطعي.

الثاني: المنافقون المتوغلون في دروب النفاق.

الثالث: المنتهزون المختلسون أنى تنسى لهم الاختلاس في غفوة الأعين الساهرة، ولا يبالون الفضيحة متى تم لهم الاختلاس.

الرابع: المستهترون بقيم الإنسانية الحضارية الحديثة، استهتارهم بقيم سواها من الحضارات.

الخامس: أنصاف المثقفين الناقصين العاجزين الذين يظهرون أنفسهم بمظهر الكمال والقدرة رغم نقصهم وعجزهم.

السادس: المقلدون الهبل أتباع كل ناعق الذين يساقون إلى المسالخ فرحين مستبشرين كما تساق الأبقار.

السابع: الحاسدون الذين يبخسون أعمال المفكرين العلماء الخالدين ويرونها تافهة، على نفعها الأكيد الكبير.

ألا إن الأولى أن نحذر بقايا هذه الأصناف السبعة وإن اختفوا من الأوطان وطمست آثارهم ونسيت أسماؤهم وانطوت سيرهم إلى أن الـواجب أن أفصِّلهم تفصيلاً موجزاً ليكون الشباب الجامعي والعادي المثقف على وعي من الأمر وحفاظاً لصدق عقيدته.

ومهما يكن فإني أوجز نعتهم حسب مقتضى الحال ما دام الغرض المقصود مُؤمَّن. . .

الأول: الملحدون المصرون على إلحادهم ضد يقين واقع العلم:

والملحدون المصرون أبداً هم في صمم عن هواتف يقين العلم وبراهينه القطعية في ذوات الوجود، وهذا الصمم يجعل مثلهم كمثل الأصنام، يتمسحون بها ويفيضون بين يديها العطايا والمنح، وهي صماء بكماء لا تدري عن ذلك شيئاً.

والملاحدة يمقتون الدعوة إلى يقين العلم، للنظر في إلحادهم، لأنهم يعلمون أن إلحادهم هراء في هراء، كما قال المرحوم أمير الشعراء. . .

القيـد أفسـح من عقـول عصـابـة　　زعمت فكـاك العقـل في الإلحـاد

ونسي الملاحدة المسؤولية الملقاة على معالم المجموعة النفسية في خاتم وحي الله جل وعز، وهي خطيرة جداً، وإلحادهم لا صلة له بالعلم، هذا محال.

ولو أنهم تدبروا قول الله جل وعز. . . ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولو عادوا إلى أول التكوين العلمي الذي يزعمون أنهم ينتمون إليه، إثماً وإفكاً، ولو رجعوا إليه وعلموا أن الذرة المادية ما تكونت إلا من الطاقة، وأن تكوين عناصرها وماداتها وعوالمها لا تتم إلا بمخطط يسبق التكوين، هذه قضية علمية مقررة، ولا يجيء المخطط بعد التكوين، هذا قول المجانين.

وقول من قال ذلك في الأسطورة القديمة أن المهندس الذي خطط قصر أنس الوجود، وجد في زمن نابليون لمَّا كان في مصر، فيكون القصر وجد قبل تخطيطه بآلاف السنين، ولعل دارك وداري لمَّا يوجد بعد مهندسهما، وإنما خططوا بالهراء والهواء والسخافة.

الثاني: المنافقون المتوغلون في دروب النفاق

هؤلاء يجاملون من يرجون نفعه، ويخشـون مضرته، وإذا رأوك تحب شيئاً أعلنوا حبه، وقد يكرهونه، وإذا رأوك تكره شيئاً أعلنوا كراهيته، وقد يحبونه.

فأنت لا تستطيع أن تدرك ما يدور في أنفسهم، فقد يلعنون إنساناً في سرائرهم، وهم يتهافتون بين يديه لثماً وتقبيلاً، فهل ترجو ممن كان هذا شأنهم أن يقدروا أي كتاب، التقدير الذي يستحقه؟ هذا لن يكون أبداً، ولكن كل تقديرهم للفائدة التي يحاولون أن تصلهم، فإن لم تكن من فائدة خاصة لهم ذموا وأوسعوا الذم.

وهذا كتاب الله جل وعز الصارخ الحافل بالمعجزات العلمية وسواها التي يلمسها العلماء العباقرة ويتحدثون عنها، ومع ذلك ما قدره المنافقون المتلونون حق قدره، ولا أعطوه بعض ما يستحق من التأييد والإعلان والصدق والإخلاص.

ومن كان هذا شأنهم مع كتاب الله، فهل أرجو أن يكفكفوا سخافتهم عن كتابي «أصول دراسة الأديان»، ويعطوه أقل ما يستحق، ولا يعرضون عنه ويذمونه هنا وهناك إفكاً واعتداءً وتطاولاً وظلماً.

ومهما يكن فدروب النفاق أدق من دروب النِّمال، وعلى كل حال، فالمنافقون يخفون سخافة نفاقهم بألوان وألوان، ولكنها قلما تخفى على ذوي البصائر من أهل العلم الأعلام، زد أن المنافقين يروغون كالثعالب من درب إلى درب حسب ما توجههم مصايدهم.

وأعتقد أن نجاة كتابي من إشراك نفاقهم لا يتم إلا بإخفائه عنهم، وعدم دعوتهم للإطلاع عليه، أخفوه يا ناس عنهم، أخفوه، وأجركم على الله جل وعز.

الثالث: المنتهزون المختلسون

هؤلاء لا يكفون عن اختلاسهم أنى تسنى لهم... وبالحري لدى جنح الظلام، وغفوة الأعين الساهرة، وهم يختلسون ولا يبالون الفضيحة متى استوثقوا الغاية...

ألا إن هؤلاء المنتهزين هم سرقة جهود العلماء الأعلام والأدباء العباقرة والفنانين البارعين وهؤلاء المختلسون المتمرسون لا يكون اختلاسهم بالغاً مداه أبداً، أبداً، إلا إذا كانوا يحسنون لغة أجنبية فهناك مجال كبير لاختلاسهم، أما الذين لا يحسنون اللغات الأجنبية فهم يقتصرون على اختلاس ثمرات أبناء أمتهم وهم

كأوبئة السوس تلك تأكل قراطيس المؤلفات المهجورة، وهؤلاء يأكلون ما في بطونها من المعرفة ويا ليتهم يهضمونها. . . ولكن يجترونها كما هي ويلفظونها كما هي وليس فيها من الجدة والجهد سوى وضع أسمائهم مكان أسماء المؤلفين ضحكاً على القراء والمطالعين الذين لا يدرون عن عجزهم شيئاً، ويا ليتهم يسرقون وينسبون ما يسرقونه إلى أنفسهم رغبة في نشر العلم والأدب والفن، ولكن رغبة في صيد الدرهم والدينار.

وأين أنتم يا رجال العلم والفكر منهم، ولن يكون نصيب مؤلفي منهم سوى الاختلاس والنهب شأني شأن سواي، وهؤلاء المختلسون يحتالون على قوانين الدول التي تحمي المؤلفات من اختلاس المختلسين ويصدرون أحكاماً زاجرة، لولا أنهم يختلسون بعيداً، عن المراقبين والنقاد الذين هم حراس حقائق المعرفة، وإبقاء نسبتها إلى أهلها من العلماء والأدباء والفنانين.

الرابع: المستهترون بقيم الإنسانية الحضارية الحديثة

المستهترون بقيم الإنسانية الحضارية الحديثة، استهتارهم بقيم سواها من الحضارات السابقة. . . والذي يقر العين ويثلج الخاطر أن المستهترين هم قلة بين البشر، لأن حماسة الإعجاب والتأييد ما تزال في ازدياد في العالم المتحضر من قوة إلى قوة، ومن عزة إلى عزة.

وبالحري التشجيع قائم على قدم وساق للأجيال الناشئة، لأن كل أمة تريد أن تقدم للإنسانية الجديد الجديد من العلوم، وما هذه الجوائز والشرائط والأوسمة والبدر التي تعطى للفائزين المجاهدين الساهرين الأبطال، إلا إعلان بأن الاستهتار حطة ومهانة وبوار وزوال وتلف وانتكاس في الأمة.

ألا ترى قادة الحضارة الحديثة يمهدون الفرص العديدة بوفرة لكي تقدم على الإفادة منها ناشئة أجيالهم. . . لكي يتمكنوا أن يجددوا لأمتهم خدمة السلام والعلم والأدب والأخلاق والصناعة والاقتصاد.

الخامس: أنصاف المثقفين الناقصين العاجزين

وهم الذين يظهرون أنفسهم بمظهر الكمال والقدرة رغم نقصهم، لا تعجب

إذا شاهدت بقايا هذا الصنف من البشر المنحطين يكثرون نقد العلماء العباقرة والأدباء الأبطال البارعين وسواهم في بعض المجالس، لأنهم يريدون أن يظهروا أمام العامة والأغبياء بمظهر العلم الكبير والفكر القدير والرأي البصير، وكل ذلك لا يكون في زعمهم إلا إذا ذكرت عباقرة العلماء كابن تيمية والنووي والغزالي، رأيتهم يخرجون ما في أنفسهم من سافل القول لذم هؤلاء الأبطال الميامين وزعموا أنهم لم يجدوا لديهم هذا العلم الذي يكبره الناس، وهذا شأنهم إذا ذكر أحمد المتنبي أو أبي تمام أو البحتري، زعموا أنهم ما يزالون في طفولة الشعر، ولما يصلوا إلى الأعماق.

فمثل هؤلاء أسأل الله أن يصلح حالهم إن كان منهم من يزال حياً.

السادس: المقلدون الهبل أتباع كل ناعق

هم الذين يساقون إلى المسالخ فرحين مستبشرين، وهم عميان لا يبصرون الجديد من المعارف والآداب والفنون.

ألا تراهم إذا ألفوا آباءهم يعبدون فيلاً عبدوه، أو ناراً قدسوها، أو بقرة خشعوا أمامها وجمدوا، فهل تريد من أمثال هؤلاء المقلدين أن يتبصروا الحقائق التي يشتمل عليها مؤلف أصول دراسة الأديان، محال، محال، أن يروا فيه ما يرغبهم من درسه والاطلاع عليه، هؤلاء سُقْ إليهم كتاب تنبيه الغافلين، أو بدائع الزهور، أو ديوان الشاب الظريف، أو رواية عنتر بن شداد، وأبي زيد الهلالي ورأس الغول، فإنك تراهم يتهافتون عليه بلهفة وشوق.

والأمم لو كانت مقلدة لما كانت هذه الحضارة أبداً، وحسبك لكي تفهم أن التقليد بلاء وانحطاط وسخافة وهوس، أن علماء الإسلام اختلفوا في صحة إيمان المقلدين، ولماذا يختلفون وهم قادرون أن يتحرروا من ربقة التقاليد.

وإذا رأيت أمة تحفل بالتقاليد البالية وإشراكها وإلحادها ووثنيتها، فاعلم أنها أمة لا رجاء لها في نهضة، ولا حرية ولا علم ولا حضارة ولا صعود في شيء.

السابع: الحاسدون الذين يبخسون أعمال المفكرين العلماء الخالدين

فهم يرونها تافهة رغم كبير نفعها، نعم إن الحسد مرض يصاب به العاجز

الجبان، إذا شاهد سواه، أقدر منه وأبرع وأنهض وأحسن خلقاً وأقوى عزيمة وأشد تأثيراً، حتى لو كان ذلك الغير يؤيد دينه الذي يؤمن به، ولغته التي يتكلم بها، ودولته التي تذود عنه وعن بلاده وتحميه من العدوان.

أجل، هو لا يبالي بكل ذلك، لأنه حسود بغيض، والحسود البغيض ممقوت من الله جل وعز الذي يمنح المواهب لمن يشاء رغم أنف الحاسدين.

هذا رسول الله ﷺ، حسده صغار الأنفس من رجال قريش، حسداً ما تزال نتانته ذات رائحة كريهة حتى الساعة، وقد ودوا أن تكون الرسالة لرجل من القريتين، الطائف أو مكة، عظيم في زعمهم، ونسوا قول الله جل وعز. . .

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

كما نسوا أن العظة لا تعود معرفتها إليهم، ولو كانت المسألة بالثراء والجاه لكان فرعون أحق بالرسالة من سيدنا موسى عليه السلام الذي طرح في تابوت في البحر، ونشأ عائلاً عنده.

ومن أجل ذلك أرجو من الله جل وعز أن يحفظ مؤلفي هذا، وسواه، أن يقع في أيدي الحاسدين تفادياً من بلايا حسدهم.

وماذا أرجو من الحسود سوى أن يقول هذا كلام مسروق من هنا ومن هنا، كلام أكل الدهر عليه وشرب، وإذا سألته أين هو ذلك الهنا والهناك؛ خرس. . . .

ومهما يكن فالله أسال أن يحفظ كل مؤلف مخلص صادق من كيد الحاسدين والمنافقين والمنتهزين والمستهترين والملاحدة وأنصاف الدارسين.

ومتى حفظ الله كتاباً من إفك هؤلاء، فإنه يأخذ طريقه إلى رجال النقد العلمي الأدبي الصحيح، هؤلاء هم أهل النصفة الذين يعطون كل ذي حق حقه.

الأسباب التي دعتني
لوضع علم دراسة الأديان

كان مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد، مؤسس الكلية الشرعية ودار الإفتاء في بيروت، طلب إليَّ أن أدرس لطلابها رسالة التوحيد للإمام الشيخ محمد عبده حيث يوجد في لبنان وسوريا جملة من الأديان السماوية وسواها، والشيخ محمد عبده إمام وحجة في مثل ذلك.

ولما كانت الصلة حسنة ووثيقة بين أئمة الأديان كافة، وبين سماحته، رغب إلي أن أضيف إلى رسالة التوحيد بعض كلمات موجزة تدور حول كيفية دراسة الأديان من الوجهة العلمية الصرفة، التي لا حقد فيها ولا أنانية ولا محاباة كما جاء في نصوص خاتم الوحي الإلٓهي مثل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى:

﴿أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

إذ لو علموا الأصول العلمية التي بها يتحدثون إلى رجال الأديان الأخرى وأتباعهم، ومنطق العلم يصغي إليه كل إنسان إنسان، وأدركوا أن الله هو الذي أراد أن يمنح حرية الإرادة التي بها يتم تزيين عملها، لما سب أحد عقيدة الآخر.

نعم يوجد اختلاف في المعتقدات، كالنصارى واليهود في سوريا ولبنان عدا المسلمين كما يوجد أهل الفروع والفروق، مما لا تجد له مثيلاً إلا في الهند وفي الولايات المتحدة أخيراً، ولست بحاجة إلى تعدادها لأنها معروفة للجميع.

وعلى كل حال فالأسباب التي دعت إلى وضع علم، «دراسة الأديان» هي أسباب إنسانية كريمة تدعم المودة للجميع، وتصون كرامة الجميع، خشية أن يأتي جاهل متعصب مدسوس لإشاعة العصبية الممقوتة في يقين وحي الله والعلم، فيورث أحقاد التمزيق باسمها وباسم أئمتها وهم براء من كل ذلك وهل كانت الطائفية مدعمة إلا بسبب ذلك..؟؟ والدين مناقض للطائفية.

هذه قصة الأسباب التي دعتني لوضع علم «دراسة الأديان» وهي إن لم تكن قصة بالمعنى المتعارف، إلا أنها قصة في منطق الفكر الإنساني المحرر السامي الدائب في كشف واقع اليقين العلمي في الصعود الحضاري الخالي من مهالك التخلف العنصري الغابي، ومن مهالك حقده الباغي ودسائس مؤامراته وطغيان نزواته العارمة بالبهتان والإفك. ومهما تغل طموحات الشباب وتغش عقولهم بالأحقاد والظنون والأساطير والزيادة والنقصان وتخلخل مودات ذات بينهم الإنسانية والوطنية السليمة، وتصرفهم عن بناء مستقبلهم ومستقبل أمتهم بأسباب من معارف الحضارة الحديثة وأصول من سلامها المركز في دعائم هيئة الأمم المتحدة، فإنهم لن ينقادوا انقياد الأعمى المقلد ما داموا يستعملون عقولهم بحرية إرادتهم بالنظر في هذا العلم. فإن فرطوا ولم يتقيدوا بمثل هذا العلم الخالص فإنه يحصل ما تخوفه سماحة المفتي الأكبر أن يكون، فها هي الفتن العمياء والحروب الطاحنة بين طوائف أمة حبيبة كريمة يقال عنها سويسرا الشرق، لبنان العزيز، حتى حولوا أبناءه إلى عصابات يفتك بعضها ببعض وانزاحت عنهم أمجاد كانت لهم لم تحلم بمثلها أمة كبرى كالهند، بله هم على قلتهم.

ولعل مفتي الجمهورية اللبنانية الأكبر كان ينظر بعين بصيرته إلى ما يمكن أن

يكون من أحقاد عنصرية ومؤامرات ودسائس، فطلب إلي أن أصنع هذا العلم رحمة بالمتآمرين قبل سواهم، لأنهم إخوتنا وشركاؤنا في الحياة والإنسانية، وحياتهم عزيزة علينا كحياتنا، ولولا مواريث العنصريات وتقاليدها الصماء ضد السلام والأمن والإنسانية لما حصل شيء من ذلك.

ويا أخي من أجل السمو النفسي العقيدي وضع هذا العلم، وإنه يقوم على دعائم خمس:

١ ـ على بناء الإصلاح الإنساني العام.

٢ ـ وعلى دعم الروح الحضاري السلمي الحديث.

٣ ـ وإلى الدعوة العلمية لوحدة الإيمان القطعي المنزل يقيناً من رب العالمين في الأديان السماوية كافة.

٤ ـ وإلى زحزحة الظلم والعدوان والانحياز في الأحكام، بإقامة سلطان العدل المطلق في كل مكان.

٥ ـ وإلى ارتياد مطلع الشمس لإزالة هول أشباح سبات حالك الظلمات.

وإني أدعوك يا أخي الإنسان المفكر العالم الناقد أن تسير معي بحذر في رحاب موضوعاته الكريمة، وفسيح جناته وظلال خمائله الوارفة، وتسلسل مياهه العذبة، لكي تعوذ به من خسيس أحقاد مواريث العنصريات المتحجرة القاسية وحماساتها المريبة المنتكسة الظالمة الباغية وتربياتها الرعناء.

وما أحسبك يأخي طاوياً صفحاته المشرقة إلا وبارق حبيب من نور المودة لك يظل يجري مجرى الروح في الدم، لأن صدق الإخلاص، وصفاء السريرة، وقصد رضوان الله، وإسعاد الإنسان الإنسان في الأرض، وإيثار ما عند الله تعالى من دافق رحمته المنزلة من يقين وحيه إلى رسله كافة.

وهذا كله هو الذي حدا بي أن أحرر هذا العلم وأعزله عن كل ما يضر ويؤذي منذ نصف قرن من الزمان تقريباً... وهلا كانت الحياة الإنسانية كافة بالنسبة لامتداد الدهر إلا ساعة من نهار؟ وصدق أمير الشعراء في قوله...

إن الحياة نهار أو سحابة ... فعش نهارك من دنياك إنسانا

وما قيمة نصف القرن أو القرن وأضعافه؟ لا شيء لا شيء...، وكل القيمة في

صدق الإيمان، وصدق الحب لسعادة الإنسانية كافة، ودعوتها لتنال شرف الإيمان بالله مكون الأكوان جل وعز، هذا الإيمان الذي فيه كل العلم وكل الحق وكل الهدى وكل الإنسانية وكل الإصلاح وكل الخلود، وبدونه حياة الإنسان صفر في صفر.

ونهاية دراسة هذا العلم وثمرته وفائدته، هي تحرير دراسة الأديان كافة. . . وإن رأيت في بعض الفصول شواهد من خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد، لا يقصد بها إلا البرهان والدليل، لأن الدراسة بموجب هذا العلم هي دراسة علمية محضة، وليست مبنية على انتصار ملة على ملة، أو فرع على فرع، أو فلسفة على فلسفة، لا، لا، إن الانتصار لشيء واحد هو تعيين عين واقع العلم والوحي في كل ملة، وحسبك أن تعلم أن خاتم الأديان السماوية فيه بينة الصحف الأولى المنزلة.

وأنت إذا كنت عالماً محققاً ناقداً بصيراً حذراً، لا تخدع ولا تضلل، فعليك لتطبيق هذا العلم على أي ملة سواء مما تدين بها أنت أو يدين بها سواك مما ورثته تقليداً انطباعياً تلقينياً عن أبويك وأسرتك ومجتمعك، فإنه يهديك حتماً إلى الإيمان العلمي بصدق خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد.

أجل وقد وضعت هذا العلم لآخذ أنا وسواي، أو أنت وسواك، واقع علم دراسة الأديان، أجل، هي أصول مبنية على يقين العلم الصحيح، وأرجوك إذا تبينت مسألة واحدة شاذة غير مرتكزة على يقين العلم، دلني عليها لأقيم لك البرهان القطعي على أنها من صميم العلم القطعي المبني على المشاهدة الحسية والمعنوية، وعلى صحيح التجربة المتداولة المعروفة لعلماء الحضارة المحدثين وعلى الله قصد السبيل. . .

اختلاف وجهات النظر

إن اختلاف الأنظار أمر لا بدّ منه ما دام البشر يعيشون أحراراً في إراداتهم وأعمالهم وتصرفاتهم المختارة، كما هو مشاهد.

وحرية الإرادة الإنسانية المقيدة هي إرادة الله الأزلية التي كوّن عالمنا على وفق مقتضاها، ولا سبيل لإبطال ما أراده الله أن يكون، ومن جراء ذلك سيظل اختلاف الأنظار في العقائد وفي كل شؤون الحياة، وفي كل أعمال الإنسان الإرادية، ما ظلت حياة الإنسان على ظهر هذا الكوكب.

واختلاف حرية الإرادة الإنسانية المقدرة يتناول ناحيتين:

١ ـ ناحية الأعمال النفسية الخفية كالإيمان أو الكفر، وكحسن النوايا أو سوئها، وكالحب أو البغض والأمانة أو الخيانة.

٢ ـ أو ناحية الأعمال الخارجية المشاهدة كمزاولة الطاعات، أو المعاصي، وكمباشرة الأذى أو الكف عنه، وكإعلان أعمال الإيمان أو الكفر. . .

وإنك تجد كل بواعث الاختلاف في كلتا الناحيتين، منذ أبعد الأزمان حتى عصرنا الحاضر تعود إلى التزامين أساسيين لكي تتجلى الحقيقة الواقعية.

١ ـ التزام كِشف واقع المعرفة اليقينية بمقدار ما يملك الدارسون من الوسائل الكاشفة لخفاياها، فيما يقدمونه للأندية العلمية من المؤلفات جيلاً بعد جيل.

٢ ـ أو التزام كشف مواريث الأقدمين، وأساطيرهم، وخرافـاتهم ووثنياتهم وإشراكهم وإلحادهم . . .

وكل علماء الأرض، يعلمون أنه لا يعين طريق واقع المعرفة ويسدد خطى مسيرة الأجيال إليها، ويقضي على كل انحراف يقدم الجهل على العلم، والأسطورة على الوحي، والعاطفة على العلم إلا شيئان أصيـلان، الوحي اليقيني، والعلم القطعي .

ولو أن البشر أخلصوا لواقع العلم والوحي اليقيني فيما يدينون به، وتعاهدوا أن ينتصروا له في دراساتهم العلمية، وآرائهم ومذاهب تفكيرهم فيمـا يقدمـونه للأجيال من غذاء العلم والدين، على ذلك، لتضاءل الخلف بينهم إن لم يزل كلياً، وتمكنوا أن يعيشوا بسلام وتفاهم وإيمان مبني على العلم والعقل والحكمة والواقع والمودة والاتزان . . .

ولكن أنّى لهم ذلك، والترف ووفور الصحة، واشتعال اللهفة إلى نيل النزوات ومغرياتها ومفاتنها، تدفع بالكثرة الساحقة من البشر إلى اقتراف آثامها، واستباحة محارمها عامدين غير مكترثين بزواجر الوحي الإلّهي، وتهديدات علم الطب بما يلحق أجسادهم من عطب سريع يقصف أعمارهم قصفاً . . .

ولولا أن هاتيك النزوات المنحطة، ومغرياتها المثيرة التي لها أسواقها التجارية في العالم الإباحي لما انتشرت هذا الانتشار المخيف بين الأفراد والجماعات في الشرق والغرب ولم يفلت من بلاياها إلا من رحمه الله بالاستمساك بما أنزل سبحانه في وحيه اليقيني .

ومما تقدم إليك يمكنك من أن تلمس الأسباب التي تجعل معـظم البشر ينحرفون عن الوحي الإلّهي اليقيني، والعلم اليقيني، ويأخذون في دس الفروض والظنون والأوهام والأساطير بعمد وكيد . . .

لذلك كان من الواجب الحتم أن يجد العلماء في عملية فرز العلم من الجهل والحق من البـاطل، والأسـطورة من الدين، كمـا جـدّوا في فصـل العلوم عن الفلسفة . . .

ولا ريب أن عملية الفرز تفتقر إلى أصول علمية دقيقة ثابتة مسلمة لدى أهل

العلم، وإلى قواعد عقلية أكيدة بعيدة عن كل ظن وريب واختلال وتناقص وتمييز وتحيز. . .

والحمد لله الذي وفقني لوضع الأصول المنشودة، وتقعيد القواعد، وجمعها في علم أصول دراسة الأديان الذي يجده العلماء المتخصصون هنا في مؤلفي هذا، واضحاً جلياً لا خفاء فيه ولا التواء، ولا تحيز ولا تناقض، ولا بُعد عن واقع الوحي اليقيني، والعلم القطعي. . .

وفق الله كل إنسان ذي إثارة من علم أو صبابة من خلق، أو لمحة من عقل أو بارقة من دين، إلى الدعوة الإنسانية الجامعة الخيرة التي أرادها الله من وحيه في خاتم الأديان السماوية الإسلام، ومقت العنصرية البغيضة قبل أن تشعل أحقادها الحرب العالمية الذرية فتبيد البشر جميعاً.

وقد وضعت هذا المؤلف بعد طول الدراسة ومتابعة أقوال الناقدين قديماً وحديثاً، وبعد إمعان طول النظر في الخصومات العقائدية والعلمية والمشاكسات، وما كان من هذا القبيل ويشهد الله أني ألفيت هاتيك البحوث المستفيضة في كثير من المؤلفات المنتشرة، بعيدة عن التحقيق العلمي اليقيني كل البعد.

وهي وإن دلت على شيء، فإنها تدل على ما تشتمل عليه أنفس أولئك الكتبة العنصريين من صغار وأحقاد عنصرية وضيعة، ولعنة مميتة وانتصار للجهل، وحرب لواقع العلم ـ حاشا ما كتبه ويكتبه العلماء الأحرار المناضلون نضالاً بطولياً لإزاحة أغشية الجهل عن وجه العلم في كل شيء.

وهؤلاء العلماء المحققون المناضلون عن واقع العلم اليقيني لا يزالون قلة في كل أمة لأنهم ليسوا عنصريين، ولا حاقدين ولا تجاراً ولا انتهازيين نفعيين. . .

والآن أذكر الأبواب المختلفة التي يدخل منها الداخلون: إما لحفظ أصول الوحي الإلّهي ونصوصه، كما نزلت، وإما لإفساده والعبث به وتغيير اتجاهاته ودلائله بالتآويل الباطلة. ولكل فريق من الداخلين مذاهب ونحل وفرق، سوف تمر بك، والاختلاف إن كان في دين واحد سمي اختلافاً داخلياً، وإن كانْ بين دينين كاليهودية والنصرانية، أو بين البوذية والبرهمية، وسواهما سمي اختلافاً خارجياً.

وهذان الاختلافان الداخلي والخارجي، إن كانا متحازين لجانب الواقع

العلمي اليقيني سمي اختلافاً علمياً قريباً، أي قريباً من منابع الوحي الإلّهي، ومتوخياً أهدافه الأصيلة. بعيداً، أي بعيداً من منابع الوحي الإلّهي، ومطالب أهدافه التي من أجلها أنزله الله عز وجل. وفيما يلي ندلي بهذه الأقسام الأربعة مع بيانها تفصيلاً...

فانظرها بإنعام نظر، وتدبر فكر واهتمام عزيمة، لتميز ما بين الحقائق المدرجة في أقسامها الأربعة التالية:

١ ـ اختلاف داخلي قريب.
٢ ـ اختلاف داخلي بعيد.
٣ ـ اختلاف خارجي قريب.
٤ ـ اختلاف خارجي بعيد.

١ ـ الاختلاف الداخلي القريب

هو اختلاف فرعي حول فهم نصوص الوحي الإلّهي اليقيني والتزام مدلولاتها اليقينية التي هي قوام الدين، وملاك أركانه منذ انبثاق فجره في عمر الزمن، أي الفهم الذي هو مناط دعوة المؤسس الأول إلى الإيمان الصحيح الخالي من الزيادة والنقصان عما أوحاه الله إليه، لإنهاض الإنسانية إلى التفاهم والسلام وجمع الكلمة وإقامة معالم العدل، وحمل النصوص الظنية إلى دلائل النصوص اليقينية...

إذن فالاختلاف الملتزم بمدلولات النصوص اليقينية على وجهها الصحيح كل التزام هو اختلاف فرعي قريب، لأن النصوص الظنية محمولة في مدلولاتها على النصوص اليقينية.

حتى لو رأى المختلفون مسألة مذهبية تخالف مذهباً آخر فرعياً قريباً ثم تبين لهم أن ما أخذوا به مخالف لمدلول نص يقيني لم يفطنوا له من قبل، فإنهم حالاً يتخلون عما أخذوا به، وينحازون بكل إيمان وصدق إلى مدلول النص اليقيني الذي لم يفطنوا له من قبل...

ذلك لأن اختلافهم لم يكن إلا للاجتهاد وتحري المدلول الأكيد، لمراد الله في وحيه الثابت ثبوتاً قطعياً، وحمل النصوص الظنية على مدلولاته اليقينية.

وهذا الاختلاف الداخلي الفرعي القريب هو رحمة وخير وحافز جد واجتهاد لتحري الفهم الصحيح الأصيل في نصوص وحي الله اليقيني . . .

وفيه تقدم للتشريع، ونشاط لتجديده حسب مقتضيات نصوص الوحي اليقيني . وعلى كل حال فهو اختلاف لا يخرج عن مدلولات نصوص الوحي اليقيني قيد شعرة، وفيه كل ملكات تطور التشريع وفق مقتضيات اختلاف الأزمان . . .

فإن خرج عن نصوص الوحي اليقيني رفض كل من رجال الدين المجتهدين اجتهاداً فرعياً قريباً لأنه يكون خالياً من التحيز البغيض والمداجاباة والمحاباة والانتصار المجرم على حساب الواقع اليقيني والاختلافات الداخلية القريبة، حجة للعمل بمقتضاها لمن التزم بها، وهي أشبه شيء باختلافات رجال القوانين الوضعية في تفسير مدلولات نصوصها لدى حكم القضاء ومرافعات المحامين . . .

ومن الاختلاف الداخلي الفرعي القريب في الدين الإسلامي هو اختلاف المذاهب الإسلامية المحصورة في نطاق النصوص اليقينية، وفي يقين دلائلها الاجتهادية، الصحيحة التي لا خروج فيها عن المدلولات الأصيلة بالتأويلات البعيدة . . .

وإنك تجد دلائل النصوص اليقينية في الفروع المذهبية فارضة حمل النصوص الظنية عليها وارتباط تأويلاتها بها كل الارتباط، حتى لا تكون لدى المنافقين مصدر شقاق وخلاف وإحداث مذاهب خبيثة بعيدة عن الأصل الأصيل . . .

ولولا ورود النصوص الظنية واختلاف درجاتها الثبوتية لما كان ثمة اختلاف في مسألة تشريعية واحدة، ولعل ورودها في الأديان هو مجال الفسحة في الشرائع، إن حملت على دلائل النصوص اليقينية .

وحملها على النصوص اليقينية تحقق أسمى غايات التشريع الباعث على التجدد، ومسايرة الحضارات بخلاف المسائل التي تعاضدها البراهين اليقينية فإنها تفضي إلى اضطراب الرأي وتساعد على الدس والفتن والإفك، واختراع المذاهب التي تنسب إلى الوحي باطلاً . . .

والخلاصة أن الخلاف بين المذاهب الأصيلة منشأه النصوص الظنية لأن

النصوص اليقينية لا خلاف فيها أبداً، والخلاف فيها كفر،-وهي تبنى عليها العقيدة. . . وأصول التشريع. . .

وإني أسأل المولى الكريم أن يقدرني على عرض فصل خاص بالمسائل الخلافية الظنية بين الفقهاء. . .

ويوجد في المكتبات الكبرى وسواها مؤلفات وموسوعات حول هذا الموضوع.

١ ـ كالفروق للقرافي.
٢ ـ واختلاف الفقهاء للطبري.
٣ ـ واختلاف الفقهاء للطحاوي.
٤ ـ والاستبصار في اختلاف أئمة الأمصار لابن عبد البر.

ومهما يكن فأنت إذا نظرت إلى المسائل الخلافية بين الأئمة الأعلام في مذاهبهم فلا تجد أي خلاف في نصوص يقينية ثابتة، انظر الخلاف الذي بين الإمام أبي حنيفة والإمام مالك أو بين الشافعي وابن حنبل، فإنك تجدها محصورة في فهم النصوص الظنية، دون سواها.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل رائدي في موضوعي هذا، هو ما نص عليه الأئمة الأعلام: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

٢ ـ الاختلاف الداخلي البعيد

ثق أن المؤمنين بالدين عن قناعة وصدق وعلم، كل همهم أن يتقيدوا بمدلولات نصوص وحي الله اليقيني، وأن يفيدوا من توجيهاتها ويتقيدوا بأهدافها الأساسية، ومثلها العليا ومتى كانوا كذلك فلن يصدر عنهم الاختلاف الداخلي البعيد الشاذ، وقد وضعوا علم الأصول لحصر الخلاف في الوجه الصحيح القريب.

إنما يصدر عن الدساسين الواغلين في الدين للتلبيس والإفساد، وبث الوثنية والإشراك والإلحاد، بحكم أغلال العنصرية وأحقادها الوضيعة.

ولا ريب أن إفسادهم هذا المبطن بالكفر، له أضراره الفادحة، ودواهيه القاصمة، لدى السطحيين السذج من المؤمنين، الذين لا يميزون بين حقائق الدين

اليقينية، أي بين الدين الذي ينتسبون إليه، وبين الأساطير والترهات المدسوسة فيه، بل يتساوى لديهم العلم والجهل والحق والباطل والنور والظلام، والعالم الإنسان الودود، والعنصري الخبيث الحقود... ومهما يكن فالجهل عمى... والعلم نور البصائر.

من هؤلاء البسطاء تتألف الفرق الشاذة ذات الاختلاف البعيد في كل دين، والفرق الشاذة تكثر في الدين الواحد حتى تتجاوز السبعين كما أشار إلى ذلك خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه.

وإني أذكر بعض أسماء الفرق الشاذة في الإسلام، وقد استقصيتها من كتاب الملل والنحل للعلامة محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، فعد إليه وإليك أشهرها:

١ ـ مقالات الإسلاميين للأشعري.
٢ ـ أصول الدين للبغدادي.
٣ ـ الإقدام في علم الكلام للشهرستاني.
٤ ـ الفَرق بين الفِرق للبغدادي.

المعتزلة ـ القدرية ـ الواصلية ـ الهذيلية ـ النظامية ـ الحائطية ـ البشرية ـ المعمرية ـ الالتحامية ـ الهشامية ـ الخياطية ـ الكعبية ـ المزدارية ـ الخوارج ـ المرجئة ـ الوعيدية ـ الجبرية ـ الضرارية ـ المشبهة ـ الثمامية ـ الأزارقة ـ البيهسية ـ العجاردة ـ الثعالبة ـ الإباضية ـ الغسانية ـ الثوبانية ـ الميمونية ـ الحمزية ـ الأطرافية ـ الحازمية ـ الرشيدية ـ المكرمية ـ الشيبانية ـ اليزيدية ـ الصفرية ـ الحفصية ـ المختارية ـ الكيسانية ـ البنانية ـ الرزامية ـ الصالحية ـ الجارودية...

ومن أراد التعرف إليها وما شذت فيه فعليه بالعودة إلى كتاب الملل والنحل فإنه يجدها مفصلة كل التفصيل، فجزاه الله عن واقع العلم اليقيني خيراً... فهو أشمل وأدق من سواه.

٣ ـ الاختلاف الخارجي القريب

هو حقائق يقينية يقدمها العلماء المتعمقون العباقرة للمطالعين المثقفين، وهو برهان تحقيقاتهم العلمية عن دينين مختلفين، أو عن أديان مختلفة... طارحين وراء ظهورهم الظنون والأوهام والأساطير والمفتريات والمحاباة والتدجيل، وإرضاء التقاليد

الباطلة، وإغضاب حقائق العلم، والإفادة المادية المكتسبة، بتنمية كل خلاف، وإليك بيان ذلك . . .

الآن يجدر بي أن أعلن هاتفاً أن الخلاف الخارجي القريب بين دينين أو أكثر. . كشفه وبيان واقعه هو ثمرة الجهود العلمية الخالصة، القادرة على تمييز مراتب النصوص الدينية اليقينية من الظنية، من الشكية من المفتراة المنقولة عن الداعي الديني الأول أو المنسوبة إليه، وقد وضع علماء المسلمين، علمين لهذا الغرض الشريف، المنقذ للنصوص الدينية، من الدس والافتراء ومعرفة درجاتها، الأول علم مصطلح الحديث. والثاني علم الجرح والتعديل.

والإنسانية رحم واحد، وأمة واحدة، فلماذا لا يأخذ بعضها عن بعض كل وسائل التحقيق والتمحيص، لكي يهدموا دس العنصريين الخبثاء الذين يهدمون واقع العلم اليقيني لإحياء التنابذ والفساد.

وهو حق مسؤولية الإيمان الراسخ بالحق الإنساني العام في كشف حقائق المعرفة، وفي قدس أمانة التاريخ، وفي نصرة أمجاد الحضارة، وفي دعم طاقة التطور، وحسبه أنه طهرة للتأليف من أوبئة النفس المخزية، وأحقاد الغاب المتغلغلة في أعماقها، ومن الجرأة العنصرية اللعينة ـ على قتل واقع المعرفة اليقينية، بإحياء الجهل . . .

على الرغم من تظاهر التقدم العلمي، ومن أناقة الذوق الفني، ومن جاذبية أدب الحضارة.

وهو شعلة المجد بهبات القلم المعتصم بالهدى وتحرير منافعه بأضواء المعرفة اليقينية لكل المبصرين والمبصرات من البشر.

ومهما يكن فكشف معارف الخلاف الخارجي بين الأديان المختلفة على وجهه اليقيني العلمي، وهو رائد المؤتمرات الدينية التي تعقد من حين لآخر، على أرقى المستويات الدينية وأعلاها، بل رائد المثقفين الأحرار من كل أمة، ومن كل ملة . . .

وهذه الدراسة طريقة علمية قطعية تكشف أكثر ما دسه العنصريون من الظنون والأوهام والأساطير والوثنيات، والإلحاد، منذ أبعد الأزمان في حقائق نصوص الأديان السماوية، وبهذه الدراسة المخلصة تلمس التناسب ما بين الحقائق

اليقينية... وبمقدار الاعتصام بها ومواصلة التصفية والغربلة بمناهجها وأصولها العلمية القطعية فإن الحقائق الدينية العليا تبدو واحدة، أجل تبدو واحدة في ينابيع وحي الله اليقيني في يوم قريب، كما تبدو أشعة الشمس بعد طول احتجابها خلف تراكم الغيوم وتلبدها، ومهما يكن فالاختلاف الديني الخارجي القريب في عصرنا هذا، رائد علم وصدق، وحق، وحاسم لدسائس العنصريين المجرمين الذين دسوا قبل نزول الكشاف العظيم خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد.

ومن الخلاف الخارجي القريب بين الأديان السماوية، الخلاف في نمط العبادات، وفي كيفيات أوضاعها، وفي منهاج التشريع واختلاف أحكامه، وهذا أمر يؤكده العلم الذي يتطور بتطور الحضارة الإنسانية... لأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان، أي الفروع...

وقد أكده الوحي الإلّهي في محكم آياته اليقينية، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن ألمع العلماء المفكرين الذين كتبوا بروح علمية رياضية برة، حول حقائق الأديان وشرح درجة نصوص الخلافات هم: غوستاف لوبون واللورد هدلي، وكتاب «الطريق إلى مكة» الذي ألفه الأستاذ محمد أسد بالإنكليزية، وترجمه الأستاذ عفيف البعلبكي.

وكذلك صاحب كتاب «المثل الأعلى في الأنبياء» ألفه «كمال الدين» بالإنكليزية وعربه أمين محمود الشريف.

٤ ـ الاختلاف الخارجي البعيد

هو خلاف نصوص الأديان السماوية في صميم العقائد: كالخلاف الحاصل ما بين اليهودية والمسيحية، أو ما بينهما وبين الإسلام، أو ما بين أحدهما وبين الإسلام.

أو الخلاف الحاصل ما بين الأديان الوضعية والأديان السماوية كافة، أو ما بين الأديان الوضعية ذاتها...

والخلاف الديني الخارجي البعيد لا يقوم على مناهج البحث العلمي اليقيني

ولا على فرز النصوص المختلطة المنسوبة إلى الوحي الإلّهي لأن فرزها من خصائص البحث العلمي اليقيني.

ولا على النوايا الخيرة الصالحة، لأن النوايا الخيرة الصالحة من شأن المؤمنين بالله الذين لا يزوغون عن واقع العلم اليقيني، والوحي اليقيني في أي دين كان...

ولا على المشاركة في النهوض الحضاري، والصعود العلمي اليقيني العام.

١ - وإنما يقوم على اختلاط نصوص الوحي اليقيني بالظني والشكي والموضوع...

٢ - وعلى اختلاط صفات الخالق العظيم الأزلية غير المحدودة بصفات مخلوقاته الحادثة المحدودة.

٣ - وعلى اختلاط حقائق عوالم الآخرة الباقية، بحقائق عوالم الدنيا الزائلة.

٤ - وعلى اختلاط الرؤى والأحلام وأساطير الخوارق المخترعة بحقائق الوحي القطعية ومعجزاته العلمية المتحدية.

٥ - وعلى اختلاط مدلولات نصوص وحي الله الحري الأصيل بمدلولات التأويل الأسطوري البعيد المدسوس وما أكثر التأويلات الفاسدة للنصوص المحكمة في الأديان سماوية ووضعية.

وهذا الخلاف الديني الخارجي البعيد غشاء على فوهة بركان محجب بطلاسم الترهات ومعميات الأساطير ودواهي العصبيات العنصرية ونعراتها الصارخة باللعنات وبمكايد الأبالسة وبصغار أحقاد البشر السفل وبكل الدواهي وظلماته تتكاثف، وأفداحه تتفاقم من جيل إلى جيل، على أيدي هؤلاء العنصريين المندسين في الأديان من ذوي العصبيات. وكلما تعاقبت الحقب، زاد الأخذ والرد فيما بينهم وزاد دسهم بالافتئات الأسطوري الرخيص والرعونة الحاقدة المجرمة الفتاكة...

أي، هم مؤلفون رصدوا عزائمهم لتوطيد الخلافات بالزيادة والنقصان والتأويل والتخريج أنهم أقاموا شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم حراساً للحفاظ عليهم، والذود عنها. وكم من فتن عمياء، وحروب أهلية صماء نجمت بين أهل الأديان من جراء جرائمهم في الأمة الواحدة، أو بين الأمم... وأدنى مطالعة لتاريخ الحروب الدينية في العالم تكشف هذه الحقيقة.

ومعضلات الخلافات الدينية لا تحل حقائقها اليقينية ولا تفرز من الظنون والأوهام والأساطير، إلا على أيدي العلماء الراسخين الذين ربطوا عزائمهم بكشف حقائق العلم اليقيني والوحي اليقيني، وصمموا على تصفية الخلافات الدينية الخارجية من قريب ليحل وفاق العلم، محل شقاق الجهل، وحسن نية وحي الله محل ريع الأسطورة المجرمة، وصدق القول محل افترائه وكذبه.

* * *

ولا ريب أن الدارسين الأحرار، والمطالعين المثقفين ثقافة واسعة سيجدون في هذا العلم الحديث ـ علم أصول دراسة الأديان ـ الحل العلمي اليقيني الكاشف لكل الأباطيل المدسوسة في نصوص الأديان السماوية وفي مذاهبها ونحلها قديماً وحديثاً بخبث صنع العنصريين الواغلين في الأديان بأردية أهلها منذ أبعد الأزمان وباسم أهلها...

كما يجدون بينهم وبين نصوص الأديان الوضعية مثل ذلك، سواء أكان الخلاف داخلياً قريباً أو بعيداً، أو كان الخلاف خارجياً قريباً أو بعيداً.

ومهما يكن فإن للعلم رجالاً علماء سواء من أهل الدين الواحد ذاته أو من أهل الأديان الأخرى فإن صدق إيمانهم بالله جل جلاله يجعلهم ينشدون واقع العلم اليقيني، فإنك تراهم يبحثون ويكشفون الحقائق الواقعية، فيما بين أيديهم من دين، أو في الأديان الأخرى دون تحيز، ودون مجاملة ودون إفادة لهم، لأنهم وضعوا نصب أعينهم رضوان الله، وهم يعلمون يقيناً أن رضوان الله لا يناله إلا المخلصون الصادقون، والمؤمنون العاملون، والعلماء الإنسانيون الأعلام الأحرار...

نعم يوجد في أهل كل دين جمهرة من السذج المغفلين الإمعات الذين لا يستطيعون أن يفهموا الحقيقة الصحيحة المنجية، ولا مجد العلم اليقيني، ولا نور وحي الله الساطع بالحكمة والسمو، هؤلاء هم الذين يخيفون أهل العلم المخلصين للحقيقة ويجعلونهم يتظاهرون لهم أنهم على نهجهم، المخزي، وأنهم يذودون عن عقائدهم الملوثة بالأباطيل والخرافات.

وأقرب قصة في هذا الشأن، قصة هرقل التي رواها البخاري في صحيحه أنه لما جمع هرقل أمثال هؤلاء من عظماء الروم وطلب إليهم أن يؤمنوا بخاتم رسل الله

وما أنزل إليه ليدوم ملكهم، أبوا عليه ذلك ونفروا نفور حمر الوحش، لذلك أفهمهم أنه كان يختبر ثباتهم على دينهم، ومع ذلك تحقق تنبؤه وأخرجوا من ديارهم بعد ذلك بسنين، وحل الأتراك المسلمون مكانهم كما هو مشاهد، وتبين صدق هرقل.

ولو أنهم أجابوا هرقل ولم يركبوا رؤوس عصبياتهم الرعناء وسذاجة تفكيرهم لظل ملكهم باقياً حتى الساعة، ولكن لله في خلقه شؤوناً.

ومهما يكن فالخلاف بين أهل الأديان المختلفة واقعاً ومشاهداً لأن طبيعة حرية الإرادة والمصالح الشخصية، وحب الرئاسة وما إليها، تجعل الخلاف في أكثر الأحيان شريراً بعيداً عن العلم وقلما يكون علمياً خيراً، نعم قد يكون الخلاف مثار النية الحسنة الصادقة المنبثقة عن العلم والوحي اليقيني... وهذا قليل جداً في عصور الانحطاط الحضاري.

وقد يكون الخلاف مثاره الطوية الخبيثة المنبثقة عن الحقد أو الجهل أو التقليد أو الدس أو الأسطورية أو الانتهازية أو العنصرية أو أثرة الرئاسة ونهمة مشتهياتها. وهذا العلم لا صلة له بغير الحق اليقيني، والصدق المحض، والمودة الإنسانية الصافية، ولهفة الجهاد العلمي ونضاله من أجل كشف الحقائق اليقينية في كل بحوثه حول الأديان قاطبة سواء أكانت سماوية أو وضعية، وهذا العلم يبحث في قسمين رئيسيين:

الأول: يبحث في بيان حقيقة الأديان السماوية ويبسط الوسائل العلمية: أي الأصول والمسائل والأبواب التي تكشف واقعها اليقيني وتغربله من الظنون والأوهام والأساطير وتخيلات الترهات، وتلمسك الوحدة الدينية الأصيلة في وحي السماء المنزل على رسالة الله جميعاً صافيةً صافيةً كما أنزلت أول مرة.

الثاني: يبحث عن حقيقة الدين الواحد أي يقدم لك الأصول والبحوث والقواعد التي تستخلص حقيقة الوحدة الدينية وتلمسك حقيقة المذاهب والفرق القريبة والبعيدة.

وتقدم الأصول والقواعد التي بنيت عليها تلك المذاهب والفرق، ووزن هاتيك الأصول والقواعد ومكانها من حقيقة نصوص الوحي اليقيني ومدلولاته اليقينية.

والنهاية فإن هذا المؤلف يجمع أصول الدراسات الدينية وقواعدها التي

تكشف حقيقتين أساسيتين في عالم الأديان كافة، كما ذكرت، ولكل من القسمين قواعده وأصوله التي تفضي إلى كشف واقعه اليقيني وتبين الوحدة الدينية الشاملة في الأديان الإلّهية قاطبة، والحقيقة التي تتمثل في أصوله اليقينية الواحدة.

والحقيقتان وردت نصوصهما في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد... فأنت إذا علمت الحقيقة المؤكدة الواقعية في الدين الواحد كالدين الإسلامي والحقيقة المؤكدة فعلاً في الدين المسيحي، فإن الحقيقة الدينية الكبرى الموحاة من رب العالمين كما تلمسها في كل الأديان السماوية كذلك، ونصوص ذلك في خاتم الكتب السماوية ظاهرة وتلمسها في الكتب الأخرى هنا وهناك... الحقيقة الأولى وقد نص الله عليها في قوله:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]... وقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣].

ولا ريب إن الذين لا يدرسون هذا الأصل الجامع بين أصول عقائد الأديان السماوية، يقعون في أمرين:

الأول: يعرضون الأديان السماوية جمعاء إلى الشك، لأن أقل الناس فكراً يقول يستحيل أن الله يوحي عقائد متباينة عن حقيقة ذاته، وغفلوا عن هذه الحقيقة في خاتم الكتب السماوية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إِلاَّ نُوحي إِلَيْهِ أَنَّه لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبدُنِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولو بذلوا لكشف الوحدة الجامعة في الأديان السماوية معشار ما بذلوه لصغار الخصومات الجاهلة والتراشق بسهام النقد لعاشوا إخوة متحابين، ولمسوا الوحدة بعقولهم وقلوبهم.

الثاني: هذه القواعد والأصول تكشف الوحدة الدينية وأصولها وفروعها في الدين الواحد تلافياً من كثرة المذاهب والفرق التي تنشأ باسم الدين، والدين منها براء.. خذ مثلاً من الإسلام قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

﴿... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً﴾ [النساء: ١٣٠].

المنافع الانسانية
التي تفاد من معرفة حقائق الوحي والوجود

قلما يستطيع الدارس الشادي أن يحيط علـماً بالمنافع الجمة التي تفيدها الإنسانية، إذا هي توفقت في كشف حقائق الوحي، وحقائق الوجود، كما هما في يقين واقع العلم.

لأن كل ما تشاهده من قطيعة بين الأفراد والجماعات ومن مؤامرات عنصرية وإعداد عُدد للفتك والبطش ناجم كله عن الجهل بحقائق الوحي، وحقائق الوجود كما هي في يقين وحي الله ويقين واقع العلم...

وهذا الجهل الفتاك لا يزول إلا بسمو الإنسان الحضاري العصري إليهما، وطموحه في حل مشكلاتهما وألغازهما ومعمياتهما المدخولة والمصطنعة، وذلك يكون بلا ريب بالتقدم العلمي المطرد، ووصـول الإنسان إلى الكمـال المنتظر علميـاً وحضارياً، ولا ريب أن العلم اليقيني يكشف للإنسانية، واقع الحقائق المحجوبة بظلمات الجهل والدس من وحي الله جل جلاله.

فالجهل بحقيقة الدين هو الذي جر إلى عبادة عوالم الأرواح والجمادات والنباتات، وإلى تراكم الخلافات وأدخل ترهات الأساطير، حتى في صميم الأديان السماوية.

والجهل بحقيقة الوجود هو الذي جعل قدامى فلاسفة اليونان يقولون بالعقول العشرة المنسوبة إلى الأكوان السماوية بنسبة ظنية ووهمية لا حقيقة لها.

ولن تستقيم الإنسانية الصاعدة في اتجاهاتها، وتسمو في أهدافها، وتصدق في تصفياتها من أجل مثلها العليا التقدمية إلا إذا قرنت بالإخلاص لكشف عوالم المادة، وكشف عوالم الروح، وبدون هذا الإخلاص المشترك فإن الشقة تزداد اتساعاً على توالي الأيام وتتفاقم الأحقاد والخصومات، ويترادف الظلم والطغيان بين الأقوياء والضعفاء وتظل الأثرة عارمة، والنفاق مسيطراً، ويصبح الكذب هو الأصل بين الناس. . .

وهذا العلم يعين على كشف حقائق الوحي، ويهدى إلى نور يقينه ويلقي في قلوب العلماء الذين يقبلون على دراسته الطمأنينة بجلاله، ومكانه السامي، وجليل منافعه للإنسانية جمعاء. . . لأنه يفصل الكذب عن الصدق، والجهل عن العلم، والظلام عن النور. . . كما يجعل مثل ذلك الخير والتفاهم بين أهل الدين الواحد.

. . . لأن كل خلاف ديني له اتجاهان. . .

الأول اتجاه إنساني عال، ومثاره العلم اليقيني، والانتصار للحق، والتفاهم والسلام والخير والهدى والإيمان اليقيني، وهذا العلم موضوع لأجله، وهذا الخلاف لا يبطل التعارف الإنساني العام المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

والثاني عنصري منحط ومثاره الجهل والريب والانتهازية والحقد والدس والتآمر والصغار وهو عملة المتاجرين بالدين، والحاقدين العنصريين على البشر، وسفكة الدماء. . .

ومهما يكن فهو علم يحمل الخير والهدى والوفاق والتواد، للناس على خلاف جنسياتهم ولغاتهم وبيئاتهم ومعارفهم الظنية التقليدية المتوارثة: رغم وجود الخلاف الذي اقتضته حرية الإرادة، التي هي مصدر المسؤولية، إذ لو شاء الله لجعل البشر مجبورين على الإيمان وفي ذلك يقول الله جل وعز: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ومن أجل ذلك تجد كل عامل مسؤول عن عمله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

إذن فدراسة هذا العلم خير مضيء، ونور صاف لا يخالطه ظلمة، وعلم لا يخالطه جهل، ووحي لا تخالطه أسطورة، ومودة لا تخالطها بغضاء... وأقل ما فيه أنه يخفف وطأة الأحقاد وبلاياها ونوازلها بين الأمم... والخلاصة أن وحي الله ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]

بواعث التفكير في هذا العلم

حين كنت طالباً في مجموعة التاريخ والأخلاق التابعة للجامعة الأزهرية التي كان مقرها في شبرا جامع الخزندارة، كان يدرسنا تاريخ فلسفة الأديان الأستاذ محمد خير الدين. وكان يملي علينا مذكرات لا تزال محفوظة لدي، وكان يستطرد إلى ذكر الأديان السماوية وسواها محللاً لها، حسب وجهة نظر الغربيين في ذلك العهد، والآراء والحقائق تكشف من يوم إلى يوم، ولم أكن أعبأ بما ينقل إلينا، لأني أعلم أن العلم في تقدم مستمر وأن الحقائق لما تكشف كلها، وأن هذه الدراسة الأولية تركت في نفسي أثراً طيباً، وحباً للمعرفة وشوقاً إلى اكتشاف واقع الأديان، كما هي في منابعها الأولى اليقينية، أي كما أنزلها الله عز وجل، خالية من التأويل والتحوير، ومن الزيادة والنقصان، ومما امتزج بها من أقوال الأولياء والأعداء... إلى غير ذلك مما هو غريب عنها، وزيادة فيها والزيادة نقصان، كيفما كانت.

ولما كنت في بيروت أباشر التدريس في الكلية الشرعية، ألفيتني أعايش أنماطاً من العلماء، وأتصل بكثير من الكاتبين، وجماعات غير المسلمين، ويتدارسون غير دين الإسلام بالإضافة إلى الإسلام...

وبحكم نشأتي في أسرتي المحافظة في طيبة المباركة، وبحكم تربيتي وثقافتي العربية الإسلامية احترم كل إنسان، احتراماً خالياً من الرياء والمصانعة وإذا تحدثت إليه تحدثت بالحسنى التي أمرنا بها الله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ٨٣] وبالخير الذي أمرنا به رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليقل خيراً أو

يصمت». وهكذا أجد احترام الناس، وصدق الإخلاص لهم، وإرادة الخير والسعادة لهم من أحاسيس فطرتي وبواعث ثقافتي وتربيتي، ولعل هذه الطوية الإسلامية الأصيلة، هي التي دفعتني أن أفكر في الطريقة التي تكشف وحدة العقيدة في الأديان السماوية التي نص عليها القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، ومحال أن ينص الله سبحانه وتعالى على أمر ولم يكن واقعاً يقيناً، لذلك أصبحت قاعدتي إذا رغب إلي راغب في كشف حقيقة من حقائق الدين أن أذكر له أولاً، أن هناك حقاً فوق ما نعتقده، حقاً يجمعنا معاً أحباباً وإخوة متسامحين، وإنسانيين شرفاء ألا وهو فهم وحدة الرحم الإنساني الذي يوجب التعارف والتسامح والرضا بواقع المعرفة، وكذلك الوحدة الدينية التي تجمع بين حقائق نفوس البشر، والذي هو الحق المشترك بينهم كافة، وهو الذي يجب تأييده والانضواء إليه، والتواصي به والصبر عليه والذود عنه . . .

وهذا الرحم الإنساني الواحد. . . نص الله عليه في صدر سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

وهذا التسامح الفطري والثقافي الذي هو فطرتي، هو ما أجعله شرطاً أساسياً قبل الخوض في أي بحث يدور حول مسائل هذا العلم النافع للبشر جميعاً. . . ناهيك وهو حق الرحم الإنساني الواحد الجامع ويحزنني بل يثيرني إذا شاهدت باحثاً يطمس عن عمد أو عن جهل، واقع المعرفة فيما يقدمه للناس، ويروغ كما يروغ الثعلب، وكم رثيت لهؤلاء البشر الأموات الذين لا نفع فيهم ولا بهم، ويا ليتهم علموا أن الله ما أنزل وحيه للرسل جميعاً، إلا ليحيي واقع المعرفة، ويقضي على الجهل والمتجاهلين، لأن إحياء واقع المعرفة من فروض حقائق الوحي ومن موجات التقدم العلمي الحضاري، ولا شيء أرفع ولا أعظم من ذلك، حسبك أنه يحيي العلم بالله عز وجل جهاداً علمياً خالصاً ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولا ريب أن الذين يجاهدون في معرفة الله ويدعون إلى الإيمان به بصدق النية ذلك يدل على صدق نواياهم وهو ما أوصى الله به رسله صلوات الله وسلامه عليهم

فمن زاغ عنه، وهو يحسب أنه يرضي الله بذلك، فقد جهل الغرض الأساسي الذي من أجله بعث الله رسله وأنزل عليهم كتبه ـ وكم في هذا الأمر من انحراف وبلبلة للأفكار، وإساءة للإنسانية ما بعدها إساءة وقتل لواقع المعرفة. . . والتقدم الحضاري العام.

والعلماء على اختلاف أجناسهم وأديانهم يرفضون الانحراف عن واقع المعرفة، ويعتبرونه شراً كبيراً وباعثاً حثيثاً في التخلف والانحطاط ودس الأحقاد والفتن. . .

وإذا كان الانحراف عن واقع المعرفة يعتبر شراً هائلاً في كتابة الكاتبين، فكم يكون هول الشر فادحاً إذا كان الانحراف في صميم وحي الله حيث يجعل الإيمان بالخالق العظيم متناقضاً كل التناقض في عقائد أهل الأديان، وفي ذلك البلاء كل البلاء، وهل بلاء أكبر من تفسخ كلمة البشر وتحاقدهم. . .

وقد رأيت الشبان الذين لم يكتب لهم التعمق العلمي الذي يجعلهم يفرزون واقع الوحي اليقيني من الأساطير التي دست فيه، وألحدوا لما شاهدوا المتناقضات تطغى على ما يدينون به من دين.

ولو أنهم رجعوا إلى يقين الوحي العلمي المنزل في خاتم الكتب السماوية بدون زيادة أو نقصان، وبدون تحريف لآمنوا كل الإيمان وانضووا إلى زمرة المحققين العلماء الصادقين.

وهم وإن كان يفقدون الإمكانيات العلمية التي تجعلهم قادرين على تصفية العلم من الجهل، والحق من الباطل، والنور من الظلام، والوحي من الأسطورة، وما يجب لخالق الوجود من صفات، وما يستحيل عليه، فإني لا أرى لهم عذراً في إلحادهم، ما دام هناك وفرة من العلماء المتخصصين الأحرار الذين أوقفوا أنفسهم لتصفية العلم من الجهل فيما يعرضه الكاتبون عليهم من معضلات خلافية لا يدرون كيف يميز الحق من الباطل، والعلم من الجهل والوحي اليقيني من المدسوس المختلق، المجلل بالشرك والوثنيات.

من أجل هذا كله فكرت أن أضع أصولاً للدراسة العلمية الصحيحة حول الأديان، التي توصل الدارس إلى واقع المعرفة فيما يدين به من دين، وليلمس

بنفسه أن ما يراه من تناقض فيه ما هو إلا من عمل الإنسان وانحرافه وشهواته وتحامله وسطحيته وجهله وأوهامه، أو سوء نيته وعدم إخلاصه لواقع العلم، وحبه للانتهازية، وسلب الأموال. . . والعبث بعقول العامة وأشباههم من أشطار المثقفين.

ألا إن هذه الأصول وظيفتها الأساسية إزاحة ما تراكم حول نصوص وحي الله من تحريف وتأويل مريب وزيادة ونقصان، أي وظيفتها تصفية جوهر الوحي مما دخل عليه، وإخراجه للناس كما أنزل في خاتم الكتب السماوية صافياً، صافياً.

وهكذا يجد المطالعون المثقفون أن هذا العلم على جدته سيأخذ طريقه إلى التنمية والأخذ والرد والتدقيق والتمحيص، حتى يصل إلى الكمال، ككل علم نافع ومفيد. . .

والإنسان العالم الإنساني الكريم من فطرته يحب النافع، ويكره الضار، ولا أتصور أي نفع عظيم يحمله لسلام الإنسانية ومودتها وتآلفها وتعارفها وتعايشها السلمي المشترك. وهذا العلم موضوع على قواعد تكشف الحقيقة الدينية الواحدة كما أوحاها الله من السماء على رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم وكما هي منزلة في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد، وفي هذا كل الكفاية، وكل الهداية، وكل الفائدة، وكل النفع. . .

ونجد في هذا العلم بيان طرق ثبوت النصوص الدينية الثلاثة:

١ ـ الطريق العلمي اليقيني.

٢ ـ والطريق الظني.

٣ ـ والطريق الوضعي المفترى.

٤ ـ الطريق الشكي مع أبحاثها وما يترتب عليها، وفي كل ذلك منافع علمية تقدميةعليا للإنسانية، لا يمكن للعقل أن يحصرها. وما تفيده من جرائها. من خيرات وبركات، ومهما يكن فإن دراسة هذه الأصول الأربعة: كما تكشف الحقائق الأصيلة في الدين الواحد، تكشفها أيضاً في سائر الأديان. . . لأنها تستخرجها من بين أنقاض المتشابهات والزيادة والنقصان، ومن بين المدسوس في النصوص الظنية والمشكوك فيها، ومن بين ركام التأويلات، والتفسيرات الغربية المشبوهة، البعيدة عن يقين العلم، تستخرجها سماوية صافية كما هي في منبعها الإلّهي الأول المنزل.

والتوضيح والتفصيل سيجده المطالعون في غضون الفصول الآتية... بالأسلوب العلمي الحضاري الحديث الذي جعل الحقيقة متجلية ملموسة لا شبهة فيها ولا غموض ولا إبهام، وعلى الله قصد السبيل.

أنواع الديانات

أنواع الديانات ثلاث: عليا ووسطى وسفلى...

١ ـ الديانات العليا، هي السماوية المعروفة اليهودية والنصرانية والإسلام والحنيفية السمحة...

٢ ـ الديانات الوسطى، البرهمية والبوذية والمجوسية وأشباهها...

٣ ـ الديانات السفلى وهي الديانات المنتشرة في قبائل أفريقيا النائية كعبادة الزواحف والحشرات... وكل الديانات تعرف حقائقها ودرجة قربها أو بعدها من الواقع العلمي اليقيني، بدراسة علم أصول الأديان هذا...

لأن كل الديانات لها كتبها المقدسة الخاصة، طقوسها، وأنواع عباداتها وقرباتها ومناسكها ولها مؤسسوها الأوائل، والمشرفون عليها من رجال الكهنوت، كما أن كل دين له مشابه أو قريب من المشابه أو بعيد من ذلك، في الأديان الأخرى.

وتفصيل كل ذلك مرجأ لكتاب آخر بعد هذا إن شاء الله، هو كتاب بسط حقائق الأديان كافة وقد كتب كثير من العلماء في هذا الموضوع، والرجوع إلى ما كتبوا فيه نفع كبير، وفائدة لفهم معجزات آيات القرآن التي أشارت إلى كل ذلك لكي يتبين العلماء حقائق الإسلام بالنسبة لحقائق الأديان الأخرى.

وأهم الكتب الحديثة هي التي ألفها العلامة الكبير الشيخ أحمد عبد الغفور عطار، وسمّاها الديانات والعقائد، وهي أربعة مجلدات زاخرة بالعلم والفكر والحق، فعد إليه ولا تجعل مكتبتك محرومة منه.

أنواع معتقدات الإيمان ثلاثة

١ ـ دينية سماوية.

٢ ـ دينية وضعية.

٣ ـ فلسفية من تصورات الأفكار.

الأولى: الدينية السماوية

وهي عقيدة التوحيد الخالص الذي أرسلت به رسل الله جميعاً وفصّلها خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد، وهي عقيدة الإيمان بالله الواحد الأزلي الذي أوجد العوالم كافة بإرادته وعلمه وقدرته.

والعقيدة السماوية الأصيلة لا حلول فيها لذات الله في كائن ما لأن الكائن حادث، والله وحده هو الأزلي الذي كوّن الكائن وأوجده، بعد أن لم يكن موجوداً في الوجود، وهكذا تحس بعلمك وعقلك أن الله محال أن يتصف بصفات الروح الحادثة ويحل في إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، حلول الروح، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذه هي العقيدة السماوية العلمية الموحاة من رب العالمين لرسله أجمعين وسيأتيك تفصيل ذلك.

الثانية: الدينية الوضعية من وثنية وشرك

وهي مبنية على أن ذات الله طاقة روحية أزلية تحل في كل ذات من ذوات الكون المادية أو الطاقية حلولاً مقدساً معبوداً، وحينئذ تكون عبادتها هي عبادة لله مكون عوالم الوجود في عقيدتهم. وهذه العقيدة فاسدة علمياً لأنها خلطت بين ذات الله الأزلي المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل النقص المرتبطة بأحدث الوجود وسننه الكونية، من وجود وعدم، وبداية ونهاية، ومكان وزمان وما إلى ذلك مما هو معروف في حقائق العلم اليقيني، وتدخل في هذه العقيدة، عقيدة الديانات السفلى المنتشرة في غابات استراليا وافريقيا والهند، لأنهم تصوروا الزواحف والحشرات إذا عبدت لا تضرهم.

الثالثة: عقيدة الفلسفة التصورية

وهذه العقيدة باطلة من أساسها لأنها جعلت تكوين الأكوان حصل بالصدفة

وإن هذه السنن الكونية الثابتة والمسيرة للأكوان المترامية في أبعاد الفضاء وفق إرادة الله وعلمه وقدرته، هي سنن طبيعية غير مقصودة لشيء أي تصوروها طبيعية، على أن القصد ظاهر في تكوينها وفي أعمالها وهو يصفعهم في صميم تفكيرهم.

أجل إن هذه الأكوان في زعم تصور العقيدة الفلسفية خالية من القصد، وخالية من أية إرادة تكوينية وعلم وقدرة، وليس في الوجود من يعلم أن ثمة وجوداً وعوالم سوى الإنسان، فالإنسان هو آلة الوجود، كما قال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

الشرك والوثنية طارئان بسبب حدوث الأكوان وتعددها

ألا إن الوجود الأزلي هو الله وحده ولا تعدد، والوجود الأزلي ليس له من أول... لأن أولية الموجود تقتضي حدوثه، ومحال أن يكون الموجود الواحد أزلياً وحادثاً بل ذلك محال المحال ومن أجل ذلك لا يقول ذو فكر وعلم ما يقوله الجاهلون الأغبياء، الله موجود، وكل موجود لا بد له من موجد، لأن هذا الكلام يصدق على الموجود الذي يحدث بعد أن لم يكن كالإنسان الذي يقول الله جل وعز فيه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ [الدهر: ١].

أما الله جل جلاله فكيف يكون له أول وهو موجود قبل وجود الأولية التي هي صفة أساسية لكل الموجودات الحادثة، والقاعدة العلمية أن حدوث الموجود إنما يحدث بعد إرادة سابقة وعلم سابق وقدرة سابقة لكي يتحقق وجوده...

والله منزه عن ذلك لأن الأزلية لا يسبقها شيء... ولو سبقها شيء من ذلك لكانت حادثة، وانتفت الأزلية عن الله، وهنا تهتف كل ذوات الأكوان خاشعة مؤمنة محتسبة: سبحانك، سبحانك، أنت وحدك الأزلي الذي لا أول لك، وأنت وحدك المهيمن على كل شيء في هذا الوجود الحادث وأنت وحدك المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص، وكل صفات الكمال التي يتمتع بها عبادك الذين أنعمت عليهم بنعمة من الوجود والحياة والعلم والسمع والبصر والإرادة والقدرة... إن هي إلاكمالات نسبية حادثة محصورة مقدرة. أما كمالاتك يا إلٓهي فهي أزلية ثابتة أبدية، ولا نقصان بها،

ولها المثل الأعلى فكل صفة من صفات الله، وكل اسم من أسمائه تعالى هو مثل أعلى في السمو والجلال والتنزيه والتقديس.

خذ مثلاً صفة الوجود، لذات الله جل وعز، وصفة الوجود للذوات الحادثة، فصفة الوجود لذات الله هي المثل الأعلى في الوجود، أي هو الموجود الكامل بيقين العلم، إذ وجوده أزلي أبدي، لا بداية له وغير قابل للنهاية...

ولولا وجود الله جل وعز لما تحقق وجود أية ذات حادثة تحققت بإرادته وعلمه وقدرته، ومن غباء الحماقة ومهانتها وصرعها وهوسها أن يجحد ملحد وجود الله جل وعز، ولا يجحد وجود نفسه، ولا وجود الأكوان القائمة حواليه، الزائلة، فهو كالحيوان لا يحس بوجود الماء إلا إذا وضع حياله في وعاء ثم إن كثيراً من الحيوان تحس غريزياً بوجود الماء فهي تطلبه حتى تجده.

وفطرة الإحساس بوجود الله أيها الإنسان الغافل، هي قائمة في تكوينك، وفي تكوين ما حولك من ذوات أكوان الوجود، وإنها لتصرخ في أعماق ضميرك وتلعنك لعنة أبدية، لأنك تكفر بمن سوّاك إنساناً.

أيها الملحد الجاحد فكر وقدر واحسب، فأي الوجودين أحق بالإثبات والإكبار؟ وجود الله الذي خلق وسوى، وقدر وهدى، أم وجودك ووجود الأكوان المنتهية إلى نهاية محتومة محققة في يقين العلم؟

ألا يحزنك أنك تفخر بوجود التلفاز وتكبر صانعه وتحمده، ولا تكبر وجودك ووجود الأكوان التي تعيش فيها، ومصيرك إلى من كونك أول مرة، وهذا شأن الأكوان ألا يحزنك ذلك؟

وخذ مثلاً صفة الحياة لله جل وعز فهي في يقين العلم الحياة الأزلية الأبدية التي لا تماثلها حياتك ولا حياة ذوات الكائنات من ملائكة وأنس وجن وحيوان ونبات، أجل لا تماثلها، لأنها مقيدة بأسباب من بداية ونهاية، ولكن حياة الله أبدية أزلية، وهو الحي القيوم الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من حياة. أجل إن حياة الله جل وعز أزلية أبدية، ولا يعلم كنهها وحقيقتها إلا هو جل وعز...

والله جل جلاله تفضل بالحياة على الأحياء في شتى العوالم ليحمدوه ويشكروه بما تفضل عليهم من نعمتها الكبرى التي هي نعمة عظيمة خليقة بالشكر، ولكن حذار، حذار، أن تتغالى بحياتك وتضارعها بحياة رب العزة، الذي يحيي

ويميت، لأن حياتك ناقصة في كل أطوارها وأن لها نهاية ونهايتها بيد الله وحده الذي منحك إياها . . .

وحذار، حذار، أن يأخذك غرور الحياة وعزتها الضئيلة وتقول كما قال نمرود اللعين لسيدنا إبراهيم عليه السلام حين أخذه غرور الحياة وكبرياؤها ﴿أنا أحيي وأميت﴾.

فيا أيها الحي المفكر اجعل حياتك قدساً للعبادة وطهراً ليقين العلم ونبلاً لمكارم الأخلاق، وتنزيهاً لما حباك الله به من نعمة الحياة التي تحياها وتعتز بها وتسمو، وقل بكل وجدانك، سبحانك، سبحانك، سبحانك، أنت الحي القيوم بديع السَّمٰوَاتِ والأرض.

ومهما يكن فاجعل حياتك أسوة لحياة خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، لكي تعطي حقائق الإيمان حقها من الجهاد والصبر والتضحية والبذل والعلم والتواضع والرضا بالقليل الحلال ولكي تمد المعونة لمن هو في حاجة إليها وتقضي ليلتك ساجداً ضارعاً، لتكون عبداً شكوراً وتقضي نهارك عاملاً ناصباً محتسباً، وأن تكون سهلاً ليناً كريماً تؤثر على نفسك من يستحق الإيثار وكل ذلك امتثالاً لأمر ربك في الأخذ بما جاء به الأسوة الأعظم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْض لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِي ٱلأُمِيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وهذه مثل ما يقال عن سائر صفات الله وأسمائه وأفعاله جل وعز، وتفصيل البحث في كل ذلك إن شاء الله سيكون في كتابي، العقيدة الإسلامية كما هي في منبعها الأول: الكتاب والسنة الصحيحة . . .

عقيدة وحدة الإيمان

الإيمان بالله الواحد الأزلي هو الأصل في حقائق الأديان وهو الأصل في حقائق الأكوان لأن الدارس الواعي العالم المحقق يلمس بكل حواسه الخمس ذلك إذا هو تعمق في دراسة حقائق الأديان، وفي دراسة حقائق الأكوان بالعلم اليقيني والوحي اليقيني.

والشرك طارىء على عقيدة الإيمان بالله الواحد الأحد، وسبب طروئه هو اختلاط عقيدة الإيمان هذه بعقيدة تأليه الطاقة الروحية. وأدى هذا الاختلاط إلى الشرك بذات الله الأزلية التي لا تماثل الطاقة الروحية في البداية ولا في النهاية والحلول. وكذلك لا تماثل الأكوان في صفة من صفاتها المحدودة المحاطة بنطاق الجهات الست، والله جل وعز منزه عن كل ذلك.

ومن الغباوة الاعتقاد أن عبادة الأرواح المختلفة هي الأصل، وسبب زعمهم هذا حسبانهم أن الطاقة الروحية الحالة في ذات هي التي تخطط أعمالها كالشمس مثلاً فهي لا تجري جريانها المخصص لها في مستقرها، إلا حسب مخطط الطاقة الروحية، ومن جراء ذلك ألَّهوا الشمس وعبدوها واعتبروا الله الأزلي هو حال فيها وهو الذي يسيرها ويهيمن عليها وجهلوا أن الله جل وعز ليس روحاً يحل في شيء ما وإنما هو سبحانه وتعالى يسير بإرادته وعلمه وقدرته، لا الشمس وحدها، وكم، وكم، من كواكب وشموس يسيرها الله دون حلوله فيها، واعتقادهم أن كل ذات تحل فيها طاقة روحية هي الله، الله تعالى، هو اعتقاد وهمي باطل.

وما أكثر الطاقات الروحية ذات المخططات الحالة في ذوات الأكوان، كالثور والبقرة والفيل والإنسان والشجرة والحشرات والشيطان، ومن أجل ذلك عبد كل فريق ما يحلو له من ذات كائنة من الأكوان، فبدلاً من أن يجعلوا الطاقات الروحية على اختلاف مخططاتها الحالة في الأكوان آيات بينات وشواهد دالات على وجود المكون الأزلي الله رب العالمين.

جعلوها هي ذات الله المكونة سبحانه وتعالى، والذي يدلك على بطلان هذا الاعتقاد وأنه أسطورة ساخرة هو تعدد الأرواح الحالة في ذوات الأكوان، ولولا تعددها، لعبد الإنسان الله رب العالمين وحده، دون شريك وند ونظير... ولم يجعلوه روحاً تتعدد وتحل. اقرأ وفكر ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٢، ٢٣].

أجل هناك من الأكوان ما هو أكبر وأكثر وأعظم مما ألَّهوا وعبدوا، فلو أردنا أن نجعل الطاقة الحالة فيه إلَهاً لكان ذلك هو أحق بالعبادة والتأليه، كما حصل للخليل

إبراهيم عليه السلام في الآية ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هٰذا رَبّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذاَ رَبّي هٰذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إنّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذي فَطَرَ السَّمٰواتِ وَٱلأَرْضِ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩].

والخلاصة أن عقيدة الإيمان بوجود الله الأزلي مكون الأكوان الواحد الأحد هي العقيدة التي تنطق بها ذوات الأكوان وتصرخ، ونطقها وصراخها مكتشف في حقائق معارف الإنسان العلمية اليقينية، وحقائق الوحي الإلٓهي اليقيني، وهو الآية الكبرى الدالة على أسرار الله الواحد الأحد مكون الأكوان جل وعز.

وهكذا تلمس أن نشأة الأساطير إن هي إلا سذاجة بدائية واستغلال للرعاء الهمج عباد الأصنام الذين يصدقون كل ناعق بالأحلام والرؤى والخوارق التي لم تحصل أبداً، والناس منذ أبعد الأزمان يميزون العقيدة الواقعية التي تشتمل على الإيمان بحقائق الوحي الإلٓهي، وتمييزها عن الأسطورة، ألم يكن المقصود من إرسال سيدنا إبراهيم بحقيقة عقيدة التوحيد محاربة الأسطورة، وقد حاربها حرباً عواناً، لا هوادة فيه حتى عرض نفسه للإحراق. . . ولعلك تحزن إذ عادت الأسطورة إلى جزيرة العرب مرة ثانية بعد سيدنا إبراهيم ولم يعتبروا برجم الأنصاب في الحج في منى، والأنصاب موطن الشيطان، الشيطان لأنه يتلذذ بالكفر وعبادة الألهة الباطلة، وكم من آية يمرون عليها وهم معرضون. بل تخيل عتاة قريش عبادة الأسطورة هي الحق وإن خاتم رسل الله سيدنا محمد جاءهم في رسالته بأساطير الأولين القدامى، ونسوا ما هم فيه من الأساطير المهلهلة الساخرة السادرة.

وهم يجادلون بأساطيرهم وترهاتهم وباطلهم كما قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذين كَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

ونسوا أنهم غارقون في عبادة الأساطير حتى ذقونهم، ويل لهم ما أعندهم، إنهم جعلوا جهلهم علماً وأساطيرهم وحياً وباطلهم حقاً، أجل إنهم ركبوا رؤوسهم، وما قصة العنزي عنهم ببعيد. .

ومهما يكن فالله استجاب لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، لما طلب من

ربه أن يرسل رسولاً من أبناء جزيرة العرب، وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وقد حصل كل ذلك والحمد لله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَني فَإِنَّهُ مِني وَمَنْ عَصَاني فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

الرمزية والتمثيل في الأديان واللغات

طبيعة اللغات تقتضي أن يكون فيها التمثيل والرمزية، لأن عوالم النفوس واسعة جداً ومدركاتها متشعبة ومختلفة، وأغراضها شتى . . .

وحصر كل ذلك في الألفاظ الاصطلاحية المحدودة غير ممكن، لذلك كانت أداة التعبير «اللغة» ضيقة لقلة الألفاظ الموضوعة للمعالم النفسية المتشعبة الأغراض المترامية الأبعاد المتجددة دائماً، كذلك يلجأ المتكلمون إلى الرمزية والتمثيل؛ والرمزية والتمثيل هما أداتان يلجأ إليهما المعبر عما يعجز عن أدائه في الكلمات المحصورة في عين مسمياتها في اللغة فيتجه إلى الرمزية أو التمثيل.

والرمزية والتمثيل هما من شعبة واحدة من حيث العدول عن الألفاظ اللغوية المأثورة في أوضاعها بعينها أو مجازاتها أو استعاراتها أو كناياتها، أي ما تعارف من طرق البيان الاصطلاحية. (وهناك فرق بين الكتابة الرمزية تراه في آخر البحث. . .).

وما عدا ذلك فاتجاهه مختلف.

ـ والرمزية تستعمل لما لم يستطع المتكلم إبراز الصورة التي في نفسه إما لبعدها في نفسه وعدم إحاطته بها إحاطة كافية لإبرازها في ألفاظ اللغة، وإما لعدم قدرة اللغة لأن الرمزية لما تشتمل عليه من العمق والشرود تقتضي ذلك، وإما لعدم تعمقه في اللغة التي يتكلم بها، وإما لغرض التعمية والإبهام، وأكثر ما تستعمل التعمية للبرقيات السياسية السرية والحربية وأشباهها: وبالحري إبان اشتعال الحروب والفتن!!!

التمثيل

تلمسه في الرسم الفني الرائع، أو القصة الأخاذة أو التصوير البياني الجذاب الذي يكشف الحقيقة بكل ما لجمالها من حاسة ناطقة وسحر صارخ.

انظر فهذا فنان أفرغ كل أحاسيس الجمال التي تمتلىء بها نفسه في تمثاله، أو رسمه أو قصته ليعبر بذلك عما يكنه في نفسه وتعجز عنه عبارته.

وقد تفوق العبارة الفنية المصورة، أي تمثيل في النحت أو التصوير... وقد تبلغ العبارة درجة الإعجاز المتحدي، وهذا لا يكون إلا في وحي الله، ولله المثل الأعلى... استظهر هذا التصوير البياني التمثيلي المعجز المتحدي في الوحي الإلٓهي...

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

ولو كان المجال واسعاً لأتيت بالعجب العجاب من أمثال القرآن المجيد. وقد ألف العلامة المرحوم الشيخ محمد علي الأنسي مفتي لبنان الأسبق، مؤلفاً خاصاً يشتمل على أمثال القرآن المجيد وهو كتاب جد نافع.

وفي الأحاديث الشريفة انظر عالم المثال في المعراج النبوي وكذلك، تبين جميع الصور التي أجريت على ألسنة الحيوانات في كليلة ودمنة، وسواه من المؤلفات، ولا تنس أمثال العرب، ففيها كنوز وكنوز.

وفي الكتب الدينية أيضاً كنوز من مدهشات النصوص الرمزية والتمثيلية فعد إليها...

الجدل والنقاش

في هذا العلم فرق بين الجدل والنقاش...

الجدل هو أخذ ورد يقصد به الغلبة لا كشف الحقيقة اليقينية وعادة يكون بين أشطار المثقفين والحمقى من المتجادلين، أما العلماء الراسخون المفكرون فإنهم

يترفعون عنه، لذلك تجدهم لا يردون على المجادل بكلمة ما لأنهم يعتبرونه كالحيوان المسعور. والحق أن كل الاحترام والتقدير والإكبار في النقاش، الذي يقصد به كشف الحقيقة وإعلانها للناس جميعاً، إذ أن النقاش هو تعاون علمي أدبي فني لإظهار عين يقين المعرفة في المسائل التي يدور حولها النقاش. . .

وكم من فرق بين الجد والنقاش.

١ ـ النقاش علم والجدل جهل.

٢ ـ النقاش صدق والجدل كذب.

٣ ـ النقاش سلم والجدل حرب.

٤ ـ النقاش إنسانية والجدل عنصرية.

٥ ـ النقاش أدب والجدل ثرثرة.

٦ ـ النقاش حياة والجدل موت.

٧ ـ النقاش محبة والجدل بغضاء.

٨ ـ النقاش حرية والجدل قيد. . .

٩ ـ النقاش صحة والجدل مرض.

والمجادلون هم أجراء يجادلون، فيما فرض عليهم، وعينوا لأجله، فأية فائدة في الحديث معهم، والصلة بهم، إنهم لعنة مميتة، ومرض عضال، وخبث طوية. فاحذر منهم، ولا تجادلهم، دعهم واسلم بعقلك وعلمك وخلقك، واعلم أنهم حثالة المثقفين المحدودين.

خذ طريقك إلى العلماء المناقشين المتعاونين لكشف واقع المعرفة، ومهما يكن فالنقاش لا يكون لشهوة الغلبة أبداً بل لكشف العلم اليقيني، لذلك يراعى في النقاش ويلاحظ ما يأتي:

١ ـ يلاحظ أن الأمر الذي هو موطن النقاش إما أن يكون من الأمور التقليدية والأمر التقليدي هو الشيء المسلم لدى تقاليد طائفة بعينها، كألوهية برهما أو ألوهية البهاء، أو ألوهية أحد سواهما، فإن ألوهية كل شخص من هؤلاء الأشخاص مسلمة لدى المقتنعين بالتقاليد المدونة لديهم فإن دار النقاش في ألوهية شخص دون شخص يكون النقاش جدلاً، ما دام الأمران متماثلان.

وإما أن يكون أمراً من الأمور الطبيعية ككروية الأرض، وإما أن يكون أمراً من

الأمور التاريخية والأمور التاريخية قابلة للنقاش، والبراهين العلمية هي التي تعين الحقيقة اليقينية.

وقل مثل ذلك في الطبيعيات، وأما المسائل الاعتقادية التقليدية، فهي متساوية في درجة الدليل، فما يقال في ألوهية برهما مثلاً هو عين ما يقال في ألوهية البهاء فلا يكون بينهما نقاش علمي وإن طال بل جدل بيزنطي وهو أول أنواع الجدل الفارغ المضحك. ومهما يكن فإنها مسألة تقليدية.

والمسألة التقليدية هي التي لا يدين بها ولا يلتزمها إلا المؤمنون بها، فالبراهمة جميعاً مثلاً يدينون بألوهية برهما وسيفو وشنشو الآلهة الثلاثة لديهم، ويجحدون ألوهية سواهم، كالآب والابن وروح القدس والعكس بالعكس...

إذن فلا بد للباحث الديني ـ وإن كان مؤمناً بدينه ـ أن يتعرف إلى واقع العلم اليقيني فيما يدين به هو، ويدين به الآخرون، ليكون على علم بحقائق الأديان وبمقدار مكانها من اليقين العلمي في عصر الحضارة والبحث والنظر وكشف الواقع اليقيني...

ويجب أن يكون بين أهل الأديان التسامح الذي يرضي الجميع، وتتحقق به الإنسانية الكاملة ويطمئن به جميع الناس، وهذا كله يبدو بالمناقشة لا بالجدل، وهكذا بالمناقشة يتجلى وجه الواقع العلمي.

ومهما يكن فالانضواء تحت الواقع اليقيني العلمي هو يرضي الجميع ويسعد الجميع ولا يغضب إلا المقلدين المأفونين ذوي البصائر العمياء.

وإذا أنا لم أصدق بالواقع العلمي اليقيني، وأنت لم تصدق كذلك انعزلنا عن الحق الإنساني العام الذي يعرف به الحق من الباطل، والصدق من الكذب، ووحي الله من الأسطورة... أي يعرف به اليقين العلمي في معجزات خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد.

والانعزال عن الحق الإنساني العام فتنة وبلاء وتخاصم وأحقاد، ودواعي العلم اليقيني ترفضه وكذلك الوحي اليقيني، وهكذا لا يكون القصد شريفاً إلا بالتعاون لكشف الواقع العلمي.

وما دام قصدي شريفاً، وقصدك شريفاً، وهو الوصول إلى كشف الـواقع العلمي فيما تدين به أنت وما أدين به أنا، فإن الله عز وجل لا بد أن يهدينا إلى الصواب أي الصراط المستقيم وذلك يكون بالمناقشة لا بالجـدل، فالجـدل من الشيطان ومن العصبية والجهل، والمناقشة من الرحم ومن التسامح والعلم.

إذن فالمؤمن العالم يناقش ولا يجادل لأن المناقشة يقصد منها الوصول إلى الحق والجدل يقصد به هدم الحق...

وأي باحث مناقش في العلم، لا يجتهد ويجد من أجل الوصول إلى الدين الذي يطمئن به العلم اليقيني من كل وجـه، ويرضى بـه الرب عمن يـدين به ويستمسك بعراه.

لا يوجد، لا يوجد، إلا إذا كان عنصرياً خبيثاً متآمراً مدسوساً... إحذروا، إحذروا، منها أيها المؤمنون، إنه من المجادلين المأجورين.

الخوارق لدى أهل الأديان
وروايتها والاعتماد عليها

أهل الأديان الإلٓهية الكبرى كلهم يروون عن الدعاة الأول خوارق وعجائب ومعجزات جمة وهي كبرى وصغرى، فالكبرى هي خوارق الدعاة الأول المؤسسين للدين أنفسهم، والصغرى هي خوارق تلاميذهم وأتباعهم ومن جاء بعدهم على مر التاريخ.

وطرق رواية هذه الخوارق إما أن تكون أولية يقينية ثابتة، وإما أن تكون ثانوية ظنية أشبه بالطرق التي وصل إلى العلماء منها من نصوص الملل والنحل.

ومسألة الخوارق الظنية ليست بذات بال من الناحية العلمية، كذلك لدى أهل الأديان، فإنهم لا يعتبرون منكرها خارجاً عن الدين، ما لم تكن ثابتة بالطرق العلمية الأكيدة، وإن كان الأكمل في إيمانهم أن يكون مصدقاً بها.

والخوارق العلمية اليقينية، أي التي ثبتت بالطرق العلمية اليقينية، هي التي يطمئن إليها العلم ويصدقها الجميع، وهي لا تكون إلا لدى أهل الأديان السماوية، فالباحث العلمي العصري إذا تساوت الخوارق في درجة الوثوق العلمي اليقيني صدقها جميعاً، وإن كان بعضها لسيدنا موسى، وبعضها لسيدنا عيسى وبعضها لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أي كالعصا لسيدنا موسى، وكولادة سيدنا المسيح بدون أب، وكتحدي القرآن المجيد، والخارقة العلمية لا يستطيع نكران روايتها العلماء سواء كانوا ماديين

أو دينيين، وهي مجموعة في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد.

وجل الماديين يلجأون إلى التأويل، وحملها على الممكنات العادية إذا بحث إثبات الخوارق من الوجه العلمي هو من خصائص كتب العقائد. لا من خصائص كتب الفلسفة.

وهناك الخوارق اليقينية المشتركة والخوارق الظنية المشتركة كخوارق سيدنا موسى وسيدنا عيسى اليقينية والظنية التي جاء ذكرها في الكتب المقدسة المنسوبة إلى الأديان.

فالمسلمون بمقتضى النصوص اليقينية في القرآن مشتركون مع اليهود والنصارى في الإيمان بتلك الخوارق التي نوهت بها النصوص لديهم، وكذلك النصارى مثلنا مؤمنون بالخوارق التي جرت على يد سيدنا موسى. ومن كان منهم أهل العلم والإنصاف والنظر الحر والخضوع وللحق العلمي اليقيني، إلى جانب التسامح الإنساني الكريم، والنزوع إلى الإيمان بالواقع اليقيني الماثل بين يديه في إعجاز القرآن المجيد الصارخ بكل البراهين العلمية اليقينية، فإنه يصدق بمعجزات خاتم الوحي الإلّهي الماثل في القرآن الكريم، ناهيك ومعجزات القرآن المجيد، معجزات لا تنفد وهي جديدة في كل عصر ولدى كل حضارة، وتحديها صارخ، وإليك بعض نصوصه...

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

ومن كان منهم كذلك فإنه حتماً يؤمن، ومن لا يؤمن فإنه صاحب عصبية وتقاليد وعنصرية، في تقديم الجهل على العلم والباطل على الحق والكذب على الصدق.

وإليك جملة من المعجزات الكبرى التي جاءت نصوصها في خاتم وحي الله لأجل تأييد صدق رسل الله وصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فسيدنا موسى أيده الله بالعصا، التي قهرت السحرة...

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لا أَقُولَ

عَلىٰ آللهِ إلّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَني إِسْرائيلَ. قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِـآيَةٍ فَـأْتِ بِهَـا إِنْ كُنْتَ مِنَ آلصَّـادِقِينَ. فَـأَلْقىٰ عَصَـاهُ فَـإِذَا هِيَ ثُعبَـانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٤ ـ ١٠٧].

وسيدنا عيسى أحيا الله على يديه الطير ومعافاته للمرضى من الأدواء وما أشبه ذلك كقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ آللّهُ يَا عِيسَى آبْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتي عَلَيْكَ وعَلىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ آيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ آلأكْمَهَ والأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وأما معجزة سيدنا محمد ﷺ فهي لم تكن خارقة مؤقتة لسنة من سنن الله الجارية وإنما هي إعجاز من الوحي فيه كل البراهين القاطعة، إنه كلام الله جل وعز، وفيه التحدي الصارخ. وقد ذكرنا أن هذا القرآن لو أنزل على جبل لتصدع كما قال الله تعالى في آخر سورة الحشر...

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذا الْقُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ آللّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

تحكيم الذوق الأدبي في المدلولات الأصيلة

الذوق الأدبي ملكة فطرية تصقلها الآداب العالية، والمعارف العميقة، والأديب الفنان العالم هو الذي يملك أن يستوعب دلائل ألفاظ النصوص الدينية الأولية الأصيلة في وضعها، والثانوية التي تأتي مع تراكيب الجمل ومجاري العبارات، في أية لغة هو يحسنها بعمق وامتياز ولو لم يكن من مواليدها.

ومثل هذا الأديب العالم اللغوي يستطيع أن يفطن للأمرين معاً، المدلولات الأولية الأصيلة والثانوية التي تبدو من خلال الجمل والعبارات، ويستطيع أن يميز المدلولات المقصودة في صميم النصوص من غير المقصودة، ويستطيع أن يعدل عن المدلولات المتصيدة للدس والتفرقة، ويستطيع أن يحمل المتشابه على المحكم ويحرر المراد العلمي القيم الرفيع الذي يستحق نسبته إلى رب الأرباب وخالق العوالم والمهيمن على كل شيء جل وعز، في الألفاظ العامة والخاصة، والمطلقة والمقيدة، واليقينية والظنية، والمشكوك فيها والموضوعة، أي يكون حكماً إنسانياً عالياً، وقاضياً مدركاً قادراً على كشف الخفايا والمعميات والألغاز والأحاجي. فلا تفوته فائتة عن إدراكه كذلك للنصوص الخرافية التي يستحيل أن تكون من الله.

ومهما يكن فتحكيم الأدباء العباقرة العلماء أولي الذوق الرفيع في مدلولات النصوص الموجودة في شتى الكتب الدينية، وتمييز نصوصها بعضها عن بعض، اليقينية من الظنية، والأصيلة من الموضوعة المدسوسة، هو من خصائصهم، وهو أسمى أعمالهم وأجلها وأجداها وأكبرها.

وهم الذين يستطيعون أن يكتشفوا وحدة العقيدة التي أوحاها الله لرسله كافة، العارية من كل شائبة، ومن كل زيادة ونقصان.

ولولا التغيير والتبديل والتأويل البعيد، والخروج عن أهداف وحي الله الأساسية لما رأيت خلفاً بين وحي سماوي ووحي سماوي آخر.

والحق أن الدلالات المضافة ليست من الثانوية سواء كانت أضيفت لخير أم لشر، أو لبناء أو هدم، لا تخفى على العلماء المحققين، والأدباء اللامعين أنها مضافة من البشر لغاية بعينها.

خذ مثلاً آية المائدة رقم ٩٠ - في خاتم الكتب السماوية فأنت تلمس المدلول المضاف إلى مدلول الآية. . .
﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فإن العالم المتذوق للأدب العربي، والمتعمق في مدلولات الألفاظ اللغوية وطريقة ربط المعاني المرادة من سواها غير المرادة، يفهم مدلول ألفاظ الآية فهماً علمياً لغوياً صحيحاً.

يفهم أن الرجس مقصود به النجاسة المعنوية التي تلازم شارب الخمر الآثم، وأن هذه النجاسة المعنوية ملازمة للميسر الذي هو القمار، والأنصاب التي هي الأوثان، والأزلام التي هي الأقداح الخاصة بالاستشارات الغيبية في الجاهلية، ولكن أضافوا إلى مدلول الرجس الخاص بالخمرة مدلولاً آخر هو النجاسة الحسية.

أي لو كنت متوضئاً ولمست الأوثان والأزلام وأدوات القمار فإن يديك لا تنجسان، بخلاف الخمرة إذا غمست يديك فيها أو انصبت على ثيابك فإنك تتنجس، كالبول والغائط، وهذا المعنى خارج عن مدلول الآية، وإنما قاله الفقهاء المجتهدون مبالغة في الابتعاد عن الخمر - جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير خيراً - واقتصاراً على النجاسة المعنوية قال ابن حزم بطهارة الخمر ذاتاً لا شرباً فإن قذارة الشرب محتومة ومنصوص عليها في الآية، وهو يعدل عبادة الأصنام ومزاولة القمار والاستشارة الجاهلية بالأقداح، فيجب على المتجاهلين أن يفهموا هذه الحقائق ويبتعدوا عن شربها، وهذه المعاني الحملية المضافة قد تقتضيها الحكمة الدينية والمصلحة

الإنسانية الاجتماعية العامة والخاصة كما رأينا في الخمرة، وكما تضاف المرادات الحملية للخير، تضاف للأذى والكيد والفتنة والتشويش كما قال الله تعالى في سورة آل عمران عمران في الألفاظ المتشابهة...

﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

والحمد لله قد كثر في العالمين الشرقي والغربي الراسخون والأدباء العباقرة القادرون على التمييز بين محكم الألفاظ في النصوص الدينية من متشابهاتها، وبذلك يقترب جداً الزمن الذي تتجلى فيه الوحدة الدينية في العالم، وحينئذ يفطن المرتابون والمريبون على نصوص الوحدة الدينية التي نزلت في القرآن.

وما أفعله أنا بالنسبة للهداة المصلحين ما هو إلا كمن يضع لبنة واحدة في قصر فخم لواحد منهم... حفظ الله الخير وأهله، وأباد الشر وأهله، وهدى الله الجميع إلى الخير وأهله، إنه على كل شيء قدير...

والخلاصة أن فهم نجاسة ذات الخمر كنجاسة الغائط هو خارج عن نطاق مدلول الآية، ولو كانت الآية تدل على نجاسة ذات الخمر، لكان الحكم واحداً في الجميع... الميسر والأنصاب والأزلام ومثل ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

فما قال أحد إذا لمست مشركاً تتنجس كما إذا لمست غائطاً، لعلك تقول إن القائلين بنجاسة ذات الخمر زيادة على نجاسة مزاولتها إنما يقصدون التنفير منها والتنائي عنها كما سلف، هذا حسن جداً ولكن لا يقال إن النجاسة من مدلول الآية.

هذه هي المدلولات الحملية ارجع النظر في بحثها، فهي من أسباب فساد الأديان، ووسيلة من وسائل الدس والهدم، وأكثر ما يستعملها ويلجأ إليها العنصريون الواغلون في الدين، لإفساده وتمزيق كلمة أهله، وإلقاء الفتن والمحن والأحقاد بينهم...

وآن أوان التعرف إلى النصوص الحملية وكشف أهدافها الممزقة للدارسين،

والعمل على فصلها عن الأهداف الإنسانية التي نزلت من أجلها النصوص الدينية اليقينية.

ولا يعلم إلا الله ما تجنيه الإنسانية من الخيرات والقربى إلى رب الأرباب يوم يتم فصلها عن الأديان جميعاً نهائياً... ذلك اليوم يكون يوم الجامعة الإنسانية الأكبر، يوم عيدها، يوم نهاية العنصريين المفسدين، يوم يكون النداء على كل يفاع، وفي كل بلدة وقرية وريف...

الله أكبر، الله أكبر، والحمد لله وحده، وهو المستعان في كل الأمور وإليه وحده سبحانه قضاءها...

إجمال بحث المدلولات المحمولة على ألفاظ الكتب المقدسة

والخلاصة أن كل معنى لم يكن الذوق الأدبي السامي المفكر حاكماً باستخلاصه من ذات الألفاظ المقدسة فهو من المدلولات المحمولة على الكتب المقدسة حملاً سواء أكان لخير أو لشر، ومأتى المدلولات المحمولة هي:

١ ـ النصوص الثانوية كالأحاديث الدالة على نجاسة عين الخمرة والأحاديث الدالة على فرض مسح ربع الرأس لدى أبي حنيفة، فإن تعيين مسح ربع الرأس في الآية لم يكن من مدلولها أصالة وإنما حمل إلى المدلول الأصيل حملاً.

٢ ـ المدلولات الحملية هي سند الفرق الدينية لتدعيم وجهات نظرهم وتركيز آرائهم وطريق للدس كبير، وكبير جداً، على أن هناك نصوصاً ظنية واردة في نجاسة عين الخمرة في الدين الإسلامي ينبغي الانتباه إليها لدى المناقشة الوادعة، ومهما يكن فإن حمل مدلول الرجس على الرجس الذاتي مضاف إلى معنى الآية هو بلا ريب من الخير المحض ولا شرّ فيه ولا ضير للإنسانية أبداً...

وإنما الشرّ والبلاء كل البلاء في المدلولات الحمليّة الثانوية التي يقصد بها التمزيق وهدم الواقع اليقيني في وحدة الدين...

كالحمليّات التي يتذرع بها أهل الفرق في تمزيق دينهم، وأعجب ما رأيت من هذه الحمليّات الممزقة الكافرة حمل التثليث في قوله تعالى بالبسملة، وهذا الحمل مضحك لأن أسماء الله جل وعز تسعة وتسعين اسماً، فإذاً تكون الآلهة تسعة وتسعين إلَهاً على رغم من يزعم ذلك.

والخلاصة التي يخرج منها الباحث أن المدلولات الحملية التي يـراد بها تمزيق الكلمة وتدعيم الإلحاد والخبث واللعنة لا تخفى على العلماء الدارسين سواء كانوا شرقيين أم غربيين، سواء كانوا عرباً أم غير عرب.

فالحق هو الحق، ولا يخفي نوره الساطع، والباطل هو الباطل، ولا يخفي ظلامه القاتم.

بحث مدلولات الألفاظ ودرجات معانيها

لمقاصد الألفاظ درجات ثلاث:

١ ـ المقاصد الأولية

هي معني الألفاظ التي تحتمل الألفاظ سواها أي هي المدلـولات اليقينية الملازمة لأصل الوضع وتطوره وليس لها من محيد عنها...

خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فأنت تجد أن هذه الألفاظ تدل على عدم وجود شيء في الكائنات مماثل للخالق، ومدلول فهم عدم وجود المماثلة هو مدلول قطعي محكم لا يمكن أن يدخله اشتباه أو ريب أو دس، وإنما المماثلة وأشبـاهها تدخل في أفراد الكائنات المؤلهة المعبودة من دون الله، وذلك كالذين يؤلهون الشمس أو الروح، فلا يصح أن تقول عن الآلهة المعبودة من دون الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأن الأكوان متماثلة ومتشابهة، فالشمس وراءها شموس كثيرة أكبر وأعظم وكذلك الروح المؤلهة أياً تكن كروح بوذا أو تشترى أو فولكان أو الباب، فإن وراءها أرواح أعظم وأكبر من أجل ذلك كان قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هـو نص محكم في خصوص صفته جل وعز.

٢ ـ المدلولات الثانوية الراجحة

هي التي تدل على معنى مقصود دلالته ثانوية راجحة من أدلة خارجة وقد يجعلها قطعية فتنقلك إلى الدرجة الأولى الخالية من التشبيه والتمثيل والتمييز. خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فمدلول اليد الجارحة غير مقصودة لله عز وجل، ولو كانت مقصودة لرأوها فوق أيديهم ولكن لا ينبغي أن يعين

المعنى الثانوي المراد لله عز وجل، ونقول القدرة مثلاً، إذ كان في الإمكان أن يقول الله وقدرة الله فوق قدرتهم، لذلك يجب أن نترك المدلول الثانوي ونفوضه إلى الله جل وعز لأنه أعلم بخصائص ذاته عز وجل، وما كفر الكافرون إلا لأنهم عينوا ذات الله وقالوا هي طاقة روحية تحل في الأشياء المؤلهة المعبودة.

٣ ـ المدلولات الطارئة

هي مدلولات بعيدة جداً عن الوحي اليقيني، ولا أصل لها، وإنما جاءت من لفظة الواحد لأنهم فهموا أن وراء الواحد اثنان وثلاثة وهلم جرًا، فهذا الفهم تمثل لهم في الآلهة المتخذة من الأرواح التي عبدوها من دون الله لذلك جاء مذهب الثانوية ومذهب الثلاثة ومذهب الخمسة... الخ.

لذلك يجب لدارس هذا العلم أن ينتبه لهذه المعاني المتناقضة المتنافرة التي يستحيل أن تكون منزلة في وحي الله، ويمكن التعرف إلى مآتيها وبواعثها في النصوص الدينية من مقارنتها بالأحسن في الأديان الوضعية، وفي العلم اليقيني...

بحث تطور مدلول الألفاظ

وتطور مدلول الألفاظ الدينية، إما أن يكون أصيلاً في الصميم الصميم، الحافظ لكل خصائصه على مدى الأجيال، كتطور نواة النخلة، فهي حافظة لكل خواص النخلة وثمراتها، وإن تقلبت عليها الحقب، فكذلك المعنى الأصلي المراد من اللفظة الدينية مهما تطورت به الأجيال، فإن مدلوله الأصيل الذي يحمل جوهر الدين محال أن يتغير أو يتبدل، نعم تصقله التطورات العلمية والإنسانية الاجتماعية، وتجعله مدلولاً واضحاً معجزاً بنور المعرفة، وقد ينفي عنه الطفيليات التي لم تكن بالمدلول الديني الأصيل من نسبة يتفق مع العلم اليقيني والوحي اليقيني.

وإذا أردنا أن نفهم مدلولات آيات الكتب الإلّهية المقدسة في كل الأديان فهماً علمياً صحيحاً فلا بد لنا من النظر الأولي القديم الذي قصده مؤسس الدين لما أوحاه الله إليه، فإذا فهمناه على أوليته حينئذ يمكن أن نحكم عليه بعد القرن الأول والقرن الثاني والثالث وهلم جرًا إلى اليوم، وإذا كانت التفسيرات التي دخلت على معاني الآية أو الآيات هي من العناصر الأولية الأساسية أو من عناصر

أجنبية طفيلية، فإن الذين يدرسون هذا العلم يكشفون الفارق بينهما، كما يكشفون الوحدة الدينية تامة كاملة لما أوحاه الله في كتب وحيه على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تسرب العقائد والمذاهب الوضعية
إلى الأديان السماوية

هذا التسرب عدواه ظاهرة كل الظهور في الأديان السماوية التي أوحاها الله عز وجل، خالية من التناقض والتعدد والتماثل بالأكوان، خذ مثلاً، عقيدة التثليث البرهمية القديمة التي يقول الله فيها... ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ...﴾ [التوبة: ٣٠].

فهذه المضاهئات والمماثلة، دخلت على وحي الله المنزل على سيدنا المسيح من البرهمية القديمة لأن سيدنا المسيح رسول من أولي العزم وما أنزل إليه كمثل ما أنزل على الرسل من قبله كنوح وإدريس وإبراهيم وموسى وسواهم.

ومأتى تسرب العقائد والمذاهب الوضعية كان من جملة أشياء...

١ ـ تشابه الباعث والبواعث التي تؤدي إلى التداخل والتشابه في المسائل المتناقلة بين أهل الأديان السماوية والوضعية.

٢ ـ تشابه ظروف الدعوة وتجمهر البشر حولها والأخذ بالتبشير والإعلان.

٣ ـ الضلال عن وحدة الغاية الإلّهية المقصودة من نزول الوحي أصالة.

٤ ـ انطباعات الدعوات الوضعية القديمة في أنفس البشر وتأثيراتها المتجددة، كما حدث لقوم موسى بعد أن خلصوا من مهالك فرعون، وشاهدوا أهل قرية عكفوا على أصنامهم، فبحكم ما خمد في أنفسهم من البواعث القديمة المتوارثة طلبوا إلى موسى أن يجعل لهم آلهة كما لهم آلهة...

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وهذا هو من باب تأثير اللاحق بالسابق بقصد أو بغير قصد، إذن فتسرب العقائد القديمة إلى صميم الأديان السماوية قد حصل فعلاً بسبب شوائب الإشراك والوثنية المسيطرة في كل مكان وعلى ألسنة الكهنة والوعاظ والمبشرين حتى عصرنا هذا.

وقد يكون الذي أدى إلى هذا الانحراف عن وحدة العقيدة هو بيان مدلولات الألفاظ وعدم الالتزام بالأصالة في مدلولاتها وغاياتها وحقائقها، بالإضافة إلى أن الكهنة المشرفين المستفيدين من هذه العقيدة يعسر عليهم التنازل والرضى بما يجد، لأن ذلك في زعمهم يفقدهم مكانتهم ومصالحهم، وما إلى ذلك من المنافع، أي يؤثرون ما في الدنيا على ما هو كائن عند الله جل جلاله.

ودلائل التفسيرات مأتاها من دلائل الألفاظ. وهذا التغيير في التفسير قد يكون بعيداً عن اللفظة كل البعد، فيفضي إلى تغيير المقصود من وحي الله جل وعز، كالذين فسروا الواحد بالثلاثة وجعلوا الثلاثة هي عين الواحد مما هو مستحيل علماً، وعقلاً، وأما التغيير الخفيف في التفسير، كالذين يقولون إن المقصود من يد الله فوق أيديهم، هو القدرة، فهذا لا يفضي الفكر والبعد وإن كان الأجدر والأولى أن يترك هذا المعنى والمراد منه إلى الله جل وعز، كما قال مالك بن أنس اللفظ معلوم أي معلوم الدلالة، ولكن تكيف الدلالة هو المجهول الذي لا ينبغي الخوض فيه لأنه سيتصل برب العزة الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي السّمٰوات والكائنات مطويات بيمينه.

والوحدة الدينية ماثلة في العقائد تماماً دون تغيير أو تبديل، وأما طقوس العبادات فإن الوحدة ماثلة في التوجه إلى الله جل وعز، دون شريك أو ندٍ، ودون وثنية أو إلحاد، وإن اختلفت الهيئة والشكل.

وأما الوحدة في الأخلاق فهي تتمثل في التواضع وذم الكبر وامتداح الصدق، أي في الأركان الأساسية اللازمة للحياتين الدنيا والآخرة.

وأما الوحدة في التشريع فالقصد منه إقامة العدل، وصدق الإحسان وعدم

التحابي، ويتحقق العدل بكل ذلك، وإن كانت مناهج التشريع مختلفة كما قال الله سبحانه وتعالى...

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨].

فأنت ترى حتى في الأشياء التي فيها ظاهرة من الخلاف، يجمعها شيء إلّهي واحد هو المقصود الأساسي من الوحي...

ألهم الله الجميع إلى الاتباع والبحث في كل شيء، إنه سميع مجيب.

وخذ مثلاً واحداً لذلك كإعدام القاتل في الشرائع فإن العدل يتحقق بإعدامه وإن اختلفت الوسائل.

وحدة العقائد في الأديان السماوية

يجب أن تكون الوحدة والتوافق بين العقائد واضحاً كل الوضوح في كل الأديان السماوية أي الوحدة في الجوهر، لا في التفاصيل، ولا في طرق الأداء ولا في العبارات التي تدور حول الطقوس والعادات وسير الرجال. . .

وإليك جدول العقائد المتوافقة الدالة على وحدة الذات الإلّهية وصفاتها وأسمائها. . .

١ ـ الإيمان بالخالق العظيم إيماناً يليق بجلاله خالياً من الوثنية والإشراك والإلحاد.

٢ ـ الإيمان بالعالم الثاني والحياة بعد الموت.

٣ ـ الإيمان بالحساب.

٤ ـ الإيمان بعوالم الأرواح الخيرة والشريرة.

٥ ـ الإيمان بأن وحي الله أنزل للخير والإصلاح والرحمة وجمع الصفوف لا للشر والإفساد والقسوة وتمزيق الصفوف.

٦ ـ الإيمان بطهارة الرسل الكرام وعصمتهم من اقتراف المأثم قبل النبوة وبعدها، وهذا حق لا بد منه، وإلا كانت الرسالة سخرية، والله محال أن يختار رسله من أشرار الخلق الفاسقين وكل ما نسب إلى الرسل من ذلك، إنما وضع لتبرير فسق الفاسقين وتخفيف وطأة الحملة عليهم. ولذيوع الإلحاد بين الشبيبة التي ترفض اتباعهم.

٧ ـ وحي الله لا هذر فيه ولا جهل بحقائق الأكوان ولا تخلف، وكل ما تجده من هذا القبيل هو مدسوس من قبل العنصريين المفسدين لزرع الإلحاد في كل الأوساط.

٨ ـ وحي الله في كل دين أنزل للانتصار للحق ورفع الظلم عن المظلومين، وإقامة ميزان العدل بالقسطاس بين الأفراد والجماعات على سواء بينهم.

قانون وحدة البراهين العينية
تحتم وحدة التصديق

لا ريب أن وحدة الأدلة هنا وهناك تحتم وحدة التصديق المماثل، وذلك إذا كانت الوحدة تامة حتمية، وتلك هي الوحدة العليا المنتجة، وحدة التصديق حتماً، وإلا كان الجحود اعتسافاً ورعونة أو هوساً أو تقليداً.

لنأخذ مثلاً رجلاً ركب طائرة من مطار بيروت إلى مطار ألماظة بمصر فوصل سالماً وسجل ذلك أصدقاؤه وأقاربه ووصفوا وصوله. ثم جاء آخر بعده فركب نفس الطائرة من مطار بيروت أيضاً إلى مطار ألماظة ووصل سالماً وسجل ذلك أصدقاؤه وآله. فتصديقنا بوصول أحد الرجل يحتم التصديق بوصول الرجل الآخر. سواء كنا من أتباع هذا الرجل، أو من أتباع ذلك الرجل. . .

وإيماننا بتصديق وصول أحد الرجلين دون الآخر هو تصديق أبتر جاهل يناقض برهان المعرفة اليقينية والحق والعدل ويغضب الله جل وعز لأن فيه اعتداء على برهان المعرفة والحق والعدل وفيه تعنت صارخ ضد قانون وحدة البراهين العينية.

وليس سهلاً التعنت ضد القوانين الأصيلة في إقرار العلم اليقيني وكشفه لحقائق الوجود بين الأفراد والجماعات، إن التعنت هو الموت المحتوم بكل معانيه، انظر هول التعنت المخالف لقانون وحدة البراهين العينية، إنها جد صريحة، وجد مؤسفة، انظر هؤلاء البراهمة يؤمنون بألوهية برهما مثلاً ولا يؤمنون بألوهية بوذا، وكل واحد من الرجلين نسبت أتباعه له الألوهية. . . بعين البراهين التي نسب بها أتباع

الرجل الآخر. . . إحياء موتى، إشفاء مرضى، إخبار بالغيوب، تكثير أطعمة، وأشباه ذلك مما هو مزعوم لديهم .

وما دامت هذه هي البراهين التي يروونها، فكان الأجدر بهم أن لا يفكروا بها في ناحية، ويؤمنوا بها عينها في ناحية أخرى، والواقع القطعي أنهم لم يؤمنوا إلا بالتقاليد العمياء التي توارثوها عن آبائهم الأقدمين، ومثل هـذا الإيمان المبتـور التحكمي ظـلم وجهـل وإصـرار.

والذي أوقعهم في كل هذه الأغلاط هو جهلهم أن صفات الخالق العظيم وذاته مخالفة لصفات مخلوقاته وذواتهم ولو كانت عينها لأحاطت به الجهات الست، التي تحيط بكل كائن مادي أو طاقي إحاطة يلزمه بها وجـوده في هذا الفضـاء الواسع. . .

ونسوا أن الخالق العظيم هو المحيط بكل شيء وليس محاطاً بشيء ما من الكائنات. . .

﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شيءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].
﴿وَاللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].

وكذلك ـ مع علمهم أن الكائنات كلها مؤلفة من قسمين، إما مادية مؤلفة من الذرات فالعناصر فالمواد، وإما طاقية كالملائكة والأرواح والأضواء والمغناطيس، مع علمهم بذلك علمـاً أكيداً، ومع علمهم أن الله ليس كمثله شيء. . .

زعموا أن الله طاقة روحية أزلية، والسبب في هذا الزعم هو تبرير حلوله سبحانه وتعالى في الأشياء التي يؤلهـونها ويعبـدونها من إنسـان وحيوان ونبـات وطاقات. . .

وإن كان كل فريق يرفضون عقائد الفريق الآخر مخالفين قانون وحدة البراهين العينية التي تحتم وحدة الاعتقـاد بحكم نظرتهم الخـاطئة، وهـذا كله تصورات وخيالات وأوهام وأساطير، ما لها من الواقع اليقيني قلامة ظفر.

ولعلك تقول كيف يعتقدون أن فلاناً هو الله الذي خلق هذه العوالم، وأوجدها من طريق الحلول الروحي الأزلي المزعوم؟ إذ قلت لهم ذلك. . . كان جوابهم. . .

إن فلاناً الآخر الْمؤله كذلك. . . لأنهم يعتقدون أن الله الخالق العظيم هو طاقة روحية، إذاً فعُبّاد النار هم كذلك يقولون، ونسوا أن الله هو خالق الطاقة والمادة معاً.

والخالق غير المخلوق، جل الله أن يكون من هذه الطاقات الروحية، وحقيقة ذات الله جل وعز لا يعلمها سواه. . .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠].

والحق ما داموا يعتقدون أن الله طاقة روحية تحل في الآلهة إذن كل الآلهة يجب أن يؤمنوا بها، لأن القضية التي سلموا بها وأذعنوا لها واحدة، فلماذا يكفرون عُبّاد الأصنام وهم يزعمون ذلك؟

وهذا يسمى في علم دراسة أصول الأديان قانون وحدة البراهين العينية التي توجب التصديق بين المتماثلين، لأن الله جل وعز أقام البراهين اليقينية العينية حجة، وهذا بيّن في يقين العلم وبيّن في يقين الوحي.

وفي الحقيقة أنهم بشر وأحجار وأبقار وحيوانات جعلوها آلهة، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ. تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣].

ومهما يكن فالبرهان العلمي اليقيني له نتيجته الحتمية اليقينية التي يذعن لها كل مدرك مفكر مشاهد مجرب، ومثله في تحقيق وجوده كمثل نور المصباح فهو يضيء ويشاهد ويلمس ويحس ومحال أن يجحده جاحد سوى الأعمى والمجنون.

سواء أوقده شرقي أو غربي، وسواء كان مكانه في نجد أو وهد، المسألة مسألة الحقيقة اليقينية الصارخة لا مسألة الأشخاص، بل لا عبرة بالأشخاص بتاتاً، بل العبرة بالنتيجة المشاهدة المحسوسة، على تحقق هذه النتيجة يقوم الإيمان اليقيني وعلى فقدها يقوم الفكر اليقيني، وهذا هو شأن الوحي اليقيني القائم بالحجة والبرهان العلمي.

دلائل الوحي الآلهي القطعي

ذكرنا أن أصول الوحي إلينا في أي دين من الأديان العالمية الكبرى لا يخلو أن يكون وصوله من الطريق اليقيني الأولي أو الطريق الظني الثانوي أو الطريق الشكي.

فالأول نسميه الوحي اليقيني العلمي الثابت، والثاني الوحي الظني، ولكل من الوحي اليقيني أو الظني دلائل وآيات يعرف بها لـدى العلماء، وأما الشكي فقلما يهتم به، أو يسند إليه حكم من الأحكام، وإنما يعنى به المضللون المؤوِّلون، المسيؤون إلى أنفسهم وإلى الناس والحق أنهم هم صانعوه. يقول الله تعالى في محكم كتـابـه:

﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ ٱلفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تأويلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الألباب﴾ [آل عمران: ٧].

وتجد هذه الدلائل الثلاثة مفصلة في ما يأتي:

أقسام الاستدلال بنصوص الوحي الإلَهي

الأقسام ثلاثـة:

الأول يقيني.
والثاني ظني.
والثالث شكي.
وإليك تفصيل كل قسم بالذات.
القسم الأول: هو الاستدلال بالنصوص اليقينية المحكمة من وحي الله جل وعز.
القسم الثاني: هو الاستدلال بالنصوص الظنية من وحي الله جل وعز.
القسم الثالث: هو الاستدلال بنصوص مشكوك في دلالتها وهذا لا يكون إلا من صنع المرجفين الذين يتبعون التأويلات حسب تخيلاتهم وظنونهم، كأدلة القدرية والمعتزلة والعلمانيين ومن كان على شاكلتهم.

مراتب النصوص الدينية، ومراتب مدلولاتها

أجل للنصوص الدينية مراتب خاصة، ولمدلولاتها مراتب خاصة...
الأولى: مراتب النصوص الدينية.
الثانية: مراتب مدلولاتها.

تفصيل مراتب النصوص الدينية

لورود النصوص الدينية في الأديان ثلاث مراتب...

المرتبة الأولى: النصوص اليقينية التي وصلت إلينا بالطريق العلمي اليقيني، كالتواتر الجماعي الذي وصل إلينا به خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد، والتواتر الجماعي، هو تلقيه تلقياً تلقينياً شفوياً من صاحب الرسالة بالذات بواسطة جماعة يؤمن تواطؤها على الكذب والزيادة والنقصان، وهذه الجماعة كما تلقته تلقيه لجماعة تليها، وما يزال الأمر على هذا المنوال إلى ما شاء الله، وهذا هو التواتر الجماعي القطعي.

وهنالك طرق يقينية أخرى تصل إلينا منها نصوص دينية قطعية، وتوضيحها يفتقر إلى أخذ ورد كالمخطوطات الأثرية التي لم تمس بعبث، وكالنصوص الظنية التي تؤيدها المدلولات اليقينية والعلم القطعي، وتفصيل ذلك يطول جداً، وسنفصله إن شاء الله في باب خاص.

المرتبة الثانية: النصوص الظنية هي التي لم تصل إلى علماء الأديان بالطريق الجماعي القطعي، بل بطريق الآحاد، وهذا الطريق لا يوجب القطع اليقيني ولا يؤخذ به في إثبات صحة العقائد... إلا إذا دعمه برهان العلم القطعي.

والطريق الظني يؤخذ به في الفروع المذهبية في الدين الواحد دون العقائد الأساسية، ولولا النصوص الظنية لما استطاع الأئمة المجتهدون في الإسلام أن يختلفوا هذا الاختلاف الفقهي المشهود، ولما اتسع الفقه هذا الاتساع الهائل..!!

والاختلاف في الفروع رحمة لأنها تسير على ضوء الأصول ولا تنحرف عنها قيد شعرة، وأما الاختلاف في الأصول، ونسأل الله السلامة، فإنه يفضي إلى الاختلاف في العقائد، وهذا محال أن يكون في الإسلام، لأن القرآن المجيد الذي وصل إلينا باليقين العلمي... ولا خلاف بين العلماء المسلمين وغير المسلمين في هذا الأمر، إنه أظهر من الشمس.

ثم إن الاختلاف في النصوص اليقينية إنما يكون لدى جماعات يدسون مبادئهم دساً، ولا أصل لها من أجل إثباتها علمياً، ومذاهبه منحرفة، وبعيدة عن وحي الله تعالى، كالقاديانية والبابية، وسواهما، وهي مما يدس ويقصد بها تمزيق وحدة الأمة وتمزيق الوحدة الدينية المحققة في أصول النصوص اليقينية، والعلماء المحققون كتبوا عن أسباب نشوء هذه النحل المنحرفة فعد إلى ما كتبوا...

المرتبة الثالثة: النصوص الشكية والموضوعة هذه النصوص لا تصلح للاستدلال... نعم النصوص الشكية قد يلجأ إليها بعض المؤلفين غير المحققين في مؤلفاتهم للعامة، ككتاب تنبيه الغافلين، وبدائع الزهور، وما أكثرها في الأديان عامة، وهناك مؤلفات كثيرة جل نصوصها موضوعة، كمعراج ابن عباس، وقصة الجمجمة المنسوبة إلى سيدنا موسى... وما كان من هذا القبيل...

على أن أكثر النصوص التي يأتون بها من القرآن هي دس في التأويل وانحراف عن المدلول المقصود للآية في نظائره المحكمة، أما الأحاديث الموضوعة فحدث ولا حرج.

وهل استطاع الواغلون المجرمون الممزقون أن يدسوا النشرات الوضيعة

الحاقدة والمؤلفات الهدامة باسم الإسلام والغيرة عليه إلا بواسطة هذه الأحاديث المفتراة.

وجزى الله علماؤنا الذين ميزوا الأحاديث الموضوعة من الصحيحة وقاية من الفساد في الأرض وصيانة لأهلها من الوقوع في مهالك أشراكها، وهل تتم الوقاية والصيانة من فساد المفسدين في الأرض إلا بمعرفة مصادر هذه الأقوال الفاسدة المجرمة...

أجل هذا هو السبب في وضع العلماء لعلمي مصطلح الأحاديث: الجرح والتعديل.

مراتب الدلائل المعنوية المرادة من ألفاظ النصوص

لمدلولات ألفاظ النصوص الدينية المقصودة من إنزال الوحي مراتب ثلاث...

المرتبة الأولى: المدلول القطعي المراد عينه، كلفظة شمس، فمدلوله قطعي على الكوكب النهاري المضيء، كقول سيدنا إبراهيم الخليل للنمرود ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

المرتبة الثانية: المدلول الظني كمدلول اليد على القوة في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

فهناك من أكدوا أن مدلوله القطعي هو القوة، والواقع أن هذا المدلول ظني، وإن كانت اليد الجارحة مستحيلة على الله جل وعز، والسلف في هذا المدلول الظني يفوضون تعيين المراد إلى الله جل وعز، وفي ذلك السلامة.

المرتبة الثالثة: المدلول الشكي كالذين يطلقون لفظة سيف على الخشبة التي هي في صورة السيف، وكالذين يطلقون لفظة النحل على بني هاشم في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٧٨] إذ لم نسمع أحداً من علماء اللغة أطلق ذلك على بني هاشم، فهذا المدلول مشكوك فيه إذ لا أصل له أبداً، ومرتع الشك، الإفك والدس والوهم والهوى.

والعلماء المفكرون لا يثبتون العقيدة إلا بالدليل القطعي، وقطعية الدليل

تعرف بالبرهان، وما أكثر المعتقدات التي يدين بها البشر بالدليل الظني أو المشكوك فيه.

وهل تسمو الإنسانية وتمجد وتسعد بالحضارة المثالية وبالعلم القطعي الحق، وبالسلوك الإنساني المستقيم بالوحي، إلا بالمعتقدات القطعية الثبوت، إذن فحرام ألف ألف، وغباوة ألف ألف، وسخافة تقاليد ألف ألف، أن تأخذ الجماعات والأفراد في عقائدهم بالظنون والشكوك والأوهام والأساطير والرؤى والأحلام، ويتركون بإصرار الوحي الإلٓهي الثابت باليقين العلمي المتواتر.

ويكفي لذوي البصائر النيرة والفهم الحر أن يعلموا أن الله جلت قدرته وتعالت أسماؤه لما أراد أن يفهم أهل العلم قَدْر شرف البرهان، خاطبهم بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] ولا ريب أن النور المبين هو الذي يكشف لك سطوعه وصرخة تحديه في محكم آيات القرآن المجيد فليتدبرها علماء الحضارة الأعلام بوعي العلم وحرية الفكر ودقة النقد، فإن فعلوا ذلك عرفوا كل شيء وإن لم يفعلوا غروراً بحداثة علمهم وكبرياء نفوسهم فتبعة الحرب المقبلة تقع على عواتقهم قبل سواهم، كمن يفتقدون وسائل التمحيص والنقد والمقارنة والغربلة والجرأة على إعلان الحق والعلم والدعوة البريئة إليهما.

والآن يصح أن يدرسوا النصوص المنسوبة إلى الله جل جلاله التي زعمته روحاً يحل في ذوات الأكوان وألهوها من دونه جل وعز، والنصوص المنزلة في خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد التي تبطل ذلك، يكفي أن يتدبروها في قول الله جل وعز في القرآن...

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وإذا كانت نصوص الوحي الظنية لا يجوز أن نأخذ بها في إثبات المعتقدات فهل يجوز أن ننحط فنأخذ بالنصوص المشكوك بها في معتقداتنا؟ وأمر المعتقدات عظيم جدًّا، والناس بالمعتقدات يتقاتلون، وبالمعتقدات يحقد بعضهم على بعض، وبالمعتقدات يتوادون ويصدِّق بعضهم بعضاً بالنية والطوية ومنح الثقة

نظرة أهل العلم
إلى الأحكام المترتبة على اختلاف النصوص

لن تكون أحكام أهل العلم الأحرار المفكرين على الأخذ بالنصوص المختلفة المراتب في الوثوق العلمي على درجة واحدة ومنوال متساوق. . . هذا محال، ومحال. فالنصوص الثابتة بالوثوق العلمي مادة ومعنى سوى النصوص الثابتة بالظن مادة ومعنى، وسوى النصوص المشكوك بها مادة ومعنى.

ولكلٍّ أحكام في الأخذ بها فإليك طريقة علماء الإسلام في الأخذ بها، فالمعتقدات لا يؤخذ بها إلا ما ثبت يقيناً علمياً من النصوص لفظاً ومعنى كقوله تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فأخذ الإيمان بوحدانيه الله جل وعز ثبتت بالوثوق العلمي لفظاً ومعنى، نظراً لورود الآية في نصوص الوحي القطعي المتواتر.

وقد يكون الوحي لفظه متواتر علمياً، ولكن تعيين معناه ظني، فهذا الظني لا تثبت به العقيدة التي لو جحدها أحد يعد كافراً في نظر الدين.

أنظر مثلاً في ثبوت المقدار المفروض مسحه في الوضوء في نص الآية القطعية. . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

ففي هذه الآية المتواترة الدليل الظني كتعيين مسح ربع الرأس في مذهب أبي حنيفة. . . فإنه حمل معنى المسح على ربع الرأس، ودليله ظني، لأنه أخذه من حديث غير متواتر، وهو وإن كان مسح ربع الرأس فرض عند أبي حنيفة، إلا أن جاحده لا يكفر، لأن دليله ظني بخلاف غسل الوجه واليدين إلى المرفقين.

أجل إن الدليل الظني جاحده لا يكفر، إذ كل المذاهب لم تفرض مسح ربع الرأس، بل منهم من فرض الرأس كله، ومنهم من فرض البعض. . . بأدلة ظنية لا تجعل من لم يفرضه لنفسه يكفر، على أن مسح الكل أو الربع دخل فيه البعض الذي أخذ به الشافعي. . .

وأما المعاني المشكوك بها والموضوعة في دلائل نصوص القرآن اليقينية كزعم القاديانية أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] هو مركزهم الذي أقاموه بالبنجاب.

وقد تعقب الإمام أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات هذه الدلائل المفتراة ونبه إليها، وهي باب كبير لإحداث الفرق الشاذة في الدين الواحد، فليحذر أهل الأديان من هذا الأمر لأنه هو الذي أحدث الفجوات المخيفة بين الأديان السماوية التي أوحاها الله رحمة للإنسانية، حولها الواضعون الواغلون المتآمرون إلى عذاب للبشر ليس كمثله إلا عذاب جهنم، لأنه يفضي إليها، وكل واغل متآمر يستطيع أن يقول في أي نص وحي ورد. . . هذا النص يدل على كذا وكذا، فإذا جاء النص مثلاً بلفظة الروح يقول هو الله، وإذا جاء النص بذكر النخلة قال: إنها المذهب الذي صنعته فهي تدل على المذهب الذي أتيت به. فتصبح النصوص الدينية في الكتب المقدسة مرتعاً وخيماً لإحداث الفتن والأحقاد، ولإشعال الحروب.

ومن رجع إلى تاريخ الحروب الدينية في العهد القديم، والأزمان الغابرة، يجدها كلها من هذا الدس، وتحويل مدلولات النصوص حسب رغباتهم وشهواتهم وفتنهم ومذاهبهم الهدامة نعوذ بالله وعلمه وإرادته وقدرته من كل ذلك.

برهان عظمة الآثار بمقدار عظمة المؤثر

هذا البرهان علمي يقيني مسلَّم به لدى العلماء والمفكرين، وهو مؤيد ومأخوذ به. أي أن العلماء المفكرين يزنون عظمة الأثر، بعظمة المؤثر.

هب أن مؤلفاً طبياً أسلمك إياه شخص قال لك، إنه من مخطوطات ابن سينا القيمة. وهب أنك عالم بتطور علم الطب، وكذلك لما اطلعت عليه فاحصاً دارساً، ألفيته تافهاً جداً وحشوه الأوهام والأساطير والمفتريات، وهو بعيد عن الطب بعد المجرة عن كوكبنا الأرضي، فهل تكفي النسبة في الصدق شيئاً؟ لا، لا، إذن فالنسبة لا تكفي ولو جعل الناسبين هم كبار أطباء الأرض هكذا... وكم نسبوا إلى العلماء من أقوال لا أساس لها ولا صحة، بل فعلوا ذلك حتى في نسبة الأقوال المجرمة المدسوسة إلى أولي العزم من الرسل الكرام، فضلاً عن سواهم.

بل بلغت جرأة المجرمين أن ينسبوا إلى الله جل وعز ما هو مذهل ومخيف وانحطاط ووهن ولا يسعنا إلا أن نقول... حسبهم الله...

ومهما يكن فإنت إذا قرأت الكتاب المنسوب إلى ابن سينا ترفضه رفضاً باتاً، لأنك تعلم أن ابن سينا طبيب عبقري راسخ ونطاسي بارع فذ، وأن مثله لا يهذي بمثل هذه الوساوس والترهات، وإن كان موجهاً إلى العامة ومسنداً في نسبته إلى الأكابر.

إذن فكم بالأولى أن يكون عظيماً، الكتاب المنسوب إلى رب العالمين، وعلام الغيوب، لا ريب أنه يكون عظيماً عظمة تليق بمبدع الأكوان ومدبرها

والمهيمن عليها، ولذلك يمكنك أنت أن تميز كلام الرب ذي العزة والسلطان الذي لا يضارع، من كلام سواه، فكلام العظيم يظل عظيماً، والله عز وجل لا يوحي إلا بالمعرفة اليقينية، ومحال أن يوحي الجهل، وكيف يوحي الجهل وقد خلق الله العوالم وأجرى لها نواميسها وأنواع تكوينها، وعيّن لها وظائفها وأمكنتها وأزمنتها بالعلم، فالعلم، هو مصدر النور والهداية والحق، والنصوص الدينية الخالية من كل ذلك حتماً هي من النصوص الشكية أو الموضوعة أو المدسوسة، للتجارة والربح، والسيادة يكفي أنها نسبت إلى الله إفكاً وباطلاً.

هذا ما يقتضيه العلم اليقيني والوحي اليقيني . . .

والإنسانية في هذا العصر الواعي المفكر لن ترضى بالترهات ولن ترضى بالأساطير وهي تعلم أن العوالم كلها آثار قدرة الله وعلمه وإرادته، وهي أحوج ما تكون إلى الرجوع إلى اليقين العلمي المحكم، في كل شيء تدين به وتعمل بمقتضاه، وهذا حاصل والحمد لله.

أصول الاهتداء إلى واقع المعرفة

لن يتوفر الاهتداء إلى واقع المعرفة لمؤلف بحاثة أو فيلسوف محقق إلا بأشياء . . .

١ ـ الحب والبغض العمليان، فمن كشف يقين العلم في شيء فذلك هو المحبوب ومن طمسه فذلك هو المبغوض.

٢ ـ الصبر والجلد والتضحية في سبيل كشف حقائق الوحي الإلّهي الخالص وسواه مما دس باسمه للإفساد من أساطير وأغلاط وترهات.

٣ ـ كشف دسائس العنصريين القدامى بصورة خاصة.

٤ ـ يجب أن تكون المصلحة الاجتماعية الإنسانية فوق كل مصلحة شخصية، لأن المصلحة الإنسانية الاجتماعية هي السعادة العامة لكل أفراد الأمم وجماعاتها، وكم من مصلحة شخصية أودت بصاحبها.

٥ ـ بالرغبة الأكيدة في إيثار الخلود الإنساني العام وشتان بين من يكرم في جماعة خاصة ومن يكرم لدى الأمم كافة، الأول أناني، والثاني إيثاري، وقديماً قالوا: من أحب نفسه كرهته الناس.

على أن الله جل وعز لا يفضل فرداً على فرد ولا جماعة على جماعة إلا بالتقوى والإصلاح والخير والحب والسلام والأمن، فكم من شرف وسيادة لمن يعمل للإنسانية كافة.

فإن رأيت غير ذلك فاعلم أن ذلك صنع أفراد عنصريين مجـرمين يحبون أنفسهم ويكرهون الناس. . . ولا أثارة لهفة في أنفسهم تقود إلى الإصلاح الإنساني العام، ومهما يكن فالاهتداء إلى واقع المعرفة هو هدف كل مؤلف باحث أو فيلسوف كاتب، أو مناظر عبقري، لأن العالم المفكر يكره أن يأتي بعده من يكشف أخطاءه ويدل على جهله فيما ألف أو كتب.

ولولا جهاد العلماء العباقرة لكشف واقع المعرفة في الأديان خصوصاً، لظل البشر في ظلمات المغاور بعضهم يفتك ببعض بعيدين عن كشف أية حقيقة علمية، أو حضارة، أو مدنيّة أو إنسانية، أو دينية، شأن وحوش الأدغال الكاسرة.

والأمراض الصارفة عن الاهتداء إلى واقع المعرفة هي مجملة في أشياء - في الحرب والبغض التقليديين، وفي التمسك بأخطاء الآباء وتخلفهم، وفي الغرور باسم الشخصية التي ينوه بها العنصريون ليؤثروا على ضعاف العقول من ولدان المعرفة، وفي حب الأثرة وجحود فضل الآخرين، وجحود جهود ما أثر من خير عنهم.

وأما الحسد فهو علة العلل النفسية وأفتك أمراضها القاتلة ليقين المعرفة، وهو لا يكون إلا في الأوساط البدائية الجاهلة، لأن الأوساط الراقية يهتم أهلها بالنهوض بالعلماء القادرين على كشف حقائق واقع المعرفة .

هذه جملة ما رأيت، ومثل ذلك لا يخفى على العلماء العباقـرة الإنسانيين القادرين، ولعل هناك أسباباً أخرى تصرف الإنسان عن الأخذ بواقع المعرفة، قد يهتدي إليها سواي، كالترصد والانتهاز، والتقاضي الظالم. . .

الحب والبغض العلميان

الحب لواقع المعرفة، والبغض لواقع الجهل، هو المسمى بداية الطريق العلمي الصحيح كما أن الحب والبغض التقليديين هما بداية طريق الجهل، فإذا كنت تحلل شخصاً أو كتاباً أو نحلة، فحبك أو بغضك التقليديان يجب أن ينحرفا بك عن إعلان واقع المعرفة في حقائق الأشياء. . . لأن الانحراف في ذلك جريمة علمية مميتة وهوة للجهل جد سحيقة.

خذ مثلاً الذين يكتبون محللين شخصيات مؤسسي الأديان العالمية الكبرى كموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، فإنهم إن كانوا من ذوي الحب والبغض التقليديين فإن كتابتهم لا تزيح غيوم الجهل ولا تكشف واقع المعرفة ولا تهدي إلى يقين العلم، بل تغشي الواقع بظلام المظلمين، وتغشيه بنزعاتهم المجرمة الدساسة.

على أنه يكفي أن ينظر قراؤنا في المؤلفات الدينية على اختلاف أديان المؤلفين ونحلهم فيما يتناولونه في كتاباتهم عن أديان الآخرين، فإنك ترى المدح المستطاب في ناحية، والقدح المنكر في ناحية أخرى، وقد يكون العكس هو يقين العلم.

ألا يجد القراء من يرفض أن يكون القرآن المجيد وحياً من الله تعالى، ويقيم من هذا الرفض ألف دليل ودليل من المفتريات والسخافات، بما ورث من كتب

دينية أسطورية ظاهرة السخافة، ويزعم أنها وحيّ الله الحق، ولا برهان له سوى الدجل والجدل والأسطورة.

وما أقام من أدلة رفض بها عصمة القرآن، لا مبرر لها إلا أنه يجهل العلم ويجهل ما يقول، ولا تجد لهذا من علة سوى الحب التقليدي والبغض التقليدي، وهذه هي البراهين التقليدية المتوارثة المتبعة المنطبعة في الأعصاب، ولا تتقدم بالعلم الإنساني لكشف المعرفة ولا قيد شعرة، ولا تهدم في صرح الجهل التقليدي ولا حجراً واحداً.

وأنت ما دمت إنساناً في هذه الدنيا تتوخى يقين المعرفة المناوئة ليقين الجهل، لتكون على بينة وبرهان وسلطان في ما تدين به أو تفكر به، فعليك بدراسة علم أصول دراسة الأديان قبل الإصرار على الإيمان التقليدي والكفر التقليدي.

بحث البراهين التقليدية

الأخذ بالبراهين التقليدية هو عدو المعرفة اللدود، لأن البراهين التقليـدية لا تنتج إلا ثمرة عجفاء، وفكرة منحرفة، وتخلفاً ملموساً، ووهناً مقصوداً يفضي بالإنسان إلى الأساطير، وبالحري حين تدعم بالخوارق والأحلام والظنون والأوهام، وهي تؤدي بالشخص أن يؤمن سبهللة بشيء في ناحية ويكفر به في ناحية - هو بـالذات - ولا يعـرف علة لماذا آمن ولمـاذا كفر، والسبب هـو التقليـد الأعمى المتوارث.

كالذي يؤمن بخوارق بوذا وعجائبه ويجحد بخوارق برهما، أو يرضى بخوارق موسى ويجحد خوارق المسيح أو محمد صلوات الله عليهم، لا لشيء سوى أن تلك الخوارق وصلت إليه من طريق الإيحاء الوراثي والتلقن التقليدي وهذه لم تصل إليه كذلك مع أن الجميع رووها عن آخرين عن طريق الآحاد، وكم يدخل من طريق الآحاد من زيادة ونقصان وأخذ ورد. . . وكما هو مشاهد في الأديان التي تستند مع طريق الآحاد وحده، على أن الأصح في كل ذلك، أن يعتمد الطريق العلمي اليقيني المحكم الوارد في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد، الثابت بالدليل العلمي القطعي المتواتر الجماعي.

الوحدة الدينية في العالم حقيقة ثابتة

أن كثيراً من من الباحثين الدينيين المحدثين يخالون أن الوحدة الدينية بين الأديان الكبرى الإلّهية أضاعتها الشروح والتأويلات وأوقار الأساطير والخرافات والخوارق التي دخلت عليها. . . ولكن لدى النظر الحر الناقد النزيه في أقدم المصادر الموثوقة بها لتلكم الأديان الإلّهية نجد الوحدة الدينية ماثلة رفافة ذات تألق وصفاء، وإن كانت بين سجوف، وسجوف، من هاتيك التأويلات والأساطير وهي لا تزول إلا بجهود علمية يقينية جبارة، من رجال خصوا أنفسهم لبناء الحضارة الإنسانية الحقة المشيدة على يقين العلم.

لذلك تجد الوحدة الدينية لدى الدراسة العلمية المحررة في صميم الأديان كافة وإن غشيتها ما غشيتها، وهذا أمر أكيد، لأن الله الأزلي واحد جل جلاله، والأكوان الحادثة هي مخلوقة له، والأديان السماوية الأكيدة موحًى منه جل وعز، لذلك يجب أن تكونَ واحدة، وما نجد من خلاف، إنما هو دس البَشر. . .

أجل إن الذين يؤمنون بوجود الخالق الأزلي، ويؤمنون بلزوم الوحي الإلّهي وضرورته يرون بعيداً كل البعد، أن الخالق العظيم يوحي أشياء متباينة متناقضة الحقائق، لما خلق في الأكوان وأوجد.

إن هذه الحقائق تجدها واضحة في دراستك لأسرار وجود الله ووحيه وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر، بما فيه من عالمي النعيم والعذاب.

وإن هذه الوحدة سنعرضها في بحث خاص بـالدلائـل القطعيـة العلمية، وبالبراهين الموثوق بها في نصوص الكتب الدينية المعتمدة لدى العلماء.

كيفية استخلاص الحقائق الدينية من المصادر الظنية

تقدم أن الاعتماد في العقائد، إنما يكون ببرهان الدليل القطعي اليقيني، إذ المعتقدات ليست سهلة، وآثارها في الناس ذات أعماق وتوجيهات، لذلك لا بد لها من اليقين. فإذا فرضنا أننا لم نجد في دين اليقين العلمي القطعي المبني على التواتر الجماعي، أخذنا بالظنيات بشروط...

١ ـ الرجوع إلى أقدمها.

٢ ـ طرح الشروح والحواشي والتفسيرات والتعليقات الخارجة عنها التي تزينها على علاتها.

٣ ـ تحكيم العلم والعقل مما وافق العلم والعقل، وهو المحكم، وما خالفهما وهو المتشابه الذي يجب طرحه، على أننا إذا وجدنا حقائق دينية من وحي الله اليقيني ثابتةً حملنا الظنيات في الأديان الأخرى عليها، وإن لم تحمل تركت لأنها تكون من المشكوك فيه المدسوس، ومسألة حمل النص الظني في دين على النص اليقيني الثابت من عزائم الأمور.

٤ ـ استخلاص الأحكام، يجب أن يكون من المحكم، وحمل المتشابه على المحكم واقع في حقائق العقائد الدينية وهو الأصل، ولا يجوز أن نأخذ بالمتشابه ونطرح المحكم جانباً.

٥ ـ يستفاد من النصوص الظنية عين العقائد أي في الأعمال الصالحة، وفي الهدى والخير والنفع الإنساني على أن البشر المتحضرين من العلماء يدركون ما يجوز نسبته إلى ذي العزة والسلطان رب العالمين في هذا الوجود، وما لا يجوز من سخافات وإفك وظنون وأوهام مضحكات وخوارق أحلام، كلها هواء في هواء.

كما قيل إن الله تصارع مع يعقوب إلى الفجر وغلب الله في النهاية يعقوب وهذا نص كله هول في العقائد المنسوبة إلى سيدنا موسى في العهد القديم وله أشباه ونظائر عد إليه.

ومن هذا القبيل حين حملوا النص المحكم لديهم وهو أن الله لا تسعه السَّمٰوات ولا سماء السَّمٰوَات أي لا تحيط بهِ جهاتها الست بل هو محيط بكل شيء، حملوه على النص المتشابه الذي ورد أن الله يسكن في السحاب وقيدوه به.

وكان الأولى العكس لأن القاعدة أن المتشابه هو الذي يحمل على المحكم والمطلق هو الذي يحمل على المقيد، والمنسوخ هو الذي يحمل على الناسخ لا العكس، ولو فعلوا ذلك لما وقع خلاف في الدين أبداً، وما أكثر أمثال هذه النصوص المتشابهة والظنية المشكوك بها لديهم، وقد أحصاها الدارسون في الأديان.

شروط استخلاص الحقيقة الدينية القطعية

لا بد لاستخلاص الحقيقة الدينية القطعية في أي دين من الأديان، من شروط. . .

١ ـ الاعتماد على المصادر الأولية القديمة الثابتة ثبوتاً قطعياً، فإذا لم يكن هناك مصادر قطعية نأخذ بالمصادر الثانوية الظنية ـ كما ذكرنا فوق ـ على أن الأخذ به إذا لم يؤيده البرهان العلمي القطعي، فلا يجوز بحال من الأحوال.

٢ ـ نعم نرجع إلى المصادر الثانوية وندرس أقوال العلماء الموثوق بعلمهم، الذين يعتمدون على البرهان العلمي القطعي، فإذا لم يكن هناك منهم أحد، عدلنا عن الأخذ، حتى يقيض الله من يحقق الأمر ببراهين العلم القطعي، والعلم في كل عصر يرفع الله جل وعز الحقائق الدينية بأهله العلماء المخلصين، نعم هناك طائفة من المنتسبين إلى العلم يأخذون بالمصادر الظنية رغم زلزلتها وقلقها وبعدها

عن الواقع بسبب المبالغة في الحب أو العناد أو الدس أو العصبية التي تخرج الدارس عن موازين العلم اليقيني. . .

أجل هم يبالغون كثيراً حتى يخرجوا عن نطاق الواقع العلمي القطعي، ويشوهون جمال الحقيقة الدينية الأصيلة بالأساطير والرؤى الوهمية والخوارق الآفكة أو المبالغ فيها، وقد تفلت عنهم بعض ذلك ثم طرحتها لمهانتها علمياً وواقعياً.

وأما المغرضون فقد يفعلون ما يفعله المحبون لعلمهم أن ذلك يبعد أهل العلم عن فهم واقع يقين الدين، وقد يزيدون في النصوص وفي تأويلها، مما يجعلها سخافة وفتنة وسبباً في طرح الدين كله.

والخلاصة أن فهم الواقع القطعي لا يكون عن طريق هؤلاء المخرفين، بل يتم بالبحث المتتابع عن يقين النصوص اليقينية من العلماء الموثوق بهم، بتحكم قواعد العلم والفكر. . .

كيف يكون الاعتماد على المصادر الموثوق بها علمياً

الوثوق العلمي القطعي شرط، والوثوق العلمي القطعي يجب أن يكون من **أقدم** المصادر في العلم اليقيني، وفي الوحي القطعي، وإن لم يكن كذلك فأية فائدة في **الاعتقاد** الديني والمسألة الدينية المعتقدة خطيرة جداً ومتصلة بأعماق المجموعة **النفسية**، لذلك يجب الإخلاص لها وبذل المجهود الفكري والعلمي لتصفيتها من **الأساطير** والخرافات التي تتكدس عادة حول الاعتقاد من هنا ومن هناك ومن هنالك **أي من** مكان الدس الخفي الممزق.

إذاً فالجد في التمحيص تقتضيه إنسانية الحضارة الحديثة، والعلم القطعي، **والسبب** أن الدس ما دخل في شيء بتصميم وإلحاد دخوله على الأديان والمعتقدات **لأنها** المهيمنة الموجهة إلى الأعمال.

لذلك لا يجوز أخذ الأحكام القطعية إلا من أقدم المصادر الموثوق بها علميًّا **بشرط** أن تكون نسبتها تليق بجلال الله، أي خالصة من زيادات الكهان وترهاتهم **وشروحهم** وقيودهم ولاهوتهم.

وكم، وكم، وصفوا ذات الله وصفاته بسخافات ومهازل وأنانيات تأباها آلهة

الأحجار والأبقار والفيلة المزعومة، فكيف بنسبتها إلى ذات رب العالمين وصفاته؟ يا لها من أخبار ملفقة من أفواه الكهان والسدنة، ومنسوبة إلى آحاد وآحاد، ضخمتها الأجيال بعد زمن المصادر العلمية القطعية في الوحي المنزل من رب العالمين.

والحب والبغض التقليديان هما السبب، ولكن والحمد لله إن العلم الذي هو وليد الحضارة الحديثة وأصول دراساته اليقينية... يرفض كل ذلك، وهذا شأن وحي الله القطعي.

والآن يجب على أهل الأديان كافة أن يكبروا الدراسة الحرة للأديان ويعتمدوا في تحريرها وتصفيتها مما دخلها من زيف واختلاط، حتى ضاعت المصادر الأصيلة الأولية وبقي هذا الزيف والاختلاط، أو تلاشت في ركام اللواهيت والتفاسير التي يدلي بها الكهنة وفق بواعث دنيوية ما أنزل الله بها من سلطان، ناهيك وللنزوات وآثامها وشرورها فسحة كبرى في هذا الزيف والاختلاط والعبث، على أننا لو نهض علماء الأديان الصادقون المنصفون وحرروا الأديان لعادوا إلى الوحدة الدينية التي أنزلها الله في خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد.

ولا نرى بعد ذلك أبداً عالماً ملحداً يؤمن بالصدف والأباطيل دون إيمانه بالله العلي القدير، إذ محال أن يؤمن عالم واحد بإلٓه يقتل أو ينزل على حمار أو يكون في بقرة أو ثور إلى غير ذلك مما هو موجود ومذاع في كتب كثيرة وأخبار مؤلفات.

بواعث تأسيس المذاهب والفرق
في الدين الواحد

لا ريب أن بواعث تأسيس المذاهب والفرق بين الدين الواحد كثيرة وهي قسمان خيرة وشريرة وإن كانت كلها في ظاهرها تعلن الخير تمويهاً وتدجيلاً لتزيين الأخذ بها، وتغري حتى يكون قبولها لدى السذج الإمعات من الجماهير وما أكثرهم حسناً حسناً.

وبواعث ظهور المذاهب والفرق سواء أكانت خيرة تهدف إلى البناء أو شريرة تهدف إلى الهدم فإنها طبيعية في أتباع الدين الواحد ودعاته المنتمين إليه صدقاً أو كذباً لأن حرية الإرادة الإنسانية التي فطر الله عليها الإنسانية طبيعية، ناهيك بالمصالح المختلفة والعنصريات الملحدة، والمواريث المتباينة، كلها باعث وتنافر ودس وتآمر. . .

وواضح أن الإرادة الإنسانية الحرة لها اتجاهان خيِّر وشرير، ومن هذين الاتجاهين تنبع الفرق والمذاهب والطرق في الأديان السماوية وسواها، ناهيك بالفلسفات والتصوف.

ونحن هنا لا نريد التفصيل فالبحث كبير جداً ومتشعب جداً سواء في الدين الواحد، أو الأديان السماوية، أو سواها.

وهدفنا الذي نحاول أن نتجه إليه هنا في هذا المؤلف هو وضع الأصول والأسس التي بها تميز بين الصالح والطالح والخير والشرير والعلمي والأسطوري. . . لأن الوعي العلمي العام لا يجعل أحداً من البشر ينقاد أعمى إلا

من أعمته بواعث الشر والأذى والكيد، أو بواعث الإهمال والتقليد أو بواعث الغفلة والبساطة والانقياد أو بواعث عدم المبالاة أو بواعث الإلحاد والكفر.

على أن مسألة نشوء الفرق في الدين الواحد مسألة شريرة جداً، إذ هي التي أحدثت بلايا الإنسانية وانقساماتها وضراوتها وحروبها وفتنها ومهازلها واستهتاراتها في هذا الوجود. كما أن نشوء المذاهب في الدين الواحد مسألة خيرة جداً إذ هي التي أحدثت فيهم الحق والهدى لذلك سنفرد فصلاً خالصاً لهذين الأمرين من الوجهة العلمية البحتة ذات البراهين القطعية...

أصول كشف الخير والشر
في المذاهب والفرق

الأصول هي:

١ ـ العلم الشامل اليقظ المخلص.

٢ ـ الاعتماد على النصوص الدينية اليقينية الأولية وحمل النصوص الظنية الفرعية الثانوية عليها، والبعد عن النصوص الشكية وطرحها. مع التعرف إلى شرورها في تأسيس الفرق.

٣ ـ تميز درجات ثبوت النصوص كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، العلمي والظني والشكي.

٤ ـ كذلك القول في مدلولات النصوص ودرجاتها الثلاث العلمي والظني والشكي.

٥ ـ الاعتماد في استنباط المسائل الدينية المقررة في النصوص على العلمي اليقيني الثابت والإشارة إلى الظني المحمول على النصوص اليقينية ليفهم الآخذون الأهداف الصحيحة ويتجهون في مسائل فهم الدين الاتجاه العلمي الصحيح ويكونون فيما يدينون به على برهان يقيني لا خلف فيه بين العلماء ولا هزء ولا سخرية ولا تهافت.

على أن الحق الذي يليق بجلال رب العزة في المعتقدات خاصة لا تخفى على علماء الحضارة المحدثين الذين انكشف لهم من أبعاد آفاق الوجود وسهوب الكائنات ما هو مذهل كل الذهول ومما هو مدهش كل الدهشة، وما دام حبل

الحضارة ممدوداً وأسبابه متواصلة والعلماء يلاحقون كشوفات الفضاء ومعارف الطاقة الروحية الكائنة في هذا الوجود وحدوثها وأزمانها وأمكنتها وذواتها، فإن الحق لا بد أن يأخذ نصابه، ولأن الحقيقة المشرقة لا بد أن يراها كل أعمى ويسمع نداءها كل أصم. . . !!

وهذا معمول به الآن لأن علماء الحضارة طرحوا كل شيء وراء ظهورهم وأقبلوا على الحقائق العلمية اليقينية الثابتة بكل معارفهم وأدوات بحثهم ومختبرات علمهم وآلات غزوهم لبحث علوم الفضاء التي هي من علوم رب العالمين في هذا الوجود.

ولا يسعنا إلا أن نقول، اللهم اكثر من هؤلاء العلماء الأحرار الأبطال الإنسانيين. . .

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وكلمات الله أي مخلوقاته التي أبدعها وكوّنها هذا التكوين العجيب، لا مبدل لها، ولكن العلم الذي يتطور ويصعد إليها هو الذي يتبدل حتى يصل إلى يقين الوحي لأن حقائق العلم التي نص عليها في وحيه القطعي المتواتر يظل هو هو. وعلم الإنسان يتطور ويتجدد حتى يصل في النهاية إلى الحقيقة التي نص الله عليها في محكم آيات وحيه القطعي.

فإذا وصل إلى الحقيقة اليقينية ثبت، وحينئذ لا يتبدل ولا يتغير هو أيضاً لأنه مبني على علم الله وعلم الله لا يتغير ولا يتبدل هو، هو، أزلاً، وأبداً. . .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

الاعلان والكتمان

لا ريب أن الإعلان في الأمور الدينية وسواها آية الصدق والإخلاص، لأن الكتمان يدل على مرض في النفس وأذى في الوضع ونية مبيتة ودس أفكار لا صلة لها بالروح الاجتماعية الاعتقادية لحياة الإنسان ولا نفع لها ولا فائدة منها بل تجزىء الإنسانية إلى أجزاء وبيلة وتجعل كل جزء ينضوي إلى نفسه ويعيش عيشة الانفراد والتكتل ضد الآخرين.

ومن أجل ذلك جاء النهي العظيم عن التكتم في الأديان الإلٓهية المنزلة من رب العالمين وراحم الخلق أجمعين، وهنا أعرض إليك بعض ما جاء في خاتم الكتب السماوية القرآن الكريم في هذا الأمر...

١ ـ الكتمان مع العلم بالحقيقة، وفي ذلك يقول الله تعالى...

﴿ٱلَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٢ ـ الكتمان للتجارة والربح الخاسر، وفي ذلك يقول الله تعالى...

﴿إِنَّ ٱلَّذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَليلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ولاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٥].

٣ ـ الكتمان أياً يكن باعثه فهو يستحق اللعن وفي ذلك يقول الله تعالى...

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ والهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٤ ـ والذين يكتمـون العلم ويظهرون سواه، هم الذين يتحدثون إليك بكلمات معسولة وفي قلوبهم وخز الإبر وسعير النار ضد الحقيقة، وهم المنافقون على كل حال، وهم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، ويلبسون الحق بالباطل، أولئك هم سخرية أهل العلم في الدنيا، وسخرية أهل جهنم في الآخرة، وهؤلاء على كل حال هم في عملهم هذا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان، وفي ذلك يقول الله تعالى فيهم. . .

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

٥ ـ والمقصود أن الوحي الإلّهي ينزله الله للإعلان والبيـان للناس كـافة، ولجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، وكتمانه بهتان عظيم لأنه يخفي المسبب الذي من أجله يريد الله إسعاد الخلائق، ولا بهتان أكبر من ذلك، وهل في الدنيا لدى أهل العلم الأعلام من إعلان ما ينفع الناس وينهض بهم ويسمو بـأخلاقهم ويهـذب نفوسهم ويصلح ذات بينهم.

وعملهم هذا المنافي ليقين العلم هو إلباس الحق بالباطل الذي نهى عنه الوحي الإلّهي: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] والكتمان ضد التبليغ. . . وفي ذلك يقـول الله تعالى. . .

﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ويقول رسول الله ﷺ تحذيراً من كتم العلم وعدم نشره والدعوة إليه بين الناس. . . «من سُئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار». رواه أبو داوود والترمذي والحاكم. كما يقول عليه الصلاة والسلام «تركتكم على نقية بيضاء ليلها كنهارها».

والنِّحل التي تدار في السر تكون عادة مؤامرة ضد الدين الذي يدعون باسمه

كما قال الحواري بولس «ويل من الإخوان الكذبة» لأن الكذبة هم الذين يمهدون السبيل لكتمان حقائق العلم وإذاعة الفوضى والانقسامات والتحاقد والتخاصم.

هذا ما كان في الأديان السابقة وكان سبب إحداث فرقها ونحلها الكثيرة، وهذا ما حذرنا منه رسول الله ﷺ في خاتم الكتب السماوية، فلا بد من اليقظة والانتباه والإعراض عن المنافقين الممزقين.

طبقات النصوص الدينية

طبقات النصوص الدينية التي تناقلتها وتتناقلها الأجيال لا تخلو من حالات ثلاث. . .

١ ـ عليا: وهي النصوص العلمية اليقينية.

٢ ـ وسطى: وهي النصوص الظنية.

٣ ـ سفلى: وهي النصوص الشكية.

وليس وراء هذه الأقسام الثلاث إلا النصوص الظاهرة الافتراء والدس، لأن النص إذا لم تقم حوله دلائل تثبت وروده بصورة يقينية أو ظنية أو شكية تأكد كذبه وافتراؤه بصورة واضحة مكشوفة.

والنصوص إذا لم تميز وتعرف درجاتها اختلط بعضها مع بعض وفي هذا الاختلاط مصيبة لا تعدلها مصيبة، لأن نصوص الوحي الإلّهي ينزلها الله جل وعز وفق مقتضيات الإصلاح الإنساني العام، والتطورات السارية وفق السمو الخلقي الحضاري الإنساني العالي، وتحقيق العدل المطلق، فأي نص دخيل يتسرب إلى وحي الله اليقيني يحدث بلبلة واضطراباً ويصرف وحي الله عن أهدافه العليا، فنراه يقيد المطلق ويطلق المقيد، ويحرم الحلال، ويحلل الحرام، ويوجب المباح، ويبيح الواجب، ويدس العقائد الوثنية والإشراك وأساطيره فيه، وكل ذلك يفضي بالشباب المفكر الواعي إلى الإلحاد، لأنه يرفض أن يعبد مخلوقاً يساويه أو دونه.

وهذا هو السبب الوحيد الذي يفضي بأهل الدين الواحد إلى الاختلاف

والشقاق والتنابذ. ولا ريب أن تبعه إلقاء صَغارهم على وحي الله هو جريمة كتمان الحقائق المعلومة الصارخة في النصوص اليقينية، لأن وحي الله كله خير، لا شر فيه، ونور لا يخالطه ظلام، وهدى لا يقترب منه ضلال.

المدح والقدح الطفيليان التقليديان

لم يكن المدح والقدح الطفيليان التقليديان طامساً لواقع وحدة الوحي الإلهي في عالم الأديان فحسب، بل تجده طامساً لمعالم التاريخ ومعارف التكوين، بل وكل معارف الإنسانية.

نعم إن طمس معالم كنه واقع معرفة الوحي الإلهي له أضراره البالغة في هدم قواعد الوحدة الإنسانية، وله بلاياه في تمزيق المجتمعات وتغاير النفوس وتناكر القلوب، أكثر من طمسها لمعالم الحقائق الأخرى من تاريخية وفلسفية وسواها.

إذ أن مفهوم طمس معالم الحقائق الدينية، ولو كانت واحدة كالأديان السماوية، يفضي إلى التناقض لدى الدارسين السطحيين وجعلها محلاً لسخريتهم وتندّرهم، أو مجلاً للإفساد الديني بين المعتقدين في الأديان.

وإذا علمنا أن طريق إثبات الأديان العالمية الكبرى جميعها واحدة لدى أهلها، وهي نقل الخوارق والعجائب الأسطورية وإعلان نسبتها إلى المؤسس الأول أو تلامذته ورواياتها عنهم جيلاً فجيلاً، فيجب إذن أن نعلم أن هناك طريقين، أحدهما طريق التواتر العلمي الجماعي القطعي وثانيهما طريق الآحاد الظني الذي هو لا يثبت العقائد القطعية بل يثبت ما هب ودب من عقائد شتى ما أنزل الله بها من سلطان...

ومن جراء ذلك دخل ما دخل من وسائل الإفساد والخلف والتناكر والتناقض

بين حقائق الأديان الموحاة من رب العالمين بسبب المدح والقدح الطفيليين التقليديين المنبعث عن الأنفس المرضى الغاوية الجاهلة، دخل ما دخل من طريق الظنون والأوهام والدس والأسطورة.

وهذا هو السبب البين في تعدد الآلهة وعبادة الأرواح وتأليه المنافع والمضار بل وعبادة الشيطان، وما كان من هذا القبيل المزري المضحك.

أجل كل ذلك يعود إلى سبب المدح والقدح الطفيليين التقليديين المنبعثين عن الأهواء المتهافتة الهوجاء، ولا ريب أن كل الأديان الصحيحة حذرت من القدح والمدح التقليديين الطفيليين المنبعثين عن أهواء الأنفس المريضة ونزواتها المزرية، ومهما يكن فالحق له مظاهره وبيناته، وكذلك الباطل.

وهنا نعرض بعضاً من هذه النصوص التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في خاتم الوحي الإلّهي إذ كلها ترجع إلى مشكاة واحدة، ومنبع نور واحد، وهو إعلان الحق وهدم الباطل، وعبادة الله وحده جل وعز دون ند أو شريك. . .

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ النَبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلَّا الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدىٰ ٱللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وٱللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصارىٰ لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذٰلِكَ قَالَ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

ومهما يكن فحرية العقيدة مضمونة لأن الحساب على بطلانها والأخذ بها إنما هو على الله سبحانه وتعالى مؤجل. . . ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وخير ما نختم به هذا الفصل هو قوله تعالى الذي يكشف أن الحقيقة واحدة، ولو حاول أصحاب القدح والمدح التقليديين تغيير معالم الوحدة المنزلة في الكتب السماوية القطعية كافة. . .

﴿الٓم. ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ. مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

ومهما يكن فحكم وحي الله القطعي يفرض الأخذ بالقسط في كل شيء دون الأخذ بمبالغات المدح والقدح التقليديين، فما بالك في دلائله. وفي ذلك يقول الله جل جلاله. . .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

أجل يجب الوزن للأخذ بالقسط في دلائله سواء أكنت ممن تنتمي إليه أو إلى سواه، وبذلك تستقيم الأمور بين الأفراد والجماعات، وتتقدم الحضارة وتسمو ويطرح المدح والقدح التقليديان تحت أرجل العلماء وكذلك من يمارسه ممن يكتبون أو يقرأون.

وهكذا يسود عدل الأخذ بالقسط في كل شيء بين الأمم والشعوب وأفرادها وجماعاتها دون زيادة أو نقصان سواء أكان لهم أو عليهم، وبذلك تستقيم الأمور. وانظر هذا النص المعجز المصلح المنزل في خاتم كتب السماء القرآن المجيد مضافاً إلى النص الأول. . .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

والآن علينا أن نعلم أن مسؤولية المدح والقدح الطفيليين التقليديين خطيرة، وهي ذات بلاء كبير، وأهل العلم يرفضون تجاوزها ويلتزمون بميزان العدل في كل شيء.

الخلاصة

والخلاصة، أننا نجد أثر المدح والقدح الطفيليين التقليديين، متفاقماً، وعاتياً ظالماً وساحقاً مبيداً متلوناً في الأحاديث المنقولة حول حقائق الأشياء، فكل من

تحدث عن دين أو عقيدة أو ملة أو فلسفة إنما يتحدث بهذين الباعثين الهدامين الضارين.

أجل شاهدنا أن كل دعوة في الأرض مُصلحة منزلة من رب العالمين قطعية يتهجم عليها المفسدون ويحاولون هدمها وتغيير معالمها وتقويض حقائقها.

خذ مثلاً الأراجيف التي أضيفت إلى مؤسسي الأديان العالمية الكبرى في الشرقين الأقصى والأدنى...

هذا بوذا رفعته ملايين من البشر إلى درجة أنه هو خالق الكون والوجود، وحطته ملايين من البشر إلى درجة الأبالسة، والفاهمون أنه مصلح ديني هم قلائل جداً سواء من البوذيين أنفسهم أو ممن سواهم، وسبب هذا التباين المخيف المتناقض لروح واقع المعرفة والعلم هو المدح والقدح الطفيليان التقليديان.

والأولون يبالغون في المدح ويضيفون الخوارق والغرائب التي تعزز مكانته لديهم، والذين فرضوا أنفسهم أعداء يضيفون الخرافات والأباطيل ويبالغون في التحقير.

إلا أن المدح والقدح الطفيليين التقليديين هما اللذان طمسا واقع المعرفة وحقائق الأشياء قديماً وحديثاً، فلنحذرهما كل الحذر ونحكم الوحي القطعي المتواتر المنزل من رب العالمين جل وعز، وكفى به برهاناً يقينياً حاسماً لكل خلاف وتنابذ وتصارع.

البحث في كتب الوحي المقدسة المحفوظة لدى أهل الأديان

لا ريب أن البحث في الكتب المقدسة المحفوظة لدى أهل الأديان كافة، هو واجب ديني قبل أن يكون واجباً علمياً، على أن الواجب العلمي هو واجب ديني يثاب الباحثون فيه ثواباً يـربو على الثواب في العبادة بمراحل لذلك فإن البحث العلمي يزيح أغشية الجهل المظلمة ويبيد أسباب الأحقاد والعداوات، لأنه يكشف واقع المعرفة، وكم من منافع للإنسانية في كشف واقع المعرفة، وكم من خير وكم من هدى، وكم من مثوبة لدى الله سبحانه وتعالى.

ولولا البحث اليقيني الحر الخالص من أجل تحرير الحقيقة وتباينها ببراهين العلم القطعي لما خلصت حقيقة من شوائب الدس، ولا وحي، ولا ملة.

انحراف الفرق نتيجة الأخذ بجزئيات الوحي

وحي الله تعالى وحدة لا تتجزأ في يقين الإيمان وفي كلياتها وجزئياتها المنزلة من رب العالمين، لتحرير البشرية من كل وثنية، ومن كل إشراك ومن كل إلحاد، لأن كل أولئك ثمرة الأخذ بالجزئيات وتأويلها ووضع مدلولات ومفاهيم لها باعثها في إضمار الشر والكيد لكلياتها الأصيلة الجامعة.

أجل إن من الأمراض الخطيرة التي دخلت على الأديان، التعلق بمدلول آية لها معنى متدرج تحت قاعدة كلية، ونسيان ذلك الاندراج كالآيات التي تعلقت بها الخوارج، فإنهم نسوا الآيات العامة التي تحرر الحقيقة الكلية، وتبطل كل زيف لحق بالجزئيات أو أضيف إليها. وإذا أردت التوسعة في الاعتماد على الجزئيات وطرح الكليات، فعد إلى كتاب الإمام الرازي «حجج القرآن» الذي ينقض الانحراف بالجزئيات، وكذلك لو عدت إلى كتب الملل والنحل، والفرق وهي كثيرة، تجد توسعة لذلك. . .

هذا في العقيدة الإسلامية والوحي المنزل على خاتم وحي الله، ولا شك أن ما حصل في الإسلام قد حصل في اليهودية والنصرانية والمجوسية وسواها، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

فيجب على أولئك أن يحرروا يقين عقائدهم وكلياتها ولا يلتفتوا إلى الجزئيات المدبرة بكيد أعداء الدين الذين هم لا همّ لهم إلا زرع الفتن والفساد..

ومتى فعلوا ذلك انفتح لهم طريق وضيء إلى الإيمان بخاتم الوحي الإلّهي، وحينئذ يلمسون بحواسهم الخمس أن دين الله واحد ولا خلف فيه أبداً، واتعظوا بآيات الوحي المنزل المعجز، وإن كانوا من أهل العلم. . .

﴿إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لِلّه أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً والَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ. . .﴾ [الشورى: ١٣].

ومهما يكن فحسبنا أن نقول ما قاله الله الحق، لكل من ينشد الحق ويحن إليه ويجاهد من أجله ويناضل. . . ﴿أَلَا لِلّهِ الدِينُ الخَالِصُ﴾ [الزمز: ٣].

أي الخالص من الزيادة والنقصان والتأويل والتخريج. . .

أجل في وحي الله كليات مندرجة تحتها جزئيات، فاعتماد الأخذ ببعض الجزئيات دون البعض هذا بلاء كبير وفتنة مخيفة، أفضت إلى وجود الفرق الهدامة وجعلت الداعين إليها يعتمدون على الجزئيات دون الكليات يؤولونها حسب أهوائهم وإلحادهم ويجعلون للألفاظ معاني مصدرها ما في نفوسهم من الانحراف كالذين يزعمون أن الله جل جلاله هو جسم يروح ويغدو في السماء وخلفه الملائكة موهمين أتباعهم أن ذلك هو حقيقة خاتم الوحي الإلّهي مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وما علموا أن هذا النص هو مجيء أمر الله يوم القيامة والملائكة صفوف صفوف خاشعة. . . وهكذا، كلما رأوا لفظة تدل على اليد أو العين استدلوا بذلك أن الله جسم كائن في الوجود، يصرفه كيف شاء.

وإني سأذكر كيف أن الأخذ بالجزئيات ضار وهدام ومقوض للوحي الإلّهي دون إرجاع الجزئيات إلى كلياتها الصحيحة التي تلقي الضوء على الحقيقة وتكشف الرؤية البينة.

وهذا الأمر خطير وعسير، فعليّ أن أدرس كل أديان الدنيا لكي أدرك كلياتها الحقيقية والجزئيات الشاذة التي التمسها الممزقون من أجل تمزيقها وتكوين الفرق الهدامة حولها.

نعم هو جهد كبير وعظيم الفائدة لو استطاع العلماء المصلحون من أهل الأديان الذين يريدون كشف الحقائق فقط دون حجب أو تمويه أو تشويه، ولو كان مؤلماً، لأن الحق أولى وأجدر بالعناية والرعاية، وهو شأن علماء حضارتنا الحديثة الذين يتعقب بعضهم بعضاً للاهتداء إلى الحق، وأقرب مثل لذلك كشف الجاذبية بسقوط التفاحة، فلو وقفوا عندها ولم يبحثوا عن الجاذبية كحقيقة كلية في الوجود لما انكشف للعلماء كل هذه الحقائق الهائلة حولها.

وهذا شأن كل حقائق العلم وشأن كل حقائق التاريخ والأديان، والعلماء الأحرار الأمناء الصادقون لا يقفون على الجزئيات فحسب بل ينطلقون بها إلى الكليات، وبذلك يتم سؤدد السلام بين شعوب البشر، وتعلو وحدتها وسلامها، وتتعاون كافة على كشف حقائق الوجود... وهنالك تظفر بالإنسان الإنسان، الذي تبكي من أجل وجوده العلماء وتنتظره بفارغ الصبر وإلا فأي قيمة لحياة البشر إذا خرجوا من هذا التراب إلى ظلمات أنفسهم وسيئات أعمالهم وشرور مذاهبهم وطغيان إفكهم وتحاقدهم وعاشوا على سوء نية وطوية بعضهم تجاه بعض، وهم يحملون أوزارهم وظلمات أنفسهم وعادوا بها لعنات إلى التراب، فماذا صنعوا للحياة والإنسانية؟ وماذا أبقوا ذكرى لهم؟ ألا يقول الناس إن بعض أتربة الأرض لم تخرج خروج النبات الطاهر لتغذي الناس بل خرجت إليه محدثة فيه الخبائث وسوء النيات وتنافر المبادىء وتخالف الوجهات والتصارع بالحروب والفتن والأحقاد والاغتيالات، ثم عادوا إلى التراب فأُنزلوا فيه بقذارة أنفسهم ونتانتها وخبثها بعد أن كان طهوراً، فماذا يقول العلماء الأحرار في ذلك؟!!!

وأعجب ما سمعته من الفكاهات المضحكة أن إنساناً لم يجد الماء فأراد أن يتيمم لقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ [النساء: ٤٣] فإذا برجل يصرخ لا تتيمم في هذا المكان فقد دفن فيه فئة مرضى بنفوسهم وأخلاقهم وعقائدهم، فتخبث بخبثهم، وتنجس بنجاستهم...

ومهما يكن فإن خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد حذر من فتنة الأخذ ببعض الوحي دون البعض واعتبر ذلك خروجاً عن الإيمان المقصود من إنزال الوحي ما دام منزل الوحي هو الله جل جلاله فإن الحكم به واحد ولا يجوز أن يكون بالأهواء، فمن يترك بعض الوحي ويأخذ ببعض، فهؤلاء يجب البعد عنهم والحذر منهم، لأن

القرب منهم فتنة وبلاء... اقرأ وفكر ما جاء في خاتم الوحي الألهي في هذا الشأن...

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

وكذلك جاء مثل ذلك في الآية التالية...

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ آللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦].

ولا ريب أن الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقاً لأن فعلهم هذا تآمر على صحيح الوحي، إذ لو آمنوا حقاً لما فعلوا. فكر طويلاً في قوله تعالى...

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ آللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً. أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

والذي أحب أن يظل عالقاً في عقول ذي المعرفة هو أن الله منح حرية الإرادة للبشر، وحرية الإرادة ينشأ عنها الخلف، وبالحري فهناك شياطين الإلحاد الذين كفروا بالأديان كافة هؤلاء يتبادلون الآراء والأفكار الشريرة ضد الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا ظاهر في آية خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد...

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] وهؤلاء لا يصغي إليهم ولا يتبعهم إلا أمثالهم من الملاحدة الذين يكفرون بالبعث...

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]. والذي نفيده من هذا البحث، أن المؤمن الحق الصادق لا يؤمن بجزء منه دون جزء آخر بل يؤمن بالكل دون عبث وتهاون، ودون انحراف وزيغ. وهذا هو الإيمان الصحيح الحق.

تماثل البراهين

والباحث الديني المفكر هو الذي يدرك تماثل البراهين ووحدة الدلائل، فإن كان يهودياً مؤمناً بعصمة موسى، لأنه ثبت لديه من طريق الرواية، إذ جرت على يديه الخوارق التي تدل على العصمة، فإنه أيضاً يكون مسيحياً، لأن نفس الطريق أثبت للمسيح الخوارق ويكون أيضاً مسلماً لأن تماثل البراهين ووحدة الأدلة توجب الإيمان الموحد المحرر.

وتماثل البراهين لا يفطن إليها ويعنى بها ويذعن لها ويقدرها إلا العلماء المحررون الذين لا يأخذون بما يضاف إلى البراهين المتماثلة من تقاليد وخوارق وتأييدات وأوهام وظنون لأن وجهتهم هو العلم اليقيني والوحي اليقيني، وما دام الوحي اليقيني أثبت أمراً وسانده العلم اليقيني فالانحراف عنه يعد انحرافاً عن الواقع الثابت لدى أهل العلم جميعاً.

وهذا في مذهب العلماء المحدثين خروج عن مناهج العلم والحق والإنسانية، وما أقيمت الجامعات في العالم والمختبرات المشاهدة والتجارب إلا لأجل الاعتماد على البراهين المتماثلة والأخذ بها لأن العلم هو العلم، ولأن الحق هو الحق، وما حاد عنه إلا البلهاء الذين لا يهمهم إلا تقاليدهم وخوارقهم وأوهامهم وظنونهم وإن لم يكن لها من يقين العلم من لمعة خير أو وجهة برهان.

الكتب المقدسة المترجمة

لا يعتمد في هذا العلم، على دراسة الأديان إلا على أصول الكتب المترجمة، لأن الترجمة تحيد بالكاتبين عن الأصل في كثير من المواطن، وبالحري إذا جابهت أهواءهم ونزعاتهم، أو لم تتفق مع مكاسبهم.

وإذا فقدت الأصول الأولية الأصلية المتلقاة من الداعي الأول للدين ولم نجد لها أثراً إلا الرواية المترجمة، وهنا ينظر إلى الرواية إما أن تكون رواية أفراد وآحاد منذ اللحظة الأولى، وإما أن تكون رواية جماعات عن جماعات يؤمن تواطؤهم على الكذب.

فالمترجمون الأول أقوالهم ورواياتهم يدخلها الظنون، والظنون لا يعطي يقين العلم القطعي الثابت، وبالحري في العقائد، فإنها تشوشها وتزيد وتنقص فيها، وهذا بلاء كبير. وأما المترجمون للنصوص بالإجماع العلمي القطعي فهذا يؤخذ به، فالعلماء الذين ترجموا القرآن المجيد الثابت بالتواتر، وأقر في المجامع العلمية واعتُرف به أنه حق لا زيادة فيه ولا نقصان، فهذه التراجم يؤخذ بها لذلك إذا ثبت لدى العلماء أن هناك كتاباً إلّهياً منسوباً إلى داعية من الدعاة بواسطة جماعة كبرى يؤمن تواطؤهم على الكذب أخذوا به في العقائد وإلا عادوا إلى ما هو من هذا القبيل في الدين.

إذاً فلا بد من دراسة اللغة المترجمة بها الكتاب في عصورها الأولى تماماً ومعرفة دلائل ألفاظها وطرق التعبير بها مع مراعاة العلم والعقل لأن كلمة واحدة

تترجم بغير مدلولها المقصود لله تعالى تفضي بانهيار حقيقة الدين وتهدم مثله العليا، في العقائد الإلّهية الخاصة بوجود الله ووحدانيته وصفاته وكل ما يليق به جل وعز.

خذ مثلاً ترجمة لفظة (رب) بالعبرية إلى اليونانية في العهد القديم معناها في العبرية بمعنى معلم لا رب ومعنى إلّه، قال الرب لربي، فترجمت هكذا قال الإلّه لإلّهي، إذ فيه تأليه المخلوق، وأما قال الإلّه لمعلمي لا شيء فيه، وشتان ما بين المعنيين. . .

ولا ريب أن الكتاب المقدس المترجم لأهل أي دين يفتقر أيضاً إلى النظر في أصول نصوصه، فهل هي علمية يقينية أو ظنية أو شكية ولكل مقدار من الحق والعلم والوعي والفهم لذلك ينبغي للباحث الديني قبل أن يعتمد على النصوص التي سيدلي بها ليؤدي بحثه بمنطوقها ومفهومها أن يكون ملماً بالعلم اليقيني والوحي اليقيني وبأصولهما المعتمدة لكي لا ينحرف بمدلول الألفاظ إلى هاوية الظنون والأوهام والأساطير والترهات، وإن لم يفعل ذلك جاء بحثه بعيداً عن واقع العلم اليقيني ومرفوضاً لدى الدارسين بأصول الأديان على الوجه الصحيح اليقيني.

الجهاد لكشف العلم اليقيني

لا ريب أن كل جهاد خاسر لا محالة، إلا الجهاد لكشف العلم اليقيني والوحي اليقيني، فإن هدى الإنسانية وصلاحها وسعادتها وصعودها الحضاري وقف على هذا الجهاد، وهذا الجهاد هو المطلوب في الشرائع والفلسفات، لأنه يهدي إلى يقين الإيمان الصحيح في كل شيء، وهو الجهاد الخاص بكشف عقيدة الإيمان بالله مكون الوجود الحق.

وفي التنويه بقدر الناهضين به يقول الله عز وجل. . .

﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] لأن جهاد تحقيق الإيمان والاهتداء إلى صحته وقوامته ويقينه هو الجهاد الخاص بصدق العقيدة بالله جل جلاله، وهذا الجهاد هو جهاد الإحسان الذي قال فيه رسول الله ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أي هو جهاد لا يكون إلا بالوحي الصادق الصحيح اليقيني المنزل من رب العالمين بطريق التواتر القطعي العلمي، وهو ماثل في القرآن. لذلك من جاهد لكشف الحقائق الاعتقادية وسواها بالقرآن فقد وفق إلى الجهاد الصحيح الهادي إلى صدق العقيدة ونورها، وهذا الجهاد هو الهادم لكل العقائد المنحرفة الزائغة عن عبادة الله، والهادم لدعاتها كذلك.

﴿فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢] وهذا الجهاد هو المقصود في قوله تعالى. . .

﴿وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هٰذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَىٰ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةِ وَآتُوا الزَّكَاةَ واعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج : ٧٨].

نعم سيدنا إبراهيم عليه السلام جاهد لتحرير العقيدة من المخلوقات من أصنام وأوثان وبشر وحيوانات وسوى ذلك فكانت ملته هي ملة الحنيفية السمحة، ومن آمن بها فقد أسلم نفسه وروحه إليها وهذا هو الإسلام في معناه الاعتقادي.

وإذا عدت إلى حقائق العلم القطعية في هذا الوجود فإنها جميعاً تهدي إلى هذا الإيمان الذي نادى به وحي الله جل وعز على لسان رسله الكرام، فاطرح الأوهام والظنون والريب وكل ما يقال من هنا وهناك بدون برهان وعلم يقيني، اطرح كل ذلك وأقبل على يقين وحي الله المنزل في خاتم كتب الله فإنك تجد فيه كل أمنيتك في إيمانك بالوحي اليقيني.

نعم إن كشف العلم اليقيني المحض، هو هدف الإنسانية التقدمية المتطورة الصاعدة في العالم كله.

والجهاد من أجل ذلك متواصل لدى كل أمة، والتضحيات التي تقدم لهذا الأمر وافرة وما وصلنا إلى المعلومات التي نملكها عن حقائق الوجود إلا بفضل الجهاد الجاد المتواصل في سبيل العلم اليقيني المحض.

وما قدمه كشف العلم اليقيني للإنسانية من مكاسب وأمجاد وخيرات وحضارة وتقدم وسعادة لا يدخل تحت حصر.

وكم تخلفت الأمم عن كشف مجاهل الوجود قديماً، وكم جر عليها ذلك التخلف من أحقاد وحروب وجرائم واستهتار بحقائق العلم، ودسٍّ عليها، وتقولات وافتئات وترصد ومخازي وأمراض بسبب الاستهتار بقيم العلم وإهماله، وإنفاق الأموال وقوى الحياة والذكاء والعواطف في سبيل الشهوات الزائلة والملذات الوهمية المنقضيّة..!!

ولله صدق الجهاد بتقديم التضحيات وبذل الأنفس والأموال في سبيل واقع

العلم اليقيني المحض فيما نأخذ أو ندع في هذه الحياة من أشياء، ولا ريب أن واقع العلم اليقيني المحض هو الذي اكتشف في هذا العصر عوالم الطاقات وهدم المادية المجرمة، كما كشف صدق آيات الوحي الإلٰهي المنزلة في خاتم الكتب السماوية، وكل هذا واضح وبيّن للدارسين المتوغلين في كشف الحقائق، ويحسن أن نتدبر قول الله تعالى في هذا الموقف بالآية المعجزة التي تأمر بوجوب النظر والفكر والعلم . . .

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ والأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] ولا ريب أن المعرضين عن النظر في آيات الله هم في كل أمة عوامل الهدم والإلحاد والمرض والفساد والتخلف والاستعباد، وهؤلاء هم الذين يطرحون حقوق واقع المعرفة الإنسانية وراء ظهورهم ويسخرون منها ويدوسونها تحت أقدامهم، لأنهم يرون ما في أنفسهم وما نشأوا عليه هو واقع العلم اليقيني في كل شيء.

وصفوة القول إن هؤلاء هم الذين يعتقدون أن الحياة متعة جسد لا متعة نفس وروح، ولو ظل هذا الاعتقاد سائداً على المجموعات النفسية الإنسانية، لأمسى البشر فصيلة من فصائل الحيوان يعودون إلى الغابات، ويأوون إلى الكهوف والمغاور.

وهذا هو خسران الإنسانية الأكيد، الذي هو وليد إهمال الغرائز وإرسالها، وهذا الخسران لا يكون كبته إلا بهدى العلم والدين والخلق، وإذا لم يكبت بذلك فإنه يفضي إلى الهلاك المبين.

وحسبنا أن نختم هذا الموضوع بسورة العصر المباركة. . .

﴿وَالعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

المصالح الأساسية في كل الأديان

المصالح الأساسية المشتركة في الأديان السماوية هي أربع: . .

١ ـ الإيمان بالله موجد الأكوان.

٢ ـ الإيمان بصاحب الرسالة الدينية الأول في كل دين.

٣ ـ الأعمال التي تؤدي إلى سعادة الدنيا.

٤ ـ الأعمال التي تؤدي إلى سعادة الآخرة.

وإليك تفاصيل ذلك. . .

١ ـ الإيمان بالله موجد الأكوان.

موجد الأكوان هو الله الأزلي جل وعز، الذي لا يشابه الأكوان ولا تشابهه، الواحد القوي الخلاق العليم.

وهذا الإيمان بهذا القدر موجود في كل الأديان السماوية التي لم يدخلها تحريف أو تبديل. إن وجد في بعضها نصوص تجعل الذات الإلّهية طاقة روحية أزلية تحل في ذوات الأكوان أو في سواها من الأمكنة المزعومة والأزمنة، أو تنسب التكوين إلى آلهة كثيرة فذلك نتيجة للتحريف والتبديل ودخول الأساطير والأوهام والظنون على حقيقة الوحي الإلّهي الأصيل، وقد تبلغ صور تعدد الآلهة وأساطيرها في أنفس السذج البدائيين إذ يقول الله سبحانه وتعالى. . . فيهم.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُم وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَجَعَلَ

الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٤، ٥]. ويؤيد ذلك ما جاء على لسان يوسف. . .

﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. طبعاً هو عجاب في أنفسهم لأنهم يشاهدون شخوص آلهة كثيرة لديهم ولدى أهل الأديان الأخرى من بشر وحيوانات ونبات ومياه وجماد فكيف يتصور أن تكون كلها بهذا العدد الكثير إلّهاً واحداً.

والحقيقة أن العجب من جهلهم المزري وتفكيرهم الوضيع لأنهم لم يفرقوا بين الخالق والمخلوق وبين المصنوعات وصانعها الواحد الأزلي الذي لا تماثله في شيء، ألا تراهم إذا ذكر الله وحده كيف تشمئز قلوبهم. . . أنظر قوله تعالى. . .

﴿وإذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّـذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ وإذَا ذُكِرَ الذينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وهما تلمس المعجزة الصارخة في نص الآية إذ يقول الله تعالى اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، فأنت تعجب حين تسمع لفظ لا يؤمنون بالآخرة، ولعلك تقول لماذا قرن الله جل وعز اشمئزاز قلوبهم بعدم إيمانهم بالآخرة؟

ذلك لأن الإيمان بالآخرة يقتضي الإيمان بالبداية، والبداية تفرض أن يكون لذي أوجد الكائنات هو الله الواحد، وليست ذوات الأكوان التي عبدوها وألهوها، وهكذا لو آمنوا بالآخرة لآمنوا بالبداية لأن الله هو الذي أوجد الوجود، وحينئذ تفرح قلوبهم بوحدانية الله وتصفو وتسعد.

والخلاصة أن الإيمان بموجد الأكوان رب العالمين الواحد الأحد، هو إيمان رسل الله جميعاً، وإيمان وحي الله المنزل إليهم، وأن التحريفات والأساطير التي دخلت في الأديان غريبة عن وحي الله الحق الصحيح كل الغرابة، ولا صلة لوحي الله بها أبداً.

وأي إعجاز أكبر من السخرية باستبشارهم بآلهة الأساطير المتعددة المشار إليها بقوله تعالى ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾، والتي تفيد تعدد الآلهة لأنها لفظ يدل على الجماعة.

٢ ـ الإيمان بصاحب الرسالة الدينية الأول

وكذلك الإيمان بصاحب الرسالة الدينية الأول هو موجود في كل الأديان السماوية، فاليهود يؤمنون بأن سيدنا موسى عليه السلام هو الداعي الأول لليهودية وأنه رسول الله الحق المرسل من قبل الله جل وعز بالمعجزات الصارخات الناطقة بصدقه وتأييده ونصرته. والنصارى يؤمنون بأن الداعي الأول للنصرانية هو سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه أرسل بآيات بينات ومعجزات باهرات كلها تعلن صدقه في ما أرسل به.

والمسلمون يعلمون كل العلم أن الداعي الأول إلى الإسلام هو سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وأنه أرسل بالحنيفية السمحة التي دعا إليها خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وظلت بقاياها في جزيرة العرب حتى أرسل بها سيدنا محمد.

إذاً فالأديان السماوية كلها تعتقد بالرسل الذين حملوا إلى أتباعهم الرسالة وأنهم جميعاً عباد الله المكرمون وأنهم صدقوا في رسالاتهم وأدوها على أكمل وجه دون تحريف أو زيادة أو نقصان ذلك هو الدين الحق.

وما جاء التحريف والنقصان والزيادة إلا من الانتهازيين، من الأتباع، أو المبالغين في حبهم ورفع درجاتهم إلى زعم الألوهية التي لا تكون لمخلوق أبداً.

إقرأ هذه الآيات. . .

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لَا إِلَه إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

والذي نأخذه من مجموع هذه الآيات أن المبالغة في الحب كما رفعت الدعاة الأول إلى الألوهية أو ما يقرب منها، كذلك رفعت أتباعهم، وهذا ظاهر لكل من درس تاريخ الأديان والتطورات التي دخلت عليها الزيادة والنقصان.

٣ ـ الأعمال التي تؤدي إلى سعادة الدنيا

كذلك كل الأديان تحمل المبادىء الكريمة التي تؤدي إلى سعادة الدنيا لأن مرجعها جميعاً وحي الله اليقيني الحق، ووحي الله اليقيني الحق محال أن ينزل ما يشقي ويفرق ويبدد ويخالف بين قلوب البشر وأنفسهم. . .

وآية ذلك، أنظر إلى الوصايا العشر التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام ثم جاءت على لسان سيدنا المسيح عليه السلام، وكذلك تجدها في القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية.

ومهما يكن فالأديان جميعاً تتوخى سعادة الدنيا وتعمل للوفاق وجمع الكلمة، فإن رأيت في بعضها نصوصاً تهدم سعادة الدنيا وتشوشها وتمزقها فاعلم أنها نصوص مدسوسة على وحي الله الصحيح، لأن الله دائماً أبداً يدعو إلى السلام. . .

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

الأعمال التي تؤدي إلى سعادة الآخرة

الآخرة أمر محتوم في الوجود وكل العلماء يشيرون إلى نهاية العوالم، فكما أن آخر حياة الدنيا مذكورة في الأديان السماوية، أيضاً نص عليها العلماء، فهم يعلمون أن النهاية محتومة ولكن الإيمان بوجود العالم الآخر بعد نهاية هذا العالم هو الذي تدعو إليه الأديان السماوية.

نعم اليهود يئسوا من الآخرة وجحدوا العالم الثاني في أكثر مذاهبهم كالصدوقيين وسواهم، ولكن المسيحية ردت على اليهودية العقيدة بالآخرة، والنصوص كثيرة في الأناجيل أما خاتم الكتب السماوية فإن الله جل وعز يقول. . .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

ويقول تعالى:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ. عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠، ٦٢] أي أن النشأة الآخرة في العالم الثاني حق ولا بد منها والله ينشئنا في وضع يناسب ذلك العالم كما أننا مخلوقين في وضع يناسب هذا العالم، كما كنا ونحن في الأرحام في وضع يناسب عالم الرحم.

فالعلماء المفكرون يعلمون أن الإنسان في هذه الدنيا مخلوق في حاجة إلى الطعام والشراب والتنفس وما إلى ذلك. كذلك سيكون في العالم الآخر في وضع يناسب نواميسه وأوضاعه وهذا معنى قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون، أي فهلا نتذكر أننا كما خلقنا الله في وضع مناسب لهذه الحياة، كذلك يخلقنا في وضع يناسب الحياة الأخرى وهذا من إعجاز القرآن العجيب.

ولكن ذلك العالم لا يحيط بكنه حقيقته إلا الله جل وعز، إذ جاء في الحديث الصحيح «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». فكما أن الأشياء التي تخطر لك في الدنيا تجدها بأسمائها في الآخرة لا بأعيانها، لأن أعيانها مناسبة لذلك العالم، فهي أجل وأكبر مما نتصوره نحن في الدنيا، وإنما التشابه بالأسماء. ﴿وَأُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ [البقرة: ٢٥].

ومهما يكن فالبشرى والحمد لله للمؤمنين، وفي ذلك يقول الله تعالى...

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

الحملات المماثلة المنقوضة من نفسها

الحملات المماثلة المنقوضة من نفسها هي التي لا تحتاج إلى ناقض مفكر ينقضها لأنها تحمل نقضها وسخافاتها والسخرية منها في طياتها، أي هي التي تنقض نفسها بنفسها.

وهذه الحملات لا تصدر عن المفكرين الـذين أقامـوا أنفسهم أمناء على حرمات العلم والذود عنه وكشف خفاياه، لأنهم محال أن يسقطوا بالفكر والعلم إلى مثل هذا الانحطاط فيؤمنون بالشيء الواحد في مكان ويفكرون به عينه في مكان آخر، أي هم أكبر من أن يكونوا في مثل هذه المهانة من انحطاط الفكر والعلم!!

وإنما يصدر عن أناس لا وزن لقيم العلم فيما يكتبون، ولا قدر لديهم يقدر في براهين ما يكتبون، بل هي أساطير وترهات وأحلام وخوارق من طائفة الأبقار والعجول والأحجار والأوثان وما إلى ذلك...

ويا جاهلون، إن شأن العلم أنه يكشف كنوز حقائق الأشياء على الوجه الواقع القطعي دون زيادة ونقصان وتخريص وبلبلة وتشويش.

وشأن الجهل أنه يخرج تلك الكنوز ويطمس حقائقها ويحدث فيها فجوات من الإفك والريب والدس، فجوات مرعبة خلفها وهاد وأعماق من الظلمات والبلايا والفتن التي تؤثر في الجماعات الغافلة والأفراد البلهاء... إذاً فحذار، فحذار، من أن يكون لكم من ظلمات الجهل نصيب.

وبالحري، والعالم اليوم يعيش في حضارة جامعة، ونهضة موحدة قائمة، وفي سطوع من الأنوار والأفكار والعقول المجتمعة في كل مجمع وناد، وفي كل مختبر، وفي محطات الفضاء وفي الصواريخ المنطلقة التي تبحث عن حقائق الأشياء لكشفها بيقين العلم القطعي، وتهدم ظلمات الجهل التي هي سدود باغية وحواجز ظالمة، وتحاول أن تهدم حقائق النهضة العلمية ولكن أنى لها ذلك أنى؟

والعلم انطلق من طاقة الذرة ونوافذها الواسعة إلى مجالات النور وفجره الساطع الدائم السرمدي في السماء.

إذاً، فكل الحملات التي تسمعون بها والتي تقرأون عنها ضد يقين الوحي وضد يقين العلم، هي جوفاء، جوفاء، واهية واهية، موتها في حياتها، وهدمها في بنائها، وتداعيها في سمكها وقيامها.

وسلسلة هذه الحملات تظهر في الجهات الآتية:

١ ـ الحملة الأولى على الإيمان المماثل

الحملة على الإيمان المماثل تعتبر من نقص التفكير، وسوء الطوية والجهل بما يحمل الكتاب في نفسه من إيمان بشيء في ناحية وينقصه ذاته في ناحية أخرى، وأقرب مثل للحملة على الإيمان المماثل كان يؤمن برسالة سيدنا موسى عليه السلام ولا يجد في قتله الذين نظروا إلى التابوت أو الذين عبدوا العجل بأساً، لأنه يراه تطبيب إصلاحي ضد وثنيين، ما قدروا حقائق الإيمان أقدارها فكان إبادة سيدنا موسى لهم أصلاً واجباً وإن بلغوا في العدد أربعين ألفاً كما يزعمون.

ولكن هؤلاء الذين وعوا يقين المعرفة في فعل سيدنا موسى واعتبروه إصلاحاً على ما فيه من إبادة وإراقة الدماء تجدهم قد طمست أفكارهم وعجز علمهم عن وعي الصدق ووعي الحقيقة المماثلة في أعمال خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ حين حارب الوثنيين والمشركين الذين حاولوا طمس الإصلاح والقضاء على الإيمان الذي أرسل به من السماء، على أنهم لم يبلغوا عدد الذين سخروا بالتابوت لما نظروه.

ولا ريب أن هذه الحملة من الوجهة العلمية باطلة، لأن الحامل لو كان يرى

في القتال مخالفاً للرسالة الدينية السماوية، فكان اعتراضه ساقطاً من نفسه لأنه من الحملة على الإيمان المماثل.

ولا يصار معه إلى النقاش العلمي، البريء، إلا إذا عمم في النقـد ولم يخصص ويميز تمييز الجاهلين بحكم التقليد الآسن، ويجب أن يكون القصد من النقاش حينئذ هو تصحيح اعتقاده وكشف واقع المعرفة في المسألة، ليكون الحكم عدلاً بالسوية خالياً من زيف التحـامل والأحقـاد الباغيـة التي هدمتهـا الحضارة الحديثة، مثل هذا كان قديماً في الوحشية والجهل انتهى، انتهى، والفضل لله. . .

كما يجب أن يدور النقاش العلمي حينئذ هكذا «هل الرسالة الدينية السماوية تحرم الهجمات الباغية ضدها أو لا تحرم؟ وهل تحرم إعدام المجرم المعتدي لحجز بغيه وفتكه عن الآخرين أم لا؟».

ويقال مثل ذلك للذين لا يرون بأساً في صدر رسالة الرسل الذين عددوا الزوجات لمصالح الرسالة، ثم يعترضون على سيدنا محمد ﷺ بمثل ذلك. . .

وإذا كان سيدنا موسى تزوج الكوشية (أي الوثنية والمشركة) التي آمنت به، لبيان جواز التزوج بالكوشيات اللاتي كن محتقرات في نظر قومه، لدى المؤمنين برسالته، فهل يجوز الاعتراض على زواج سيدنا محمد ﷺ بزينب ابنة عمته التي حلة مشكلة التبني الجاهلي الآثم.

وهنا لا بد من النظر في هذه المسألة لأن ما جاء في العهد القديم عن زواج سيدنا سليمان بعدد ضخم من النساء، وفتك سيدنا لوط بعرض ابنتيه هو افتراء ودس منحط، وتصديقها كفر صراح، وليس من قبيل الحملات المنقوضة المماثلة، لأن أمراً كهذا. . . شرب المسكر ووطء البنـات هو منقوص في كل الشرائع الملحدة والمؤمنة، ويرفضه كل من يملك مسكة من العقل والفكر ولمحة من الخلق، وصبابة من الإنسانية والمروءة وشرف الإنسان وكرامته.

٢ ـ الحملة الثانية من حملاتها

وذلك كان يحرم الإنسان الربا والسرقة والاختلاس على طائفة من الناس ويحلله لطائفة أخرى كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وكيف يكون في أيدٍ حلالاً   وفي أخرى من الأيدي حراما

ومهما يكن فحسبنا أمجاد الوحي الإلٓهي القرآن المجيد الذي استنكر صنيع الجاهلين والمنافقين والأغبياء الذين يعمدون إلى الشيء الواحد ويتصرفون به بالهوى الضال الذي في أنفسهم، أما تعلم أن الله جعل الأشهر الحرم في أزمان معينة بالذات ولا يجوز العبث بها ونقلها إلى أزمان أخرى غير التي عينها الله، ولو جاز ذلك كما يفعل بعض أهل الملل في كتبهم لناقض وحي الله بعضه بعضاً، وحارب بعضه بعضاً، كما هو قد حصل فعلاً في تاريخ الأديان.

والأشهر الحرم معلومة أوقاتها، وعينها وحي الله القطعي المنزل وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ولكن أهل الجاهلية عبثوا بها إذا أرادوا أن يتقاتلوا وينحرفوا عن مقدساتها فيجعلوان شهراً مكان شهر حسب أهوائهم أي ينسئونه (يؤخرونه)... أجل حمل الله جل وعز على ذلك حملة عنيفة إذ يقول سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين...

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ ٱللّٰهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فيهنَّ أنْفُسَكُمْ وَقَاتِلوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النَّسيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامَاً وَيُحَرِّمونَهُ عَاماً لِيُواطِئوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللّٰهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٦، ٣٧].

والذي نفيده من هذا البحث العظيم أن وحي الله لا يجوز العبث به ولا يجوز تغييره بحال من الأحوال، والعبث به كفر صراح لا يتقدم عليه إلا جاهل غبي، أو عدو مبين، أو ملحد كفور، وإن تظاهر تظاهر بالتقوى والتزام الوحي، فالأصل هو الفعل العملي المؤكد لا الأقوال الزائفة الضالة المجرمة، نعوذ بالله من ذلك.

ونهاية النهايات في هذا الباب، أن يكون الباحث عن حقائق الأديان ومماثلاتها في توجيه الناس إلى الاعتقاد والإيمان، أن يكون عالماً عبقرياً منصفاً لا يبالي إلا بيقين العلم وبيقين الوحي، ومرضاة رب العالمين، من قبل ومن بعد.

النقاط الأساسية
التي تبنى عليها نصوص الأديان السماوية

لا ريب أن النصوص الدينية التي في أيدي رجال الأديان كافة سواء أكانت سماوية موحاة من الله عز وجل إلى رسل الله الأول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو كانت منسوبة إلى سواهم، فإنها جميعاً لم تصح نسبتها وتثبت بمجرد قولهم قال الله تعالى . . . كذا، وكذا، بل لا بد لصحة نسبتها من ركنين أساسيين . . .

الركن الأول: تقديم برهان يقين العلم الثابتة بالتجربة والبرهان والمشاهدة، ولا يناقضها لأن المناقضة محال أن تكون بين وحي الله القطعي وبين العلم الماثل في تكوينه بالتجربة والمشاهدة ما داما كلاهما يعودان إلى مصدر واحد، وهو الله جل وعز.

ومن أجل ذلك تحرى علماء خاتم الوحي الإلّهي في إثبات الوحي كل التحري، وفي إثبات مقاصد نصوصه وذلك في علم هو علم الأصول، وكذلك تحروا في إثبات الأحاديث النبوية في علم مصطلح الحديث.

ومن أجل ذلك لا تثبت العقيدة الصحيحة التي جاءت نصوصها المروية في الأديان عامة إلا بيقين العلم الصحيح القطعي وبيقين وحي الله القطعي، بدون جدل ومراوغة وأخذ ورد، لأن الأخذ والرد والجدل إنما يكون في الظنون والأوهام والأساطير، لا في الحقائق القطعية التي تفرض الإيمان الصحيح دون تفرقة وريب،

لسمع قوله تعالى في خاتم كتب السماء عن كل ذلك:

﴿آمن الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤمِنونَ كُلٌّ آمَنَ باللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدً مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقوله تعالى أيضاً:

﴿قُولُوٓا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْراهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وهكذا لم تثبت حقائق الوحدة الدينية المنزلة في خاتم وحي الله إلا بعد الثبوت بالركنين السالفين.

والذين لا يتقيدون في إيمانهم بركني الإيمان الصحيح فإنهم يتيهون في متاهات العقائد الشاذة غير المنزلة من رب العالمين، ولِمَ لا تكون شاذة وهي ممزوجة بالشرك والوثنية ومناقضة لوحي الله القطعي اليقيني، ولا خلاص من وبائها الكبير إلا إذا زحزحت عنها ظنون العلم وفروضه وأوهامه، وكل أسطورة يحسبونها عين واقع المعرفة، وما علموا أنه يستحيل ألف مرة أن يخالف وحي الله اليقيني العلم اليقيني، ولكن الجهل ذو شجون وفنون.

النقاط الأساسية
التي تبنى عليها أصول دراسة الأديان

لا بد لدراسة الأديان من التزام لأصولها المصطلح عليها وهي:

الأصل الأول

أن لا يوجد تناقض بين علم حقائق وحي الخـالق العليم الخبيروبين علم حقائق العوالم المخلوقة له جل وعز، لأن التناقض يدل على أن المنتسبين إلى الوحي على تتابع الحقب يضعف إيمانهم فيعبثوا فيه، لذلك إذا رأينا تناقضاً فلا يجوز أن نقول إن وحي الله الثابت بيقين العلم القـطعي فيه تنـاقض، لا، لا، ولكن التناقض إنما جاء من الذين ضعف إيمانهم فافتروا المزاعم والأقاصيص والأحلام والخوارق الشيطانية الكافرة، وأخذوا ينسبون ما هب ودب إلى الله للتصيد والإفادة لا للبحث عن الحق واليقين فيه.

ولن تجد بين الوحي القطعي، وبين الحقيقة الكونية الثابتة ثبوتاً علمياً قطعياً أي تناقض فهذا مستحيل، وإن بدا شيء من التناقض فهو من نقصان العلم وتخلفه لا من الوحي القطعي الثابت، تجد تفصيل ذلك في فصل تخلف العلم الظني عن الوحي القطعي الآتي ذكره بعد هذا الفصل...

الأصل الثاني

يجب أن نحكم العلم، ولا نحكم الظن أو العاطفة أو ما تريد وأنت، فإنك

بتحكيمك لكل ذلك تنصرف عن حقائق العلم القطعي كل الانصراف وتقع في الظنون والأوهام والشرك والوثنية والإلحاد. سواء أردت أم لم ترد.

ولا ريب أن تحكيم الظنون والعواطف يضر كثيراً ويسدل ظلمات كثيفة تغطي الحقيقة وتحول دون رؤيتها جلية واضحة. . . !!

على أن تحكم الظنون والعواطف هو الذي جعل كل فريق من أهل الملل والنحل يجحد من أو ما ألَّهه سواه. . . وإن كان ما ألَّهه سواه هو عين ما ألَّهه هو وتقع المسؤولية على حملة التقاليد من الآباء والمربين ممن لم يثقفوا ثقافة علمية إيمانية صحيحة عالية حتى يستطيعوا أن يثقفوا ذراريهم وأجيالهم بها.

تخلف العلم الظني عن الوحي القطعي

لا ريب أن الظن لا يغني من الحق شيئاً. . . والظن محال أن يكون في مكان مرموق بين العقائد الصحيحة وفي يقين وحي الله، وكم من جنون وهبل وتهافت أن يأخذ أحدنا في ما يدين به من الظن والأسطورة ويطرح عامداً حقائق يقين العلم وراءه ظهرياً.

وهذا بلاء ما فوقه بلاء. . . يا أخي اقرأ وفكر واستوعب في الآية الآتية التي زيفت ما يؤلهه المبطلون بأسماء عجيبة غريبة ملتوية:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِم الهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] أي هم غفلوا عن هدى الله المبني على يقين العلم القطعي وأخذوا يعبدون الآلهة المتخذة من ذوات الكائنات الطاقية أو المادية بحكم الوراثة والتقليد، وكل براهين تأليهها ظنون وأوهام وأساطير.

على أن الطاقة لا تكون إلا بالعلم اليقيني المؤيد بالبراهين، ولا يكون بالظنون والأوهام وإن كثر في الأرض أتباع الظنون والأوهام، فأتباع الظنون وإن كثروا لا يدلون أنهم على حق، وهذا ظاهر في واقع أمم الأرض وفي واقع الوحي اليقيني. . .

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]

وكما أن الظن في العقيدة مرفوض فإنه كذلك في العلم مرفوض أيضاً، فالعلم على كل حال ضد الظن والوهم وما أشبههما، فإن رأيت علماً دخله الظن فهذا العلم لا يجوز أن تحكمه في الوحي القطعي لأنه دونه في الإثبات اليقيني ولا يهدي إلى شيء من يقين الواقع، وإنما يهدي إلى الإفك والتحريض. وهكذا لا يجوز أن نقبل في عقائدنا إلا العلم اليقيني الواقعي، وهذا ما يجب إعلانه في كل مجتمع وناد، وينادى به... كذلك.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وهذا باب يفتقر إلى مجلد، ولكن يكفي أن تفهم القاعدة العلمية، وهي أن الظن لا يؤخذ به في العقيدة، بل العقيدة يجب أن تؤيد بيقين العلم القطعي.

المثل العليا
وتطور الناسخ والمنسوخ إليها

وحي الله هو مثل إصلاحية عليا مطورة للأفراد والجماعات الإنسـانية من الحسن إلى الأحسن، ومن الأحسن إلى ذات المثل العليا.

لأن الداعي الأول وأقرب الناس إليه من المؤمنين الصادقين هو الأسوة الأول، ولذلك تجدهم يمثلون المثل العليا في أعمالهم وعقائدهم واتجاهاتهم، باتباعهم له في كل ذلك.

وما كان الناسخ والمنسوخ من الوحي الإلّهي ليطـور المجتمعات الإنسانية، من الحسن إلى الأحسن، ومن الأحسن إلى المثل العليا، التي هي دعوة الله للناس جميعاً.

وفي هذه القاعدة التطورية تدرك أن الناسخ دائمـاً أسمى من المنسوخ أو مثلها في الانتفاع والإفادة والصعود إلى الهدى والخير بالنظر لحاجة المجتمع إليها مؤقتاً. خذ مثلاً التطور بالأحكام إلى تحريم الخمر.

ويستحيل أن يكون المنسوخ أسمى من الناسخ لأن ذلك انحطاط وليس في وحي الله انحطاط فإن رأينا ذلك يكون دساً إذ يستحيل أن الله يلغي الذي هو أحسن للأخذ بما هو أدنى لأن الصعود إلى الهدى وإلى الحق والخير وأضواء الإيمان لا يكون لأفراد أو لجماعات إلا بانسلاخ ما بأنفسهم من المساوىء، ومن أجل ذلك يقول الله تعـالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ومن هذا الباب الآية التي تعني تحرير الأسرى وهي قوله تعـالى:

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] فهذه الآية هي المثل الأعلى في تحرير الأسرى وإلغاء الرق في العالم لأن تحرير البشرية من العبودية مراد إلّهي في وحيه جل وعز، لأن كل إنسان يولد على الفطرة والفطرة هي العقيدة الصحيحة والحرية، ومن أجل ذلك كان سيدنا عمر يقول لقواده... «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، ومن أجل ذلك كان المسلمون الأول يعتقون الأسيرات اللاتي عجزن عن دفع الفدية ويتزوجوهن، وهذا من مكارم الأخلاق، وإلا فالأسيرة مهرها فديتها.

وما يطرأ الرق على الإنسان إلا بسبب انعكاس أعماله وليس فطرة فيه، ومن أجل ذلك تجد المفسد هو عبد نفسه الأمارة، فهو رقيق من حيث يظن نفسه أنه حر.

ومهما يكن فالإسلام حرم الاستعباد ولم يجزه في شيء ولا يجوز بيع الإنسان لإنسان آخر. ألا ترى أن الوالد لا يصح أن يبيع أولاده، وكان هناك بعض المفسدين يشترون البنات من آبائهم ويتخذونهن جواري يستعملون معهم الفاحشة باسم الرق الأسري في الحرب الإسلامية.

وتفصيل الرق الأسري في الإسلام يعدو إلى أن المحاربين كانوا في أول الأمر هم يتحملون نفقاتهم وإحضار عددهم وإن كان من الفرسان هو الذي يبتاع فرسه وينفق عليها وبما أن الإسلام لا يبيح العدوان على أحد ولكن أباح رد العدوان كما قال تعـالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

والإسلام وضع قاعدة أساسية في الحرب الدينية التي تدفع عدوان المعتدين عن العقيدة يقول الله تعـالى:

﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦].

والطاغوت هو الطغيان فالقتال لأجله قتال من أجل عقيدة وثنية أو استعباد

جماعي أو استباحة أموال محرمة أو احتلال أرض مسكونة، وما أشبه ذلك، فهذا لن يكون في الإسلام.

نعم حرية العقيدة فرض، وهي وليدة حرية الرأي ومن أجل ذلك جعلها الله حقاً من حقوق الحياة الإنسانية لأنها حق منحه الله لعباده، والله هو الحق والإيمان به هو الحق.

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]

والعدوان على حرية العقيدة هو الذي يبيح القتال على المعتدي لصده عن العدوان عليها.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

حتى يكون الدين كله لله المقصود به هنا الجزاء عن الكفر، فأنت لا يجوز لك أن تحارب أحداً لإرغامه على الدخول في عقيدتك وإن كانت صحيحة وعقيدته فاسدة، لأن الإرغام يبطل حرية الإرادة، وحرية العقيدة المقدرة من الله جل وعز، ويبطل قوله جل وعز...

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ومهما يكن فالله سبحانه وتعالى أمرنا ببذل الاستطاعة في الإعداد وبذل الاستطاعة في الاستعداد أوصل البشرية إلى القنبلة الذرية والهيدورجينية وسواهما، ولكنّ المعجزة تظهر هنا أن الله لما أمر ببذل الاستطاعة في الإعداد أفهمنا أن ذلك للإرهاب لا للبطش والفتك والتدمير العام، فكر وتدبر هذه الآيات المعجزات التي قررت نظام الحرب وكيف يكون عُدة للسلام...

﴿وإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ. وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٥٨ـ٦١].

ومهما يكن فالقتال هو القمة والسنام لإرهاب الأعداء وصدهم عن العدوان، والتدريب عليه والإنفاق في سبيله أجره عظيم ومثوبته هائلة، مع التزام الدعوة إلى الإسلام والإيمان والحق وبذل النصح وإلقاء السلام لمن عرفت ومن لم تعرف، وكف العدوان.

وأن يكون القتال لإعلاء كلمة الله من الظلم الذي يريد الأعداء أن يلحقوه بها. . .

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وهذا القتال الذي يريد به ذلك كله جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

بحث التكوين هو واحد في يقين وحي الله وفي يقين العلم التجريبي المشاهد

لا ريب أن البحث العلمي التكويني في يقين ما أوحاه الله من وحي على رسله الكرام واحد، وكذلك البحث التكويني في يقين علوم الحضارة واحد.

هذا إذا وصل إلى مثله الأعلى أي النهاية العلمية اليقينية، وكذلك يقين وحي الله المنزل في خاتم كتبه السماوية واحد ولا يكون بينه وبين العلم التكويني اليقيني أي خلاف أو تباين. . .

أجل الحق اليقيني واحد في يقين العلم وفي يقين وحي الله، ومرجعه إلى الله الخبير المكون جل وعز.

على أن ممارسة البحث العلمي لأجل كشف حقائق التكوين كما هو عليه في الواقع، لا يقل أجره عند الله، ومنافعه عند البشر من البحث في يقين الوحي المنزل الصحيح من رب العالمين إذ هما يفضيان بالبشر إلى طريق الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالتالي إلى سعادة العالم الثاني.

ولولا البحث الحر بيقين العلم القطعي لما ظهر كثير من المعجزات الصارخة في يقين وحي الله المنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، وهذا ليس بالقليل أبداً.

كل وحي الله القطعي حق

وكيف يكون في وحي الله رجعية تقليدية وآيات الوحي الإلّهي تنص على هدم الرجعية التقليدية في كثير من الآيات، أنظر هذه الآيات التي أدلي بها إليك، وتفكر في مدلولاتها تجد أن وحي الله صدع الرجعية في صميم كيانها، وقضى عليها قضاء مبرماً وأمرنا أن نتبع الأحسن كما جاء في خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد. . .

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥] والمقصود من الأحسن هو اتباع خاتم الكتب السماوية بالنسبة لما قبلها من كتب الوحي ومن تتبع نصوص خاتمها القرآن المجيد يلمس ذلك بكل حواسه الخمس. . .

﴿ومَنْ أَحْسَنَ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلى ٱللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ومهما يكن فلا رجعية في وحي الله، ومن زعم ذلك فهو خاسر ومعتدٍ وظالم لنفسه ولمن يتبعه في قوله لأن وحي الله أنزله الله سبحانه وتعالى ليسمو بالإنسان إلى المثل العليا ومكارم الأخلاق، ورسول الله ﷺ يقول:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فهل في الرجعية التقليدية وخبائثها وانحطاطاتها وتآمرها أخلاق فضلاً عن مكارم الأخلاق؟

ومهما يكن فلدينا خاتم الوحي الإلٓهي الذي من أوله إلى آخره آيات بينات للنهوض بالجماعات إلى المثل العليا وإلى الإصلاح وإلى الدعوة إلى الخير وإلى البذل في سبيل الله وإلى، وإلى . . .

إذاً فاقرأ هذه الآيات، تفهم ظلم الظالمين الذين زعموا أن في خاتم وحي الله تقليد. . .!! بل كل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم يحاربون التقليد، فهذا خليل الرحمن ﷺ يقول الله تعالى فيه:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ ٱلتَماثِيلُ الَّتي أَنْتُمْ لَها عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وآبَاؤُكُمْ في ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٥٤].

والله جل وعز بريء من فحشهم ومن تخلفهم ومن تقاليدهم الرعناء، أجل بريء وأي براءة أعظم من قوله تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فاحشةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَٱللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلىٰ ٱللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

على أن إصرارهم في اتباع تقاليد آبائهم آية على خسرانهم وسخافة تفكيرهم وضلالهم في كل أمورهم، وفيهم يقول الله تعـالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

والتقليد وصمة عار أكل الدهر عليها وشرب، ومرض مزمن تقيحت منه الأفكار ونتنت وتبلدت وأصبحت تركع للأحجار والأبقار والبشر في عصر صعد الناس فيه إلى سطح القمر، أجل أكل الدهر عليه وشرب وهو وصمة عار، اسمع ما يقوله الله جل وعـز:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

على أن اتباع الأبناء للآباء الذين لا يعلمون حقائق العلم هو تخلف غابي وانحطاط جيلي وطعنة في صدر العلم القطعي، اسمع قوله تعالى تفهم الحقيقة...

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَولَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

المصلحة والمفسدة في وحي الله

ينزل الله وحيه لإقرار المصلحة وإثباتها ومحاربة المفسدة وإزالتها، من أجل ذلك يقوم التشريع الإلّهي في كل عصر على إقرار المصلحة وإزالة المفسدة، لأن المصلحة في وحي الله هي تأييد للحق العام الذي يشتمل على إسعاد الجميع دون إضرار بأحد، كما أن المفسدة هي الباطل الذي يشتمل على إشقاء الجميع وإلحاق الضرر بهم.

وإليك المدلولات التي تكشف لك هذه الحقيقة ونصوصها في وحي الله اليقيني، حيث أن المصلحة لا تتحقق في أمة إلا إذا كان هناك من يغار عليها ويهتم بها ويجاهد من أجلها ويناضل ويأمر بالمعروف، أي بالإصلاح وينهى عن الإفساد والإفساد هو المنكر ظاهر في قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعونَ إِلىٰ الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومن أجل ذلك نهانا الله عز وجل أن نستجيب للمفسدين، وعلامتهم أنهم يفرقون الكلمة الواحدة وهم أيضاً متفرقون ينتمون إلى نواح كثيرة وجهات مختلفة من أجل الإفساد وتفريق الكلمة.

أجل نهانا الله جل وعز أن نكون مثلهم أو نستجيب لهم، وبالحري بعد ما أظهر الله لنا حقيقة المصلحين وحقيقة المفسدين في آياته البينات...

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَات وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وهذه هي ولاية الإصلاح الذي يكلف بها المؤمنون أن يعامل بعضهم بعضاً في حياتهم في الأخذ بالمعروف والنهي عن المنكر والامتثال لطاعة الله ورسوله. وفي ذلك يقول الله تعـالى:

﴿وَالمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

ألا ترى أن الله لعن بني إسرائيل حين كفوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وليس في الدنيا عصيان أكبر من إفساد عقائد الناس وتخريب حياتهم وإفساد جماعتهم وتقويض أركانها، وكذلك ليس هناك اعتداء أكبر من كل ذلك...

من أجل ذلك استحقوا لعنة الله سبحانه وتعالى الأبدية التي تدحرهم وتندد بهم وتعدّهــم لانتقامه جل وعز.

والذي يدلنا أن المصلحة هي التي يقوم عليها التشريع الإلّهي قوله تعـالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ والبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

والإحسان هنا هو الإبداع والاتقان وبذل الجهـد في إدراك نهايـة الكمال الممكن... وهذا كله يجعل العدل واقعاً موقعه وفق تطورات الحضارة وفي آيات الوحي اليقينية التي نزلت على خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، وتحث على إدراك المصلحة العليا وإحباط المفسدة وكل ما فيه تخلف، انظر قوله تعالى في تعيين ما فيه المصلحة:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

فالخيرية هي التطلع إلى إدراك المثل الأعلى الممكن، والمثلية تتمثل في المصلحة الموافقة لمقتضى الحال، وهذا هو منتهى الإزعاج في توفر المصلحة التي تسعد الأفراد والجماعات على مدى تطور الحضارات، مع العمل للنهوض إلى قمم المثل العليا التي هي مطمح علماء الحضارة في كل عصر ومصر...

ولما كان التخلف هو إفساد لكل النهوض مقومات النهوض وأحكامه هي أحكام الجاهلية التي كانت سبب التخلف والتفاخر الانعزالي المنحط الذي جعل العرب دون الفرس والرومان في كسب المعارف والعلوم وبناء الدولة والاهتمام بالتجمع العالي الموحد، وأنزلتهم من قمة أمجاد التوحيد الإيماني الذي هو منطلق الوجود الحق إلى ظلمات الوثنية والشرك.

وهنا لا بد من الانتباه لأن تطورات الحضارة توجد في المجتمعات الإنسانية بين الأفراد والجماعات أوضاعاً جديدة تخرج العدل عن مجراه وتحيد به إلى غير وجهته، لذلك، لا بد من تحصين التطورات الحضارية في العالم، أي لا بد من العودة إلى النصوص السماوية الصحيحة المنزلة حقاً من رب العالمين، فإنها تشتمل حتماً على الإصلاح في كل زمان ومكان، مهما تطور البشر، حتى لو فرضنا أنهم نزلوا على سطح المريخ وسكنوه... أو سوى ذلك...

لأن مصدر نور الوحي هو أزلي وشامل لكل الإصلاح، ما كان ويكون إلى أبد الآبدين. وقوام الإصلاح هو العدل المطلق، وقوام الإفساد هو الظلم، ولا ظلم أكبر من الإلحاد والإشراك والوثنية.

أجل إن الإلحاد والإشراك والوثنية، بل وكل الانحرافات إنما هي باطل تأتي به الأهواء وغرور العمران وكبرياء الحضارة والعلم، والحق هو الحق، ظاهر في أحكامه.

وفي استقامته وفي نوره وفي هدايته، وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ آتَيْنَاهُمْ

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

على أن وحي الله مشتمل على ذكر أمجاد الحضارة والتقدم والسمو الإنساني وعدل مثله العليا واستقامتها، وإن دعوة الإصلاح إنما تقوم على الصدق في المعاملة والتزام العدل بين الناس على سواء دون تمييز، وهذا لا يتحقق إلا بالإصلاح العلمي. لا المزعوم المغشى بالإفساد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وهم لذلك يرون أنفسهم مفكرين مصلحين، وهم على أبعد ما يكون في سفه الإلحاد والانحطاط والانتهازية والتمرد على الإيمان، حتى لو طلبت إليهم أن يفعلوا فعل المصلحين لاتهموهم بالإفساد والسفه ونسوا أنهم هم المفسدون وهم السفهاء...

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

وهؤلاء المفسدون هم الذين يتسببون في مهالك البشر ومرافق حياتهم من الحرث والنسل أي هم أهل الفساد في الأرض والله لا يحبهم أبداً. لأنهم هم مدبرو الفتن والأهوال ولطف الله أكبر.

﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وهكذا نجد الفساد في الأرض وبين الناس منهياً عنه في آيات الله في مواطن كثيرة منه.

﴿... وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وأما حسبان أن ما يشرع البشر لأنفسهم يؤمن لهم المصلحة في كل شيء ويجنبهم المفسدة في كل شيء هو هراء في هراء، ولو لم يكن هراءً، لما كانت بينهم كل هذه الخصومات والحروب والفتن والتناكر والتباغض الذي يذيب الأكباد ويسود وجه الحضارة ويشوه وجه العلم المنير الساطع.

ومهما يكن فخاتم رسل الله جاء بالإصلاح الإنساني العالي الخالي من الأنانيات والعنعنات والأثرات وتفضيل بعض طوائف البشر على بعض، أجل جاء خاتم رسل الله ﷺ بإصلاح التقوى ونهانا الله عز وجل أن نفسد في الأرض بعد إصلاح التقوى برسول الله ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم في دولة الخلفاء الراشدين ومن سلك عين مسلكهم.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقد أفهمنا الله في خاتم وحيه أنه ما جعلنا خير أمة أخرجت للناس إلا لأننا نعمل ملتزمين تحقيق المثل العليا التي أوحاها إلى خاتم رسله صلوات الله وسلامه عليه...

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولما كانت الخيرية لا تتحقق في الجماعات والأفراد إلا بالتزام الأخذ بالمثل العليا الموحاة وهذا الالتزام لا يتحقق إلا بتقيد المجموعة النفسية بأصول العلم اليقيني والتنائي عن الجهل أي أن يفهم كل مكلف أن يأخذ بالعلم فجاء النص الإلهي...

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

والتقيد بيقين العلم وربط السمع والبصر والفؤاد به لا يتحقق إلا بالبرهان العلمي اليقيني المنزل من رب العالمين، وبذلك يدرك المكلف أنه مسؤول عن حقائق الوحي ومثله العليا والتزام توجيهاته سمعاً وبصراً وفكراً، وقد أفهمنا الله أنه ما جعلنا خير أمة إلا لنحقق مثل الوحي العليا في أعمالنا أولاً وفي إبلاغها للناس بكل ما نملك من إمكانيات وتضحيات...

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِـاللَّهِ وَلَـوْ آمَنَ أَهْـلُ الكِتَـابِ لَكَـانَ خَيْـراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُـونَ وَأَكْثَـرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وإن الدعوة إلى الاستمساك بالإصلاح ومحاربة الإفساد هي دعوة عامة موجهة إلى أهل الأديان السماوية وسواهم، إذ الجميع تتحقق فيهم الأخـوة الإنسانيـة، والجميع مطلبهم في أعمال نفوسهم الـوصول إلى الإصـلاح الذي يسعـدون به وتجنبهم الأفساد الذي هو شقاء لهم وإبادة ومهلكة . . .

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصارىٰ والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِـرِ وَعَمِـلَ صَـالِحـاً فَلَهُمْ أَجْـرُهُمْ عِنْـدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ولا ريب أن الإيمان بما أنزل الله في خاتم وحيه الإلٓهي من أحكام وسواها هو يشمل سعادة الدنيا والآخرة لكل الأفراد والجماعات، ويمنحهم الطمأنينة والأمن ويزحزح عنهم الخوف المضني في الدنيا والآخرة.

وكل دعوات الرسل الإلٓهية للإيمان إلى خاتم الدعوة الإلٓهية يوحيه جل وعز في كتابه المنزل على خاتمهم سيدنا محمد ﷺ، وهي دعوة واحدة لأجل تحقيق الإصلاح في العقيدة والمجتمع للفرد والجماعة، ومحاربة الإفساد في كل مظاهره وفي كل مآتيه، ومحاربة أهله وإن لبسوا أثواب الإصلاح وتظاهروا به إفكاً وزوراً، لأن الإصلاح معالمه لا تخفى على أهل العلم وكذلك الإفساد.

وهكذا تجد عمل الرسل في الناس جميعاً هو النهوض إلى الإصلاح الذي يعطي السعادة والطموح والنهوض إلى الأحسن.

ولا ريب أن الأحسن هو الإصلاح بين أفراد البشر وجماعاتهم كافة دونما تمييز بين حاكم ومحكوم وأسود وأبيض وفقير وغني.

ويحسن أن نختم هذا الموضوع بخطبة نبي الله شعيب عليه السلام حيث يقول:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقوام القول ونهاية سموه هو أن نصوص الوحي الإلٓهي متكفلة بالمصلحة التي ترفع الجماعات والأفراد إلى السعادة والرفاهية والخير والتفاهم والتآلف، وتقاوم المفسدة التي تحول دون ذلك كل المقاومة.

الأمانة

الأمانة هي حفظ كل أمر ذي بال وقدر من الحياة، والخيانة هي ضياع كل ذلك إلى جانب تقويض أركان الأمة وبلبلة عيشها.

والحياة مع الأمانة، هي أمن وسلام وإنتاج وبركة وزيادة في العلم والخير والهدى والرزق، ومسؤولية ضياع الأمانة خطيرة وهائلة، أما مثوبة الحفاظ عليها والالتزام بأركانها وهداها لا يقدر قدره إلا الله المثيب المعطي الوهاب، جل جلاله.

والأمانة تدخل في كل مرافق الحياة بين الحاكم والمحكوم وبين القائد والجند وبين الزوج والزوجة وبين الوالد وأولاده وبين الصديق وصديقه والجار وجاره وبين رب العمل وعماله.

وأخطر الأمانات وأعلاها هي الأمانة العلمية، لأنها كلها نور وسعادة للأفراد والجماعات والتزام للمودات، واستمساك بالطاعات وتجنب للمعاصي.

ولولا الأمانة العلمية لما رأيت آثار هذه الحضارة الحديثة التي تستمتع بها وتحوز عطاياها وتترهف بمخترعاتها وتسعد.

ولولا الأمانة العلمية لما حصل سلام في العالم أبداً. . . والأمانة العلمية هي نسبة الحقائق إلى أهلها وتجنب بخس المنافقين والدجالين والعاجزين الذين يتصنعون بالعلم لا لأنهم يعلمون، ولكنهم ينقدون ما لا يعلمون ويهرفون بما لا يعرفون ولكن هذا لا يخفى على كل ذي بصيرة بحاث نقاد إذا جلس في مجلس

وسمع هراء أمثال هؤلاء المنافقين وصدق المتنبي الذي يقول. . .

وكم من عـائب قـولاً صحيحـاً وآفتـه مـن الـفـهـم الـسـقـيـم

وعلى كل حال لا تستوي الظلمات ولا النور ولا العلم ولا الجهل ولا الحق ولا الباطل ولا الأحياء والأموات. . .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَٱلبَصِيرُ. وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُور. وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءَ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢].

أجل الأموات في قبور تقاليدهم ومواريثهم وما لقنوه منذ حداثتهم لا يسمعون ولن يسمعوا. . . . وكتمان العلم وعدم تبليغه للناس لكي ينتفعوا به خيانة عظمى، وأما تبليغه بعين واقعه دون زيادة ولا نقصان ولا تأويل ولا إفادة ودس هو الأمانة العلمية العظمى.

والأمانة العلمية العظمى شأنها كبير، ومنافعها عاليـة، وأعلامهـا رفافـة، وذكرياتها خالدة وأما ثمراتها فلا تقدر بثمن.

ومن هذا البيان الموجز تلمس سر اللعنة التي لعنها الله للذين يكتمون حقائق العلم لأجل أن يسود جهل سوء التفاهم بين الأفراد والجماعات، فإنهم يستحقون لعنة الله ولعنة الناس أجمعين، اسمع ما يقوله الله جل وعز في خاتم كتبه السماوية في شأنـهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وكذلك تأمل في قوله تعـالـى:

﴿وَإِذَا أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لِتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ومهما يكن فوحي الله نهانا عن خيانة الأمانة مطلقاً، ويا هول خيانة أمانة

الله في وحيه وأوامره ونواهيه، وخيانة رسوله ﷺ في إغفال ما جاء به من الحكمة والسمو للنفس الإنسانية...

زيلي ذلك خيانة أمانات الناس بعضهم لبعض...

ومهما يكن، فالخيانة تقوض أركان المجتمع وتفضي به إلى الخراب، اسمع ما يقوله جل وعز في ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

منشأ الشكوك
التي تدخل على وحي الله اليقيني

إن الذي يدرس الشكوك التي دخلت على الوحي اليقيني يجد لها جملة أسباب.

١ ـ عدم الإيمان بالوحي: وعدم الإيمان يجر إلى الشك بلا ريب.

٢ ـ الجهل بواقع الوحي اليقيني: ومتى جهل الدارس واقع الوحي اليقيني اختلط عليه الأمر بين اليقيني والظني والمشكوك فيه، وهذا الاختلاط حتماً يجر إلى الشك ولا يرفع إلا بيقين تمييز العلم القطعي بين نصوص الوحي، فمتى ميزوا عرفوا اليقيني الذي هو الواقع والذي لا يدخله ريب، أبداً من المظنون والمشكوك الذي يدخله الريب وكذلك من المدسوس المفتعل لغرض من الأغراض المنحرفة.

٣ ـ التجاهل: والتجاهل مرض فتاك لأن مصدره النفاق الذي يحول بين الإنسان وبين الأخذ بيقين العلم القطعي عمداً، من المظنون والمدسوس عمداً والتجاهل والإلحاد. والانتهاز داء وبيل قديم، مصدره الحسد وحب الذات وإيثار الدنيا على الآخرة وعدم الاكتراث بالنهاية المحتومة في المؤاخذة المحتومة.

٤ ـ التربية المنزلية والثقافية: أما التربية المنزلية فإنها تركز في مجموعة نفس الإنسان وهو طفل كل الانحرافات الموروثة والتقاليد والأساطير، وما تجد من هذا القبيل.

وأما التربية الثقافية فإنها تمهد السبيل بطمأنينة الفكر والعقل والضمير بأن

هاتيك الموروثات هي حق وعين واقع العلم، يصورون كل ذلك للطفل والشاب في المدرسة والجامعة، بوسائل ظاهرها العلم والحق والواقع، وباطنها الجهل والكذب والافتراء. وهكذا تجد القائمين على التربية سواء المنزلية أو الثقافية تجدهم يوحون في المجموعة النفسية الشكوك والريب في وحي الله إذا لم يكونوا هم من المؤمنين الصادقين، أو يوحون إلى ما لم يرثوه ويتناقلوه من الهدى، وهذا سبب أصيل في بذر منشأ الشك في الوحي اليقيني المنزل.

٥ ـ الاستئجار: منشأ الاستئجار، هو إضمار الشر لثقافة الغير، وبخس أشياء الناس القيمة من العلم والحكمة، وهذا الاستئجار تؤلف له فرق دعاية الباطل في كل مكان ويقصدون المواطن البعيدة في الأودية والقفار والقبائل، إذ ليس فيهم من يكشف خباياهم ويعلن خفاياهم ويقاوم إفسادهم، ومن أجل ذلك تجدهم يستأجرون المنافقين الخبثاء من المثقفين المنحرفين والملحدين لكي يذيعوا الشكوك الكاذبة والمفتريات ضد يقين العلم القطعي في وحي الله، وكم في الدنيا هم الجاهلون الإمعات الذين لا يملكون ثقافة تصونهم من عدوى الانحراف والدس وتحفظ لهم حقائق علمهم ومواريثهم القيمة، ولولا ذلك لما رأيت في بعض البلاد الإسلامية من يترك جلال خاتم الوحي الإلّهي ومعجزات آياته ليأخذ بالسخافات والأساطير والأوهام، لعلك تقول المجاعة، وأنا أرى مجاعة النفس والضمير الخالي من تقدير المسؤولية والتبعة أكبر وأجل من مجاعة الطعام والشراب، على أن مجاعة الطعام والشراب لها تأثيرها الذي لا يجحد، لذلك يجب الفطنة لكل ذلك والانتباه وبالحري من أولي الطول والاقتدار من أثرياء المؤمنين ووجهائهم لأن التبعة تقع عليهم مباشرة.

٦ ـ الكفر بيقين العلم القطعي، وبيقين الوحي القطعي: وهذا الكفر نشاهده في أقلام ملاحدة هذا العصر المأجورين، والسبب أنهم مثقفون انتهازيون منافقون خداعون دجالون لا يبالون إذا كفروا بواقع يقين العلم القطعي وبنصوص الوحي اليقيني، فمثل هؤلاء كمثل من يتزى بزي العلماء ويتحدث بأحاديثهم ثم هو ينفث سمومه كالأفاعي في غضون ذلك، فلعنة الله عليه وعلى من يتبعه في خبله وجنونه وهوسه ودسه.

٧ ـ الحقد الأرعن المنحط: إن هذا الحقد الأرعن المنحط يجعل أربابه

يشكّون في الوحي المنزل على سواهم، ولو كان عين يقين العلم والحق والصدق، وبلايا الحقد الأرعن المنحط بين الأفراد والجماعات ومخازيه وفتنه وشروره لا تنتهي عند حد، وليس من السهل الشفاء من دائه لأنه داء ملحق بالأمراض السفلية القذرة، على أن الحقد الأرعن المنحط هو من مواريث البيئة المنحرفة والنفوس المريضة، وهؤلاء يقول الله جل وعز فيهم:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

٨ ـ الظهور: حب الظهور أحياناً، وإعلانه والتفاخر به يسلك بصاحبه إلى نبذ العلم اليقيني فيما هو ثابت بين العلماء جميعاً كمجيء سيدنا المسيح عليه السلام الذي جحده فريق من الكاتبين، وكحياة أفلاطون، وهناك من أنكروا مقتل الإمام علي كرم الله وجهه كما وأنهم أنكروا إعجاز القرآن، وهذا نوع من الخبل، العلماء لا يحاسبون عليه ولكن ينصحون بوضع أصحابه في المارستان ليعيشوا مع أضرابهم وأمثالهم.

٩ ـ التحكم الاشتباهي: وهو مرض عضال نفسي وبيل، لأنه يصدر أحكامه حسب اشتهاء النفس فإذا اشتهى صاحب هذا الداء الوبيل أن خاتم الرسل سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ليس بخاتم الرسل فيقول جاحداً ذلك، أو أن البيت الحرام الذي شيده سيدنا إبراهيم عليه السلام ليس بتشييد سيدنا إبراهيم، إذ ذلك من مشتهيات نفسه الخبيثة اللاهفة للشهرة، وإما لتصنيع مجرم خبيث من وراء حجاب، من أناس لا يضمرون ليقين العلم ويقين الوحي أي اعتبار ولا يهمهم أهلك الناس بالخلف والتقاطعُ أم لم يهلكوا!!!

ومهما يكن فإن التحكم الاشتهائي خطره كبير، وبلاياه في هدم يقين العلم مشهورة ومعلومة، ولولا الناقدون من العلماء الأعلام والباحثون المدققون لكان التحكم الاشتهائي قضى على كل حضارة وعلى كل دين وعلى كل معرفة.

وما يضير بصاحب التحكم الاشتهائي أن يقول لا نيل في الأرض... ولا فرات... ولا أمازون... موجودة... في الأرض وإن كانت تعيش حول هذه الأنهار أمم وشعوب...

قيل يا صاحب التحكم الاشتهائي ما تريد، ولكن اعلم أن الله لا يذرك باغياً في الأرض أبداً باستمرار. . . وكذلك أهل يقين العلم. . . لا يدعونك أبداً.

حقيقتك لا بد أن تكشف. وأنت لا بد أن تطرد من جماعة أنك إنسان. . . !!!

تحمل مسؤولية أنك إنسان.

التحكم الاشتهائي

سبق أن ذكرنا أن التحكم الاشتهائي هو من أخطر أوبئة النفس وأشدها فتكاً بحقائق العلم اليقيني وهو الذي يفضي بالوحي الإلّهي من قبل ذوي التحكم الاشتهائي إلى الزيادة والنقصان والتحوير والتبديل، خذ مثلاً للتحكم الاشتهائي كأن ترى نصاً يقينياً معناه اللغوي المقصود ظاهراً فلا يريد هذا المعنى المقصود فيأخذ في تحريفه عن المعنى الأساسي اللغوي لا لشيء إلا لأن المتحكم الاشتهائي لا يريد هذا المعنى الظاهر اللغوي فيطلقه على سواه.

أنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

فإنك تجد ظاهر الآية في النحل ولكن قال صاحب التحكم الاشتهائي أن المقصود بهم بنو هاشم... وأذكر قصة مرت بي في أحد المؤلفات... أن مجنوناً كان يزعم ذلك أمام عالم من العلماء المفكرين الأعلام فقال له هازئاً صدقت يا أخي وسقاك الله مما في بطون بني هاشم مما يسلحونه...!!!

والتحكم الاشتهائي هذا هو الذي بعث التحريف في نصوص الأناجيل الدالة على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وجعلهم يؤمنون بأشعيا ويوشع وحزقيا، ويزعمون أن الوحي نزل عليهم، بل على حمارة بلعام، ولكنهم يرفضون القرآن

المجيد الحافل بالمعجزات العلمية الصارخة في الوجود، ويزعمون أنه ليس من الوحي القطعي في شيء، هكذا اشتهوا وشهوة الإنسان لا حدود لها ولا نهاية. . .

قد يشتهي الإنسان لحم الجيفة المنتنة المطروحة في الأرض ويرفض اللحم النضيج الشهي. ومهما يكن فالتحكم الاشتهائي هو خيانة لواقع العلم القطعي ولواقع يقين الوحي القطعي معاً، أجل إنه خيانة عظمى، أقل ما يستحق صاحبها أن يطرح في رمس رجم مرجوم كإبليس اللعين. . .

وإذا نظرنا إلى الخلافات والتنابذ والخصومات بين أهل الأديان وبين أهل العلم، وكذلك إذا نظرنا إلى التخلف العلمي لدى أهل دين من الأديان، نجد مصدر ذلك كله هو التحكم الاشتهائي. . . وفيما يلي نذكر طائفة من ألوان التحكم الاشتهائي. . .

جاء في عقائد غلام أحمد حول نظام المال في القرآن المجيد قوله «إن جميع ما ورد في القرآن الكريم من الصدقات والتوريث وما إلى ذلك من الأحكام المالية كل ذلك مؤقت تدريجياً، أي يندرج به إلى دور مستقل يسمى نظام الربوبية، فإذا جاء ذلك الوقت تنتهي هذه الأحكام لأنها كانت مؤقتة غير مستقلة».

ولعله يقصد بدور الربوبية، مجيئه هو!!!

وهذا ما جعلهم يعتبرون الناسخ من الأعلى إلى الأدنى، لا من الأدنى إلى الأعلى، وهذا ظلم بيّن، لأن الله جل وعز يقول في محكم كتابه القرآن الكريم. . .

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] فالمعنى ظاهر أن الله جل وعز إذا نسخ آية يأتي بما هو أفضل وأوثق في يقين العلم وفي التقدم الحضاري، أو مثلها، أي في مطابقتها لمصالح البشر.

وكم من دس دخل في باب الناسخ والمنسوخ، لأجل تصغير دلائل معجزات الله، وتكبير الأساطير والخرافات.

وهذا باب واسع لا يسعه مثل هذا المؤلف، وإنما يفتقر إلى مجلد خاص في هذا الموضوع الجليل، لأن خبث الإنسان الحقود الملحد كبير جداً يجعله يجحد الواقع العلمي النير ويؤيد الساقط الواهي المظلم. . .

اللهم اهدنا إلى سواء السبيل. . .

الحقيقة والاشتهاء

الحقيقة غير الاشتهاء، وقديماً قالوا... قد تكون الحقيقة مرة... والشهوة حلوة لذلك نجد أن الحقيقة وإن كانت مرة، إلا أن واقعها حلو كل الحلاوة...

وكذلك نجد أن الاشتهاء وإن كان حلواً في النفس، إلا أن واقعه أمرٌ من الصاب والحنظل. انظر هذه القصة... وقس عليها سواها...

يقولون إن شاباً عربياً قرأ بعض تمثيليات الشاعر الإنكليزي شكسبير، أو قرأ قصة روميو وجوليت، فضرب كفاً على كف بغضب وقال... هذا الشاعر ليس إنكليزياً وإنما هو عربي واسمه الشيخ إسبر...

هذا اشتهاء، والاشتهاء غير الحقيقة... فشكسبير إنكليزي لحماً وعظماً ودماً، ولكنه محبوب في العالم لأدبه الرفيع وتمثيلياته الرائعة وذكره الخالد، وكذلك نجد كثيراً من الناس يشتهون مسائل لا أصل لها في يقين الواقع العلمي، هذا يشتهي أن يكون قصر الحمراء في غرناطة من آثار الإغريق، رغم الآيات والبناء والآثار التي تنطق بأنه عربي... فإذا قلت له أنه أثر من آثار العرب الماضين، سخط وغضب ولم يسلم لك بما قلت ويكذبك علناً ويقول... لا، لا، إنه إغريقي... ولماذا يقول مثل هذا القول العنيد الجازم؟ إلا لأنه اشتهى الحقيقة أن تكون كذلك، ومن تتبع التاريخ القديم رأى أثر الاشتهاء الذي يقلب الحقائق رأساً على عقب ويجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً رغم الحقيقة الماثلة في الوجود.

وأنت إذا تتبعت في مسائل التشريع والسياسة والاجتماع، تجد هذا الاشتهاء البغيض الهش الخالي من الحقيقة يدس في كثير من المسائل والحقائق... يدس في الأدب فهذا أديب يبغض أن تكون للعرب حكمة وبصيرة واعية وفهم اجتماعي دقيق ونظرات فلسفية مثالية كما هو قريض شاعر العرب الحكيم أحمد المتنبي... فنسب كل ذلك إلى اليونان وقال إن أحمد المتنبي مختلس كبير لم يترك لأفلاطون وأرسطو وجالينوس وسواهم من حكمة في السياسة والطب والاجتماع، إلا وأخذها ونسبها إلى نفسه...

يقول ذلك بباعث الاشتهاء الذي في نفسه، أما واقع العلم الذي أعرض عنه وأدار له ظهره يقرر فيه، أن أحمد المتنبي ليس هو من دارسي اللغة اليونانية ولا هو من تلامذة أرسطو وأفلاطون وسواهما، ولكن الاشتهاء يأتيك بالعجب العجاب.

ومن باب الاشتهاء اشتهى بعض الدساسين أن ينسب إلى سيدنا عمر رضي الله عنه إحراق مكتبة الإسكندرية، لأنه يكره الفاروق العظيم ويريد أن يضع في صفحة تاريخه البيضاء نقطة سوداء من باب الاشتهاء... وصدّق من صدّق ذلك ممن ليس لهم سعة معرفة ولا دقة بحث ولا دراية بطرق الدس والهدم والتخريب، لولا أن جاء العلماء الأوروبيون المتأخرون فأظهروا كذب تلك الفرية... وأثبتوا أن المكتبة أحرقت من قبل الفتح الإسلامي وأن مثل سيدنا عمر رضي الله عنه الذي يؤمن بالقرآن ويؤمن بقوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ويعلم قوله تعالى... ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ويعلم قوله تعالى... ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] إن مثل سيدنا عمر الذي يؤمن مثل هذه الآيات ويدعو لها ويناضل من أجلها وينافح... يحارب العلم؟ هذا محال... ولكن لعنة الله على الاشتهاء ومن والاه وسلك طريقه والتمسه وسيلة للهدم والتخريب.

وإنك تجد هذا الاشتهاء وخبائثه ولعناته ومفترياته موجودة بصورة صارخة في التشريع والتاريخ وفي كثير من العلوم، وأكبر كتاب الاشتهاء في عصرنا طه حسين الذي اشتهى أن لا تكون الكعبة من بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأن الشعر

الجاهلي منحول، وأن الذين قالوه أفكوا ونسبوه إلى سواهم، ونسي المسكين أن الشاعر ينظر إلى شعره كنسله يضن به كل الضن، فهل تريد شاعراً ينظم قصيدة كقصيدة امرىء القيس أو كقصيدة عنترة أو زهير بن أبي سلمى أو لبيب أو طرفة، وينسبها إليهم تبرعاً؟ هذا كثير في الهبل... وكثير في الغفلة وكثير في الدس... وكثير في الإفك...

وعلى كل حال فالذي يقرأ في صبح الأعشى، وفي الأغاني، وفي الإحاطة في أخبار غرناطة وفي كتب التاريخ خاصة يجد باب هذا الاشتهاء واسعاً جداً...

وإني أذكر مسألة واحدة من باب الاشتهاء، إذ اشتهى دساس أن ينسب مسجد الصخرة الذي شيد في زمن عبد الملك بن مروان إلى الخليفة المأمون، فأزال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان ووضع مكانه اسم الخليفة المأمون، ولكن هذا الاشتهاء كان مفضوحاً وأن المأمون لم يرضَ بذلك أبداً لأن مثله في علمه وفضله ومروءته يرفض أن ينسب أشياء الناس إليه ولا يرضى بذلك إلا أوشاب البشر وخبثاؤهم.

وهذا التلاعب في الآثار تجده في آثار الفراعنة وفي آثار الأكاسرة، ولولا أن علماء الآثار المحققين يكشفون الحقائق ويرجعون الفروع إلى أصولها، لظل دس الاشتهاء آخذاً مجراه في الضمائر والعقول والنفوس وفي الآثار والتاريخ والقصص...

ورحم الله شيخ الأزهر الخضر بن الحسين والدكتور الغمراوي والدكتور الدرديري وشكيب أرسلان وكل العلماء الذين أظهروا فرية طه حسين... وبالحري ما كتب ضده بعض كتاب الإفرنج...

آثار بلبلة النصوص

إذا لم يرجع الدارس إلى الأصول العلمية والقواعد الأساسية الموضوعة في هذا العلم لدراسة نصوص الأديان وإفراز اليقيني منهًا من المظنون والمشكوك فيه، وإذا لم يلتزم الدارس السير بها حسب قواعدها العلمية ومواقعها اليقينية، فإنه يقع في نحل وخرافات ومناقضات مخيفة جداً ومضطربة جداً وبعيدة جداً عن واقع العلم اليقيني وراء الوحي اليقيني، ذلك لأن النصوص الدخيلة حينئذ تفعل فعلها وتحدث في نفسه قلقاً واضطراباً وتشويشاً، وتجعله يعيش في دوامة مما يقرأ ويسمع من ألسنة أهل الأديان على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وبالحري من دعاته المأجورين الذين لا يعنيهم بحال الوصول إلى كشف يقين المعرفة الواقعية في الأديان، وإنما تعنيهم الغمغمة والجمجمة والتأويل والتجريح والإفك والكذب وبراعة التمثيل ليعبثوا بعقول الجماهير والسامعين، هؤلاء هم الذين شوشوا واقع العقيدة الدينية الصحيحة المنزلة من رب العالمين، وجعلوها ألف ألف حقيقة... تباً لهم، ما أبعدهم عن يقين العلم وواقعه ويقين الوحي وواقعه.

ولماذا كل ذلك؟ ألأجل الأجر المقبوض؟ خسئت الدنيا وخسىء الطعام والشراب إن كان كل ذلك على حساب هدم واقع يقين العلم وواقع يقين الدين.

على أنهم لو رجعوا إلى نصوص الوحي اليقينية الصحيحة لوجدوها سماوية صافية تقطر نوراً وتفيض هدى وإنسانية ورحمة.

نعم، نصوص الوحي تشمتل على نصوص متعادلة ونصوص عامة وخاصة

ومطلقة ومقيدة ومنسوخة وغير منسوخة، ونصوص تقتضي الإلزام الفرضي ونصوص غير ذلك.

وكم تجد رجلاً من الرجال المنسوبين إلى الأديان يحفظ ما هب ودب من النصوص وسواها المختلطة المتناقضة وبما تكبره وتكبر علمه لأول وهلة، والواقع هو هواء كالطبل تسمع صوتاً ولا ترى حقيقة، ومثله كمثل الوارث المتمول، الذي وجد ثروة بين يديه مختلطاً فيها الحرام والحلال والخير والشر والإثم والبغي والأمانة والخيانة، ما هو من أصل الثروة وما هو دخيل لأناس آخرين، فتراه يضمها إلى نفسه دون مبالاة بالدخيل منها وبالأصيل فيها وبالمغتصب وسواه ودون أن يفكر أن يعمد إلى تصفيتها واستخراج الأصل الحلال الذي هو يعتبر نواة الثروة لذلك تراه يسير هنا وهنا معتزاً بتلك التي يمتلكها على علاتها غير مكترث وغير مبال تجاه الجماهير، وإذا رأى بعض الناقدين من أهل البصر والوعي والفهم فإنه يراوغهم وينعي عليهم وهو مصر على ما هو عليه من فساد الطوية وفساد النزعة ما يمتلكه.

فالذي يدعو إليه هذا العلم هو تصفية الحقيقة من خبائث الدس ومؤامرات الإثم والإلحاد وما إلى ذلك مما هب ودب، وكذلك يدعو إلى إفرازها وتمييزها ودراسة مخارجها ومداخلها وإلى يقين نسبها إلى الداعي الأول، فإن كل ذلك يجعل العلم الدارس لا يعدو واقع العلم اليقيني ويجعل مؤلفاته مقبولة لدى العلماء ومحترمة ومعتمدة في الاستشهاد والأخذ منها وما إلى ذلك، ويكون حينئذ إيمانه بها عن علم ويقين وحق وصدق، وهذا هو الخير والهدى والنور أنزله الله على رسله وطلب إلى الناس اتباعه والأخذ به والهداية والسلام.

خذ مثلاً في الإسلام، أئمة المذاهب الأعلام الذين يعيشون حياتهم بجهد المستطاع ولكنهم أيقاظ أبطال واعون لحفظ الأصول اليقينية وفرز الباطل المدسوس...

وهذا شأن تلامذتهم وأتباعهم كسحنون والأوزاعي والليث بن سعد وأخيراً كابن تيمية والنووي وأضرابهم كثير، كثير...

وناهيك بأئمة الأحاديث الأبطال كالإمام البخاري ومسلم وأصحاب الكتب الستة الصحاح فإنهم يكشفون الصحة عن كل حديث وعن رواته وعن مكانته في الاجتهاد والالتزام به والأخذ.

هذا ما شاهدناه في خاتم الوحي الإلّهي الذي جاء به خاتم رسل الله ﷺ، ولو وجد مثل ذلك في الأديان كافة لكانوا جميعاً اهتدوا وأخذوا بخاتم الكتب السماوية وعلموا أنه الروح الجامعة للكل وأنه التصحيح الصادق لما مر وأنه الينبوع الذي انفجرت منه كل الجداول والأنهر سواء ما تلوث منها أو ما ظل صافياً على أصله. . . أجل لو أنهم فعلوا كما فعل علماء الإسلام في ملتهم لعلموا جلال الملة الآخرة، الإسلام، ولكانوا هم أنصارها وأتباعها، لأن وحي الله المنزل من السماء ليس ملكاً لأحد، وإنما هو ملك الواقع العلمي اليقيني وعلمائه الأبرار الأمناء الصادقين، هذا هو الحق وليس بعد الحق إلا الضلال.

أسباب الانتصار للجهل على العلم

الإنسانية اليوم متحمسة لكشف واقع المعرفة في كل شيء لأنها مدركة أن التخلف والانحطاط وتحكم رجال الدين والتسلط السياسي والاقتصادي والحروب والفتن والأحقاد المنتشرة في كل مكان بين الجماعات والأفراد، أن مصدرها الوحيد هو إلحاد الذين لا يخافون الله ولا الإنسانية ولا السلام ولا الهدى ولا واقع العلم اليقيني في سبيل الانتصار للجهل وأهله وتوطيد أركانه والانتصار له على العلم وأهله... بل لا يخافون لقاء الله في الآخرة.

وفي هذا الفصل أبسط الأسباب التي تحيد بالملاحدة وأضرابهم من العنصريين عن واقع يقين العلم وواقع يقين الوحي عامدين متعمدين دون مبالاة ودون وخز ضمير...

١ ـ الحب والبغض التقليديان

لا ريب أن العالم الذي يكافح في كشف واقع المعرفة لا يتأثر بحبه وبغضه التقليديين، فتراه يبحث بإخلاص وجد حتى يصل إلى واقع المعرفة بقدر ما يملك من إمكانيات علمية، غير مكترث بالتربية المنزلية المنحرفة وغير مبال بالثقافة المدسوسة الملتوية.

أجل إذا سيطر الحب التقليدي أو البغض التقليدي على المجموعة النفسية فهناك الانحراف والدس والزيادة والنقصان واللعب على ألوان من الحبال وإلقاء

حبائل الجذب للغفل الهمل من البشر الذين لا يعلمون من الحياة إلا أنهم يأكلون ويشربون وينكحون وينسلون، واختم بالخير يا كريم. . .

والواقع أن العلماء الراسخين الذين عنوا بكشف واقع المعرفة لا يتأثرون بشيء مما ذكر، إلا بما كشفه يقين العلم ويقين الوحي.

وعلمهم هذا هو أمجد أعمال الإنسانية وأخلدها وأعظمها وأجلها، ولولاه لما رأيت هذه الحضارات التقدمية، ولا أبصرت هذا التطور العلمي الكبير الصاعد إلى عوالم الكواكب عالماً فعالماً، كما قال الله تعالى. . .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦ ـ ١٩].

٢ ـ الاستئجار

إذا لم يكن للكاتبين العاملين في الحقل الإنساني لنشر العلم والانتصار له والتضحية في سبيله، وإذا لم يكن مؤمناً بقيمة ذلك ومنافعه في سبيل التقدم الإنساني العام، وإذا لم يكن ذا أخلاق علمية سامية تحول دون الخيانة والائتمان والاستئجار لهدم الواقع اليقيني القطعي، فما أسهل أن يبيع ضميره ويسخر قلمه في إحياء الجهل وقتل العلم. . .

وكم رأينا من كتاب يتواطأون على ناحية واحدة كتواطؤ الذباب على العذرة ويتهافتون على نتانتها وقذارتها، رغم تأفف العلماء المصلحين منها، وكالذين يتواطأون أن ليس للأمة العربية من حضارة. والتواطؤ أنواع وألوان كما هو مفصل في بابه.

٣ ـ التحكم الاشتهائي

التحكم الاشتهائي هو أن تحور حادثة بعينها وقعت يقيناً ولدى العلماء مسلم بها بالبراهين القطعية وتحورها على غير ما كانت، لأنك تشتهي ذلك وتوده وتريده، وهذا هو التحكم الاشتهائي وهذا التحكم الاشتهائي يجعل الدارس يؤثر الجهل على العلم والباطل على الحق، والكذب على الصدق، وذلك إذا كانت الحقيقة العلمية

تخالف ما يشتهي أن تكون عليه، وهنا يأخذ في الدس على الحقيقة بدهاء ومكر وخيانة ويضع الانحراف والدس في محل العلم ويلبسه لباسه ويتغنى به للتضليل...

وهذا هدم لواقع العلم اليقيني، وضرره كبير جداً، وإذا نظرت إلى الخصومات، بين أهل الأديان، أو بين أهل الدين الواحد وتدبرت ممعناً في كشف حقيقتها ألفيت الحقيقة بين زعم هؤلاء، مهلهلة ممزقة تبكي حظها المحطم من واقع اليقين العلمي...

وكذلك إذا نظرنا إلى التخلف العلمي في أمة وجدناه من صنو التحكم الاشتهائي، ومن أراد التوسعة في هذا الباب فليعد عليه في بابه الخاص.

ومهما يكن فما نشاهده بين السطحيين وصغار المثقفين والأغبياء من المتعصبين إلى نحلهم وموروثاتهم من أحقاد وتنابذ وترصد وخصومات وجفاف وغلظة وخشونة وتجهم وبذاءة ألسنة، فإن مصدره بلا ريب هو التحكم الاشتهائي. والخلاصة أن التحكم الاشتهائي هو داء يقين العلم المميت...

٤ ـ أسباب العيش

إن أسباب العيش تربط الإنسان بمعارف خاصة وتفصله عن معارف أخرى قد تكون يقينية وواقعية في عين المعارف الإنسانية، وأسباب العيش مختلفة بين الناس، واختلافها يؤدي إلى اختلاف النزعات والتناكر والتخاصم والأحقاد أحياناً إذا لم يكن الوعي العام والمودة الاجتماعية السامية التي تشده إلى يقين الواقع القطعي في كل شيء.

ومهما يكن الكاتب أو الباحث نزيهاً، وذا إنسانية يخشى فضيحة الجهل، وأن ينسب إليه فإنه يأبى أن ينتصر إلا للحقيقة، ولكن قد تطغى عليه مصلحة المعيشة وتشده إلى نقيضها وإلى هدمها وإلى التآمر عليها، فإنه حينئذ يخشى الحقيقة العلمية إذا هو صرح بها وانتمى إليها وأعلنها.

يخشاها لحفظ عيشه، ولا يصبر على بلايا الإعلان والاهتمام والحق القطعي اليقيني مهما كانت الشدائد متفاقمة والبلايا متضافرة، إلا أولو العزم من العلماء المتبتلين

الذين لا يبالون بحياتهم إذا وقفت دون كشف يقين واقع العلم وواقع يقين الوحي.

ولولا هذا النوع السامي من الباحثين والكاتبين لما تقدمت الإنسانية خطوة في سبيل العلم، فضلاً عن أسباب المعيشة التي هي أهون شيء عندهم، لأن العلم وحقائقه والنضال عنه والتضحية من أجله هو ما يحيون لأجله.

وهذه الحضارة الحديثة التي تنعم بها البشرية في مطعمها ومسكنها وملبسها وفي أسفارها وفي تربية أجيالها، إنما هي يد من أياديهم وهم وطدوا أركانها وأقاموا دعائمها ونافحوا عنها وكافحوا.

فلله أنتم أيها العلماء الأبرار الأمناء، ولكم من الله كبير الأجر ولإيمانكم الصادق عظيم المثوبة، والله لا يظلم أحداً أبداً، كل امرىء بما اكتسب رهين.

٥ ـ خوف سخط الله جل وعز

من السخافة التي يدين بها بعض الكاتبين الذين يطمسون حقائق واقع المعرفة، هو الخوف من غضب الله في زعمهم إذا كانت تلك الحقائق تناقض ما توارثوه من عقائد منحرفة لا تمت إلى يقين واقع العلم بسبب.

وأحسبهم يجهلون أن من أسماء الله جل وعز «الحق» وهل يرضى الحق جل جلاله من مخلوق أن ينتصر لجهل الباطل ويقتل واقع المعرفة الذي هو الحق اليقيني؟

اللهم لا... ولكن للسخافة ضروباً، وشر ضروبها وأسوأها هو هذا اللون الثابت من الاعتقاد بأن الله جل جلاله يرضى عمن يقتل واقع المعرفة، وإن كان ذلك يخالف ما ورثه من أساطير وخرافات في عقيدته التي نشأ عليها وتثقف بها وجعلها شريكة حياته ونسي مثل هذا الإنسان إن كان حقيقة يحب العلم القطعي، نسي أن الله جل وعز محال أن يوحي في وحيه اليقيني ما يناقض يقين العلم ويجافيه، ما دام العلم علمه والتكوين تكوينه.

نعم لو علم العلماء أن الدس والزيادة والنقصان، والإشراك والوثنية تتسرب إلى وحي الله المنزل يقيناً على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تسرباً خفيًّا، لآمنوا أن الله لا يرضى عمن يخالفون واقع المعرفة اليقينية أبداً، على أن إيمانهم بيقين واقع

المعرفة المنزلة هو إيمان صحيح يرضى الله عنه ويؤيد من ينتصر له كل التأييد.

أجل هذا هو شأن العلماء الأمناء.

٦ ـ ضعف الإدراك والعلم

لا أجد عذراً لأي شخص يعمل على طمس واقع العلم اليقيني وإني أنصح الكاتب السطحي الذي لا يملك القدرة العلمية أو الذكاء الذي يجعله أهلاً لفهم واقع العلم اليقيني وإفرازه من الجهل والظنون والأوهام أن لا يكتب، كما وأنصح المثقفين المطالعين أن يجتنبوا مؤلفاته إذا كتب هذا الصنف من الكاتبين لأن كتابه هذا تضر ولا تنفع وتضاعف الجهل، كما أنصح نفس الكاتبين أن يكفوا عن الكتابة حتى لا يكونوا سخرية العلماء الراسخين وموطن التندر بهم وبأساليبهم الملتوية الغبية، وطرقهم الأسطورية في التأليف والكتابة.

٧ ـ الإصرار العنزي أو العناد التحكمي

لا ريب أن الإصرار العنزي أو العناد التحكمي من أخبث الخصال وأقذرها، ويجعل الكاتب المتصف بذلك لا يطمئن له أحد ولا يثق به واثق، ومن يثق بكاتب ينتصر للجهل على العلم وللباطل على الحق، إلا أن يكون ملحداً خبيثاً ومتمرداً متلوناً يريد أن يتفاقم الجهل بين الناس لكي لا يستقيم لهم أمر ولا تصدق لهم حقيقة.

على أن العنزيين المعاندين ما هم ببشر كالبشر الذين تعهدهم يروحون ويغدون ويتحدثون إليك وتتحدث إليهم، وإنما هم قوم إمعات مهابيل يقول لك أحدهم ما يقوله السفسطائيون، لا حقيقة في الوجود، وهم يعيشون فيه، ولا ماء يجري في النهر، وهم يشربون منه، ولا ثمر في الشجر وهم يأكلون منها، وإنما هو عناد في عناد وعنزية في عنزية وغباوة في غباوة، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الأغبياء العنزيين المعاندين وأحسبك سمعت القصة العنزية المتوارثة في سلائلهم وهي أن جدهم الأعلى العنزي الكبير، لما رأى صاحبه غراباً على صخرة وقال هذا غراب... تمرد وغضب وسخط بعناد وإصرار وقال بل عنزة، ولما

اقتربا من الغراب فطار ضحك صاحبه... ولكن العنزي لم يرتدع ولم ينزجر بل قال عنزة ولو طارت...

إلا أن هؤلاء العنزيين الآن منتشرون لـدى كل أمـة، ويحاولـون التدميـر والتخريب في العقائد وفي كل الأديان، وفي الاجتماع، وفي السلام، فيجب أن تحذرهم الأمم وإلا كانت النهاية نهاية دمار وبلاء.

وصدق الشقيق أبو يعرب إذ يقول:

والحرب أمست على الأبواب ننظرها   لا بد من موقف بالهول مشحـون

والله جل وعز ينصر من ينصره وهو خير الناصرين وأقدرهم.

براهين صدق العقيدة لا بد منها

لا بد لكل ذي عقيدة يدعو إليها من براهين علمية موثوق بها يقدمها بين يدي عقيدته، لأن العقيدة التي لا تنهض بها البراهين اليقينية العلمية ولا تدعمها الحجج القطعية، لا تزيد عن قصص ألف ليلة وليلة، أو عن أحاجي السحرة وترهات المنحرفين وأساطير العرافين، ولا هوس يثير الضحك بنسبة بدء الخلق إلى آلهتهم تلك المضحكة.

ومن أجل ذلك تجد خاتم الكتب السماوية ينادي الناس جميعاً قبل إيمانهم بأية عقيدة أن يطالبوا بالبرهان الذي يصح به نسبة بدء خلق الكائنات إليهن...

﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ ٱلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤] وقد جاء تعيين كشف البرهان في خاتم وحي الله... ﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤].

ومهما يكن فالذي يدعو إلى الإيمان بألوهية أي حادث من أحداث الوجود سواء أكان طاقة روحية أو كان مادة مجسمة فإنما يدعو إلى مخلوق مثله، وهذه الدعوة محال أن يكون لها برهان علمي قطعي يؤيد أن الذات التي يدعو إلى ألوهيتها هي ذات الله الأزلية التي كونت الأكوان، انظر في قوله تعالى في حق الذين يدعون بالأوهام والأساطير فإنهم محال أن يفلتوا من حساب الله ومن هزء رجال العلم وسخريتهم، أتل قول الله جل وعز:

﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ المَلِكُ ٱلحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ . وَمَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٦، ١١٧].

ولا ريب أن هؤلاء الدعاة الذين يطوفون بين الأمم ويدعون إلى عبادة آلهة أمثالهم من البشر أو من سواهم، ويزينون للناس أنهم يدعون إلى الحق والعلم واليقين ويخوفونهم من الانحراف عما يعبدون، كما ويزينون لهم أن هذه الآلهة تغدق عليهم العطايا إذا واظبوا على عبادتها، هؤلاء هو دعاة تقاليد بالية أكل الدهر عليها وشرب قل إنها تقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها من برهان علمي قطعي يدعم صدقها، وإنها من عين يقين وحي الله الصحيح.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ. لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ. لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ. أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذا ذِكْرُ مِنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ - ٤٣].

أجل أكثر الناس تلقوا عقائدهم وآلهتهم من تقاليد آبائهم الأولين الراسخة في أنفسهم كأنها عين حقائق الوجود، لذلك لا ينتظر منهم العدول عن تأليهها إلا إذا انطلقوا من أغلالها بالعلم القطعي والفكر الحر، وهذا نادر في كثير من الناس، لأن أكثر الناس يعيشون هملاً يقولون ما لا يعلمون، ويعتقدون بما ورثهم آباؤهم ولا يدرون أنهم يعيشون دون القردة، وزعموا أن القردة تطورت ولكنهم هم لم يتطوروا.

براهين صحة الأديان وحججها

لا ريب أن العلم سوى الجهل، وأن اليقين سوى الظن وأن الحق الباطل والصدق غير الكذب. . . ولا ريب أن الحق والعلم والصدق والواقع اليقيني، دعائم التقدمية في العالم قديماً وحديثاً، وأن الباطل والجهل والكذب والتلون ودسه هم دعائم التخلف قديماً وحديثاً.

ومن أجل ذلك نقدم في هذا الفصل ألوان براهين صحة المعتقدات وحججها

اليقينية وأنواع حقائقها وكل ما يتصل بها لكي لا تساق جماهير الشعوب إلى الإلحاد والإباحة بحجة أن الأديان كافة خالية من البراهين العلمية اليقينية التي تثبت صحتها، وإني لا أنكر أن الجيل الحديث ذا العمق الثقافي في كل أمة يرفض الإيمان المزيف بالظنون والأوهام وينتقد التسليم بمخاوف الأساطير وتلقينات التربية والتقاليد، كما يفقد التسليم الأعمى الواهي الخالي من البينات المبصرة العلمية. إنه يؤمن بالحق والعلم والواقع اليقيني المؤيد بالبينات.

على ضوء هذه الحقائق التي بسطتها وأشرت إليها في الكلمة السابقة، سأفصل للمطالعين المثقفين أنواع البراهين التي تذكر حول صحة العقائد لإثباتها في الأنفس، ولا ريب أن البراهين التي يذكرها المؤلفون حول عقائدهم تنقسم إلى أربعة أقسام...

ولا بد من التعرف إلى كل قسم معرفة علمية صحيحة خشية الوقوع في الخلط بين البراهين وعدم التمييز الذي يفضي إلى بيان صحة العقائد من فاسدها، ويكشف خفاياها القائمة على اليقين أو الظن أو الشك أو الوضع الأسطوري...

١ ـ البراهين العلمية اليقينية

هي التي تقوم على العلم اليقيني والوحي اليقيني، والتي تكون عادة مسلمة لدى العلماء الراسخين، والنقدة الأحرار، الذين أوقفوا أنفسهم للحق والعلم والصدق.

وهذا النوع من البراهين لا بد منه أولاً لإثبات كيان الدين كله في أصوله وفروعه، كما أنه لا بد منه في إثبات كل أصل وكل فرع حتى يتمكن القارىء أن يفرز الواقع اليقيني من الظنون والأوهام التي تدس في العقائد الدينية، أما لإفسادها أو للعبث بها أو لإظهارها بمظهر الأساطير والخرافات أو لاستغلالها للمنافع الشخصية والإنتهازية المجرمة.

٢ ـ البراهين الظنية

قد يفقد دعاة الأديان البراهين العلمية اليقينية التي تدل على صحة ما يدعون

إليه ويدينون به فيلجأون إلى البراهين الظنية، والبراهين الظنية هي التي تترك لجلجة في أنفس العلماء ولا تعطي القناعة العلمية الأكيدة والطمأنينة الكافية الواثقة لأنها تفقد البراهين العلمية اليقينية القطعية التي تثبت أصل الدين.

فيلجأون إلى الظنون في الأدلة ويكثر هذا في الملل الوضعية التي لا سند لها من معجزاتْ السماء، ولا كتاب منير يدل أنه وحي من الله تقوم عليه الشواهد العلمية اليقينية، وهذا اللون من البراهين الظنية قد يقبلها المعتقدون بدينهم وقد يغالون كل المغالاة بها ويرونها علمية يقينية قطعية، ولكن هذه المغالاة لا تغير من الواقع اليقيني في نظر العلماء شيئاً أبداً ما دام واقعها الذي هو الأصل الثابت بين أيديهم، وإن نوه بها ألف كاتب وكاتب، لأن النور هو النور، والظلام هو الظلام، والمحاولة في المساواة بينهما لا تقدم ولا تؤخر ولاتفيد أبداً، ولا تكسب إلا صغار المثقفين، وسفهاء الأحلام، ومتوسطي الثقافة والهمل من البشر الأميين.

٣ ـ البراهين الشكية

هي التي تفقد القوام العلمي والسند الموثوق، فتظل تائهة بين الريب تحيط بها الشكوك تروح وتجيء حولها وقد يلجأ الكاتبون والمؤلفون إلى البراهين الشكية فيما يقدمونه للناس في الغابات، وكانت مثل هذه البراهين في الأعصر السحيقة في القدم تجوز على أذهان بعض الناس ويطمئنون إليها ويأخذون بها ولو كانوا من سكان مدن حضارة عصرهم...

أما اليوم من العسير جداً، أن يقبل أحد حتى متوسطي الثقافة أو من الأميين القريبين من مناهج الثقافة أن يقبلوا البراهين الشكية، وهذه البراهين الشكية لا تجدها إلا عند أهل الزيغ والإلحاد يسخٍّرون بها سكان الغابات السحيقة، الذين لا يميزون بين البعرة والبعير.

٤ ـ البراهين الدخيلة الوضعية

إن هذه البراهين هي ألفاظ هرائية تفترى حول إثبات عقيدة لأناس جاهلين أو شبابْ أميين واهني التفكير والإدراك. أجل هي تخترع اختراعاً والمقصد منها إجرامي محض إذ لا فائدة منها وضررها أخبث الأضرار وأعضل الأمراض كالذي يقيم برهاناً

على أن سيدنا جبريل عليه السلام أخطأ في توجيه الوحي إلى الإمام علي كرم الله وجهه فوجهه إلى سيدنا محمد ﷺ، ولم يكن هو الرسول في الحقيقة، إنما الرسول هو علي، ويدس حول هذا الكلام ما يدس ويبرهن له بقصص أسطورية هرائية لا تنفع أن تكون براهين تثبت أساطير ألف ليلة وليلة، ولكنها لا تذكر إلا لأجهل الجاهلين.

البراهين الخاصة والمشتركة

لا ريب أنه يوجد لدى أتباع كل دين براهين خاصة وعامة يثبتون بها صحة دينهم من الوجهة العلمية القطعية وفق ملكاتهم من الوعي العلمي، ولا ريب أنهم يعنون بما يقدمونه لهم من براهين، كل العناية لأن دعائم دينهم الأساسية تقام عليها، والذي يدرس البراهين المذكورة في أديانها يجدها تنقسم إلى قسمين...

عامة وخاصة... انظر الدين الإسلامي.

البراهين العامة

هي التي تجدها في الدين الواحد ولا تجد لها نظيراً في الأديان الأخرى كالقرآن الكريم بالنسبة للدين الإسلامي فإنه أنزل للناس كافة، فهو برهان لهم كافة، وهذا بخلاف التوراة فإنها أنزلت لبني إسرائيل خاصة، والإنجيل فإنه أنزل لإصلاح ما أفسده كهان بني إسرائيل من الانحرافات التي تليق أن تنسب إلى إنسان مغفل بله إثباتها إلى رب العالمين وخالق الخلق أجمعين سبحانه وتعالى عما يصفون، فهما كتابان كريمان مقدسان أنزلا خاصة لهم، وكل ما طرأ عليهما من تبديل أو تحريف، هو من صنع أيديهم.

البراهين الخاصة

البراهين العامة تجدها في الخوارق المروية في كل دين سواء أكان سماوياً أو غير سماوي وهذه الخوارق إنما تكثر في النصوص الظنية كثرة ساحقة، ولكنها في النصوص اليقينية المنزلة في الوحي الإلّهي القطعي تقل.

وما ثبت منها في الوحي القطعي المنزل في خاتم الكتب السماوية نؤمن به

حتماً لأنه حق اليقين، وما لم يثبت بالتواتر العلمي القطعي الحق بالظن، والخوارق على كل حال هي براهين خاصة، وأحكامها غير مجهولة للناس ولكن من رفض القطعي منها وطفق يؤول. . .

خذ مثلاً عصا موسى عليه السلام فإنهم أولوها بأنه تخيل يبدو أنه واقع، أي أن الله جل وعز جعلهم يتخيلون ذلك، وسبب الكفر هو أن السحرة كذلك جعلوا حبالهم تتحرك تخيلاً. . . لا، لا، المعجزة هي أمر واقعي فعلاً وجحودها كفر صراح.

أنواع الدارسين للعلم والوحي وآثارهم

ليس كل الدارسين للعلم والوحي سواء، ولو كانوا سواء لما تقدم العلم وتأخر لدى أمة وأمة ولدى عصر وآخر، وكذلك الوحي، مع أن مصدر العلم القطعي هو الله جل جلاله.

أجل إن كلمة العلم، هي كلمة الله وكذلك الوحي، فمن خان يقين العلم ويقين الوحي فقد خان الله، والحقيقة واحدة في العلم والوحي، وهي ماثلة فيها مطلقاً، والوحي الصادق له براهينه وكذلك العلم القطعي الذي كونت بمقتضياته ذوات الأكوان له براهينه كذلك.

ومهما يكن فكل حقيقة فيهما هي كلمة الله، وكلمات الله لا تحصى، ولولا المفتريات التي دست في وحي الله وفي صميم العلم منذ أقدم الأزمان، لما تخلّفت أمة عن أمة في مجال التقدم العلمي، ولما سادت أمة على أمة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع، بل لما تمزقت كلمة الأمة الواحدة شر ممزق في مجتمع وتوحدت كلمة الأمة الواحدة في مجتمع آخر، بل لما تحاقدت الأفراد والجماعات وتحاربت بل لكانت عرفت أن الإنسانية واحدة ذات رحم واحد مصايرها ومآخذها وتوجيهاتها واحدة، لأن مرجع الجميع هو الله جل جلاله، وهكذا يتعين لنا أن الوحي والعلم هما قائدا الأمم جمعاء إلى التقدم والسيادة والحرية والرخاء والإيثار والنشاط والقوة والعزة والوحدة والتفاهم، وبالاختصار هما قائداها إلى السعادة الأبدية في العالمين، وهذا سر الإيمان بنسبة يقين العلم والوحي إلى الله تعالى.

ولو أن الكاتبين من الذين ينتسبون إلى العلم آمنوا بحقيقة وحي الله القطعي في سائر مجالاتهم وانتصروا له مناضلين، علموا أن الله جل وعز هو الحق وأن الذين يزيغون عن حقيقة الوحي إنما يزيغون عن حقيقة العلم الذي هو الحق وأنهم ظلمة فجرة انتهازيون أشرار أو متخلفون أغبياء وأنه ليس لما يكتبون من قيمة حتى لدى الهمل الأغمار وهم بعد مفروض عليهم الحرمان من رضا الله جل وعز ورضا الناس لأنهم يضرون ولا ينفعون ويمزقون ولا يوحدون ويجهلون ولا يعلمون، وفي النهاية يهلكون.

وإني في هذا الباب أفصّل أنواع الدارسين وآثارهم ومنافعهم وأضرارهم، بالنسبة لواقع يقين الوحي وبالنسبة لواقع يقين العلم، ليكون المطالعون على بينة من أمرهم من قبل أن يأخذوا في المطالعة والاستيعاب لهذا العلم ناهيك ونحن في عصر حضاري عظيم تخرج فيه كل يوم مؤلفات العلوم بكثرة هائلة.

أنواع الدارسين

الدارس الأول

هو المصدق بحقيقة العلم اليقيني القطعي ونسبته إلى الله تعالى، وهو الذي لا يؤمن بما ورث من دين منسوب إلى وحي الله السماوي إلا بمقدار يوافق حقيقة العلم اليقيني القطعي.

أجل هو الذي يؤمن بحقيقة يقين العلم ويجهد في كشف واقعه، ولا تصده الظروف والمؤثرات والتقاليد، إذا جاءت صادة عن ذلك، كما أنه لا يأخذ بما ورثه عن آبائه من نصوص منسوبة إلى الله وأنها وحيه إلا إذا أيدتها براهين العلم القطعي الذي يدعى إلى الإيمان به، كما هي عليه في عين واقع يقين الوحي والعلم معاً.

الدارس الثاني

هو الدارس المؤمن بالدين والعلم معاً، أي هو الذي يؤمن بما ورثه من دين وما تلقاه من علم حضاري حديث فهذا هو الذي يجهد في بحوثه ليوفق بين ما ورثه من دين وما تلقاه من علم حضاري قطعي، وإذا صادف في ما ورثه من دين يناقض

يقين العلم كل المناقضة علم أن ذلك من عمل الدساسين الذين يكيدون لوحي الله ظلماً وعدواناً، ويذيعون الإفساد والإلحاد في كل مكان، ولا ينسبه إلى الله أبداً، لأن الله هو علام الغيوب وما أوحاه من علم في وحيه القطعي هو الحق القطعي الذي لا جدال فيه ولا مراء.

ومن أجل ذلك تجد بحوث أمثال هذا الدارس تقرب وجهات النظر، وتزيح عن وحي الله ما ألصق به من خرافات ودس وكيد، وتقدم إلى المجتمع الإنساني العام أجود أغذية يقين الوحي ويقين العلم وأصدق عبقريات الفكر وأسماها وأحسنها.

الدارس الثالث

هو الذي يؤمن بحقيقة ما ورثه من دين فقط ولا يؤمن بحقيقة ما تلقاه من علم حضاري حديث مشاهد بالتجربة والبرهان إلا بالمقدار الذي ينسجم مع نصوص ما ورثه من وحي منسوب إلى الله جل وعز بغير برهان علمي أكيد.

وهذا لا يرجى من كتابته إلا تأييد ما يدين به ويعبده ولو كان إنساناً أو روحاً أو حيواناً أو شمساً أو قمراً أو نجماً أو سوى ذلك مما هو معبود لكثير من أمثاله.

ومثل ذلك لا تصح معه المجادلة والمناقشة العلمية الصحيحة ما دام من أول الأمر مصفد في إغلاله وتقاليده ومودع في سراديبه، تحيط به وساوسه وبلابله وأشباح الآباء الماضين ويخوفونه من العدول عن عبادة ما ألهوا وعبدوا بما يزلزل النفس ويقطع نياط القلب.

الدارس الرابع

هو الذي لا يؤمن بحقيقة العلم ولا بحقيقة الدين، أي أن الدارس الرابع لا يؤمن بالعلم ولا بالدين وإنما يؤمن بنفسه ومكاسبها، فهو يفقد الإيمان مطلقاً، وبحوثه لا فائدة منها لأنها تتلون بتلون الظروف المتعلقة بمعاشه.

وهذا الصنف من الكاتبين يخيف لأنه ماكر خبيث سلس كالماء، أي يفقد اللون الحقيقي الذي هو مطلع عليه في أعماقه، فقد يدس في بحثه السم الزعاف،

أو يهدم العلم وينتصر للباطل إذا كان ذلك يدر عليه الربح المادي وقد يؤيد الحق وينتصر له وهو لا يؤمن به إذا كان تأييده له مما يدر عليه الربح.

وأخوف ما يخيف الأمم ويهدم أمجادها ويمزق كلمتها ويبعدها عن حقائق العلم والدين هو هذا الصنف من الكاتبين، لأن شعارهم هو مد أيديهم إلى مكاسبهم، ولو كانت ممدودة إلى أعدائهم وأعداء أمتهم، فهؤلاء هم بلاء البلاء وفتنة الفتنة وإلحاد الإلحاد ونفاق النفاق، وسبب انهيار الأمم وإبادتها، وإن الذي ينظر إلى هذا النوع من الدارسين الكاتبين فإنه يفضل عليهم السفسطائية الذين لا يؤمنون بشيء حتى بأنفسهم.

الدارس الخامس

الدارس الخامس هو الذي يجهل حقيقة الدين وحقيقة العلم ولكن ينزل في مجالات الدارسين، ويبحث ويكتب. وهذا الصنف من الكاتبين لا ينفع العلم ولا الدين... إن تقل حقاً فهو حق... وإن تقل باطلاً فهو باطل... فهو مجموعة من الخير والشر والصدق والكذب والحق والباطل والعلم والجهل، وهذا الصنف من الكاتبين له ضرر لأنه يقدم للسوق ما يجهل، وكيف ينتفع الناس مما يجهل الكاتب لما يقدمه؟

على أن هذا الصنف من الدارسين، هم الذين يسرقون من المؤلفات والصحف القديمة الموضوعات الكثيرة وينسبونها إلى أنفسهم... فلعنة الله على كل مختلس أفاق لا يؤمن بيوم الحساب.

واقع الأديان السماوية العالمية الكبرى

إن واقع الأديان السماوية الكبرى واحد، لأن خالق الوجود جل وعز أقام تبيانها على أسس خمسة هي. . . الإيمان والعلم والحق والصدق والعدل. فكان مقامها فخماً مكيناً، لأن الفكر والجهل والباطل والكذب والظلم لا يقيم عش عصفور ولا مسكن نمل.

ومن هذه القاعدة انطلق «توماس كارليل» يتعرف إلى واقع الأديان السماوية العالمية الكبرى، ويعلن إيمانه بها، ولو ظل العلماء الباحثون يبنون دراساتهم على هذه الأسس الخمسة التي أقام الله عليها وحيه لما افترق أهل الدين السماوي الواحد إلى نحل وفرق مختلفة متحاقدة يكفر بعضهم بعضاً، باسم الحق ووحيه، وباسم المؤسس الأول. . .

بل لما اختلف أهل الأديان السماوية أنفسهم لأنهم جميعاً ينتمون إلى أصل واحد هو وحي الله المنزل على الرسل كافة، كما ينتمون إلى أبوين، وأما الشرائع فبطبيعة الحال فهي تختلف باختلاف الأزمان والأسباب والمسببات.

ولا بد من تصفية الإيمان الذي شابه الكفر، ومن العلم الذي شابه الجهل، ومن الحق الذي أُلبس ثوب الباطل، ومن الصدق الذي ماثله الكذب وتشبّه به، ومن العدل الذي خالطه الظلم، والتصفية عملية ليست يسيرة ولا سهلة وإنما تقتضي تعمقاً في الدراسة ووعياً في فصل المتشابهات والتأويلات عن الأصول التي التبست بها وأضرّتها ضرراً بالغاً ومزقت

أبناء الملة الواحدة مزقاً كثيرة بعضها يمقت بعضاً. والتصفية لا تتم إلا باللجوء إلى أصول علمية محررة، وقواعد عامة دقيقة تحقق عملية التصفية على وجهه المنشود الأكمل ومتى تمت هذه التصفية في الأديان السماوية كلها التقت على صعيد واحد ونور واحد وهدى واحد مصدر وحي رب العالمين الواحد الأزلي الأبدي جل جلاله.

وإني في هذا المؤلف وضعت الأصول والقواعد المطلوبة لمثل هذا العمل الجليل النافع الذي يخلص الأديان السماوية مما علق بها وامتزج بها من شوائب الأنفس المريضة ذات العلل والغايات والبهتان والظلم والانتهاز، حتى جعلها في هذا الوضع المزري في نظر الملحدين الذين يحملون عليها حملات شعواء باغية ويلحقونها بالأساطير وأديان الكهان الوضعية منذ أبعد الأزمان، وهي أبعد ما تكون عن كل ذلك، ويا ليتهم رجعوا إلى خاتم الوحي الإلّهي الذي وصل إلينا بالتواتر العلمي القطعي لعلموا كيف هي واحدة في أصولها وعقائدها وهداها وإن اختلفت أزمان المرسلين وعصورهم ما دام الله الواحد لأزلي هو الذي أوحاها وأنزلها بكل براهين العلم وأواصر الدلائل ودعائم الحق والصدق.

والذي دفعني بحماسة إلى وضع هذه الأصول والقواعد بإيمان وعلم وحق وصدق وعدل هو ما رأيته فاشياً من سوء التفكير في كنه وحي الله، ومن التنكر الزائغ عن التقيد في الدرس بأصول العلم، ومن الخلاف الزائف المتعمد لنيل حطام زائل أو منصب براق للعميان الكبار والأخذ بها لكشف واقع وحي الله عز وجل، وتصفيته من كل دخيل ومن كل ما يزاد أو ينقص لغايات مجرمة لا تبالي بما تجر عليه من البلايا والفتن والأهوال والخلف والخصومات بين المؤمنين بجملة الأديان، أو أن المؤمنين بالدين الواحد. وإذا لم يأخذ بمثل هذه الأصول العلمية الإنسانية البريئة ظل الأمر على ما هو عليه. هذا إذا لم يتفاقم الدس والكيد والنفاق.

أجل لا تنكشف هذه الغمة السوداء ولا تنجلي حقيقة وحي الله في الأديان السماوية ولا تبدو الوحدة الدينية في صورتها السماوية الوضاءة إلا إذا اتخذت الدراسة الدينية طريقها العلمي الصحيح، وتقيد الدارسون بكل الأصول والقواعد العلمية المسطورة في هذا المؤلف.

ولعل الذين يجاهدون لإقرار السلام في العالم، ويرغبون صادقين في أن

تتطور جامعة الأمم حتى تصبح بمثابة دولة عالمية كبرى تطمئن لها الأمم جمعاء، يجدون في هذا المؤلف الأصول العلمية البحتة والقواعد الأساسية التي تهدى إلى كشف واقع المعرفة في كل المسائل الدينية المختلف فيها والتي ستكون المادة الأولى في محكمة العدل الدولية الكبرى، كما وتهدي إلى بيان وحدة وحي الله في الأديان السماوية العالمية، الماثل في القرآن المجيد ومثله العليا ومعجزاته المتحدية، وفي السنة النبوية المطهرة الموثوق بصحتها علمياً!!

ومتى انكشف واقع المعرفة في المسائل التي تفضي إلى التناكر والخلف، ومتى ظهرت وحدة وحي الله فإن التفاهم المخلص النزيه يسود عقائد البشر، وتصفو نفسياتهم وتصوراتهم من كدورات الأجيال وحماقات الأساطير، وتحطم العقليات بوار النفسيات المنحطة، وهذا كله حق وصدق، فإن الشبان المثقفين ثقافة علمية حرة، إذا لمسوا بالضرر العلمي الصرف وحدة نور وحي الله السماوي المؤيد بالإيمان والعلم والحق والصدق والعدل في وحي الله الخالق لكل شيء، وأنه هو الذي أرسل رسله جميعاً هدى للناس أجمعين، ومتى اطمأنوا إلى كل ذلك عملوا تلقائياً وبحماسة وجد وجهاد، على تحويل جامعة الأمم المتحدة إلى دولة عالمية كبرى تفرض السلام والحرية وتقر العدل والأمن والخير والسعادة للأمم جمعاء بقوة الإيمان والعلم والحق والصدق والعدل... لا بقوة السلاح الذري والهدروجيني وسواهما، لأن هذا السلاح لو استعمل أهلك الجميع ثم لا يبقى ولا يذر.

وهذه الأمور الخمسة هي دعائم محكمة العدل الكبرى الدولية التي يكون دستورها يحمل كل مثل الإنسانية العليا، وكل تقدمها الحضاري، وكل سلامها الجامع، وكل مودتها المتبادلة بين الأفراد والجماعات بصدق الثقة والهدى والوعي وإليك تفصيل هذه الأسس الخمسة...

١ ـ الإيمان

الإيمان الإيمان هو الأصل في تحقق الأشياء لأن تحققها ثابت ومرئي لكل الحواس ولكل التجارب ولا يجحد الإيمان بحقائق الأشياء إلا السفسطائيون، ولا وزن لهم في ما ذهبوا إليه لأنه هراء في هراء.

ورأس الإيمان هو الإيمان بوجود الله الأزلي الذي به وجد كل شيء ولولاه لما

وجد شيء ما، والإيمان بالله جل جلاله برهان علمي يقيني ماثل في كل ذوات مكونة مادية أو طاقية، لأن تكوين أية ذات لا بد لها من سبق العلم بتكوينها والإرادة لتكوينها، والقدرة على تكوينها والهيمنة على تكوينها بعد ذلك حسب ما هو مقدر لها وهذا كله يفرض علمياً بالحس والمشاهدة، أن سبق المكون الأزلي الذي هو الله رب العالمين حقيقة أزلية واجبة الوجود لا بد منها، ولا يجحد ذلك إلا مخبول يحسب أن تكوين أية ذات لا يفرض سبق العلم والإرادة والقدرة والهيمنة، وإنما هي صدفة في صدفة واتفاق، لذلك كان الإيمان بالله جل جلاله مكون الوجود الواحد الأزلي هو رأس الإيمان وقمته وآية صدق الفكر النير والعلم الحق والصدق العدل.

وإليك نصوص الإيمان في خاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد، وإنك تجدها في الكتب المنزلة من الله عز وجل من قبل، عد إليها هنالك إذا أردت يقين العلم والاهتداء إليها في الإسلام، ولولا التحريف لظلت كما هي.

والإيمان هو نور التسليم بالعلم اليقيني القطعي الدال على وجود الله جل وعز مقروناً بالروح المحركة للقلب بالهدى، ونور الهداية للتسليم هو روح من الله تعطي الحياة للقلب والحركة للخير. . . ومهما يكن فالإيمان يتحقق بوجود الله جل وعز وبوحيه المنزل القطعي الصحيح الثابت بالتواتر العلمي . . . قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَىٰ ٱللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. والإيمان مركزه القلب فإن وافق صدق اللسان كان مُظهراً للإسلام بما في القلب، وإن لم يوافق بأن كان القلب غير مطمئن بالإيمان ولكن اللسان يظهر ذلك، فهذا إسلام ظاهري لا إيمان حق في الباطن أي نفاق.

لذلك قال الله جل وعز:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ. . .﴾ [الحجرات: ١٤] ولكن حقيقة الاطلاع على حقيقة الإيمان إذا كان

منطوياً عليه القلب بطمأنينة ورضا لا يطلع عليه أحد إلا الله جل وعز، ومن أجل ذلك لا ينبغي لنا نحن إذا سمعنا منادياً للإيمان ويعلنه لنفسه أن نقول له لست مؤمناً لأن النظر إلى ما في القلوب هو الله جل وعز، ومن أجل ذلك غضب رسول الله ﷺ على أسامة رضي الله حين قتل من يقول لا إلّه إلا الله لما رأى السيف هاوياً عليه، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له: أشققت على قلبه أشققت عليه قلبه... وما زال يكررها.

فنحن نقبل من أظهر الإيمان إذا لم تكن هناك دلائل ظاهرة تدل على أنه منافق كذاب. ومن النصوص الواردة في الإيمان قوله جل وعز:

﴿... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِٱلإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] فالإيمان لا بد منه، لأن حقيقة الوجود الظاهرة والباطنة تنطق بوجود الإيمان برب العالمين، ولا يجوز الكفر، بحال من الأحوال لأنه تهجم وعرام نفسي وخبث ولعنة على جاحد الإيمان وهذا حق فالله جل وعز يقول:

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] نعم لا عمل ينهض الإنسانية والإنسان والعلم والحق والصدق إلا بالإيمان، ومن أجل ذلك إذا سمعنا منادياً للإيمان أكبرناه وعلمنا أنه إنسان حي في وجود حي يحس بهواتف الإيمان في قلبه وفي ما حوله من الأشياء متى نظر إليها وتدبرها...

﴿رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوفَّنَا مَع ٱلأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

٢ ـ العلم

العلم يقصد به العلم اليقيني القطعي المبني على التجارب والحس الدال على حقيقة واقع الشيء بالذات، الصارخ في بيناته وبراهينه، وهذا العلم هو في الواقع علم الوحي وعلم الحضارة، ولا قوامة للأمة والحضارة إلا بمثل هذا العلم الخالي من الظنون والأوهام والريب والأساطير والدس والتأويلات، والانحراف عنه

انحراف إلى الهوى والعبث والظلم والتفرقة والشر والإثم. ويا قبح هذا الانحراف المهلك للأخضر واليابس.

إذاً فكل دارس يجب عليه أن يعتمد على هذا العلم وإلا كانت دراسته واهية خاسرة لا فائدة منها ولا نفع، بل تكون هراء في هراء، وإفك وافتراء، وظلم وعبث ودهاء وكيد وجدل فارغ يفضي بالأمة إلى الانهيار. إذن لا بد من اتباع العلم وطرح الهوى والظنون والأساطير، وإلا وقع البشر في خلاف الأهواء والظنون والأساطير أي يقعون في أكبر الشرور والآثام والفتن والأحقاد وتهالك الحروب.

ويقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتبعتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] كما يقول جل وعز في الإضلال بغير علم:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

ومهما يكن فالمجادلة والحجاج بغير علم تهوي بالبشرية إلى أسفل السافلين. إذ يقول جل وعز في ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَوا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] وهنا يجب أن نحذر الذين يريدون حقائق الأشياء وفق أهوائهم وشياطينهم ومجونهم ونزواتهم...

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣] وكم من سخط ضد الذين يتقولون على الله جل وعز ويلوون ألسنتهم بالسوء ناسبين أن كل ذلك يعد إفكاً وافتراءً وظلماً وبعداً عن كل يقين وخير وهدى وحق وإنسانية.

﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ ٱللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤] وكذلك يقول جل وعز:

﴿. . . وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩] وهؤلاء الذين يفترون على الله الكذب ويقولون بأهوائهم وأساطيرهم ما ليس له في الواقع من حقيقة، هؤلاء هم الجهلة الآثمون والفجار المتقولون الذين يقول الله جل وعز في حقهم:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] والله عز وجل لا يتحدث في وحيه إلا ما هو واقع في يقين العلم. . .

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧].

وهؤلاء الذين يفترون الوحي ويتحدثون به إلى الناس بألسنتهم ليصوروا لهم أنهم إنما يتحدثون على لسان الوحي الإلهي الحق هؤلاء هم أهل الافتراء والضلال والإضلال، وهؤلاء هم الذين ذكرهم الله في خاتم وحيه بقوله:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] ونسوا أن العلم يفرض البرهان للسامعين ولا يقبل الأقوال الهراء تلقى على الجماهير بدون علم قطعي وبرهان أكيد سوى المجانين والمخبولين والبشر البدائيين والجياع العراة الذين يهزون رؤوسهم بالإيجاب لا لأنهم علموا ولكن لأنهم شبعوا واكتسوا، وهؤلاء لا يفكرون في برهان ولا شبه برهان وإنما يفكرون في ملء بطونهم وستر عوراتهم، فهؤلاء لا يقولون قل هاتوا برهانكم، بل يقولون هاتوا ما في أيديكم من الخير، والأحياء يطلبون البرهان لا الأموات ﴿. . . تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ولو يعلم هؤلاء أن الرزق بيد الله، وأنه هو المعطي الوهاب، وهو الذي يشبع الطاوي ويكسي العريان ويشفي الأبدان من أمراضها، لما رضوا بالهوس والأهواء وانقادوا لهم انقياد القردة والأبقار.

ويا ليتهم سمعوا قول الله تعالى وعلموه يقين العلم. . . أجل يا ليتهم. . .

﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وهناك شر من هؤلاء الذين يتاجرون بوحي الله ويتخذونه هزواً ولعباً ويضلون الناس بغير علم، بل بالظنون والأساطير والأماني والتخويف بالأوهام، والرجاء بالخرافات، وبعوالم الغيب وبالأحلام والخوارق التي تخترع وليس لها من برهان يؤيدها ولا واقع يكشفها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] وحسبنا أن نختم دلائل العلم القطعي والانحراف عنه عمداً وإيثار الضلال والأساطير والأحلام عليه بقوله تعالى في خاتم الوحي الإلهي:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

٣ ـ الحق

والحق معلوم هو ضد الباطل، والباطل قوامه الجهل والاعوجاج، والحق قوامه العلم والاستقامة والميزان هو العدل المستقيم بالقسطاس، لكي يميز الحقيقة، بالعلم عن الجهل، وبالواقع عن الخرافة، ، وبالعدل عن الاعوجاج.

ومن أجل ذلك أطلق في عالم الأديان على سر وجود الله أنه الحق، لأن به تم وجود الموجودات، وبه استقام أمرها، وإليه مرجعها ومآبها.

والحق هو نور كشاف يضيء لصاحبه الطريق المستقيم واليقين في ما يجب أن يأخذ به وفيما يجب أن يتركه.

وإليك بعضاً من النصوص الواردة في شأن الحق في خاتم الكتب السماوية، شأنها في كل وحي الله.

أجل، الحق هو الظاهر في ميزان يقين العلم، والباطل خسران في هذا الميزان وضياع وفساد، وتلبس بالباطل.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] والرسل كافة إنما أرسلوا بالحق لأن وحي الله المنزل إليهم هو وحي من الحق، وهو الذي يكشف يقين الحق أبداً، وكان الناس من قبل أمة واحدة في الأخذ بالباطل، فأنزل الله وحيه بالحق لكي يلتزموا به ويسعدوا أبداً.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ آللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنـزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ آللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَآللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولا جريمة أعظم من كتمان الحق الذي هو قوام سعادة الإنسانية ووحدتها وسلامها واستقامة أمرها وهداها، وإظهار الباطل في صورته لكي يلبسوا على الناس مايلبسوا، ويخفون عنهم ما به يهتدون ويسعدون. . .

﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ آلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] ومهما يكن فالرسل جميعاً إنما جاؤوا إلى الناس بالحق من عند الله جل وعز، وهل عند الله إلا الحق والهدى والخير، وهذا شأن ما جاء به خاتم الوحي رسول الله سيدنا محمد ﷺ. . .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ آللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٧٠].

وخاتم الكتب السماوية إنما أنزل بكل ما في كتب السماء من الحق، فهو المهيمن عليه والداعي له إلى يوم القيامة، ومن أجل ذلك يجب أن يكون الحكم بوحي الله، أي بما أنزل الله على خاتم الرسل كما كان الأمر لأهل الكتاب، كذلك الحكم يجب أن يكون بوحي الله، ولا يختلف على وحي الله ويبتعد عنه إلا المنافقون.

ومهما يكن فالحكم بغير ما أنزل الله هو الحكم بالأهواء، وأهواء البشر منبعثة عن أنفسهم وعنصرياتهم وانحطاط توجيهاتهم.

ومهما يكن في هذا الاختلاف والانحراف عن الأخذ بيقين الحق، هو ناجم

عن حرية الإرادة التي منحها الله للإنسان، وحريـة الإرادة هي السبب في كل خلاف، ولو شاء الله لأبطل حرية الإرادة، وجعل الناس جميعاً كالملائكة أمة واحدة بالجبر، ولكنه عز وجل أبقى حرية الإرادة في الإنسان للابتلاء والاختبار.

فاحذرِ أيها الإنسان بلايا حرية الإرادة، فإنها تودي بك إلى الهاوية، وإن لم تتبع ميزان الحق الذي أنزل من الله عز وجل.

ومهما يكن فالدعوة موجهة إلى الجميع لكي يسارعوا ويستبقوا إلى الخيرات دائماً وأبداً. . .

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

والحق في النهاية هو المنتصر أبداً، فكل العدة والسلاح، سلاحه وعدته لأنه من الله وإلى الله، والباطل هو المنهزم، لأنه من وساوس النفس وتخرصاتها، ومباذل الشيطان وتزييناته. . .

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١].

٤ ـ الصدق

أرسل الله رسله جميعاً بالصدق، والصدق هو يقين الواقع الذي لا يحيد عنه قيد شعرة ولا يرفض يقين الواقع إلا الكذابون الذين ينحرفون عن الصدق عامدين.

والرسل جميعاً أرسلوا بالصدق، ولسانهم هو لسان الصدق العلمي، وخاتم الكتب السماوية يعلن ذلك جهاراً حيث جعل الله ذلك لهم، ليكون آية على صدق رسالتهم، فالرسل محال أن يكذبوا أو يدور في خواطرهم الكذب. . .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] ومهما يكن فالله منزل وحيه بالصدق، والآخذون بهذا الوحي بعزيمة ويقين وتضحية وفداء هم الصادقون، وهذا حق.

ولا ظلم أكبر ولا أفظع ممن يكذب على الله أو يكذب بوحيه، فهاتان جريمتان فظيعتان أولاهما الكذب على الله، والثانية التكذيب بما أوحاه الله نعوذ بالله من كلتا الجريمتين.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

٥ ـ العدل

من تأمل في حقائق الوجود يجده قائماً على موازين العدل، ومن تأمل في حقائق الأبدان السماوية يجدها قائمة على موازين العدل، ومن تأمل في الشرائع المنزلة من السماء يجدها قائمة على موازين العدل.

إذاً فالعدل هو قسطاس الحياة وهداها ونورها واستقامتها، ومن انحرف عن العدل قيد شعرة هلك وأهلك، وفسد وأفسد، وضل وأضل.

ويكفيك أيها الإنسان المفكر الحر أن تتلو هذه الآيات المنزلة في خاتم كتب السماء لكي تفهم قدر العدل ومكانه عند الله جل جلاله، فالله سبحانه وتعالى هو الحكم العدل، ولا يرضى لعباده بحال من الأحوال إلا أن تكون أحكامه مبنية على العدل فإن ظلموا أو انحرفوا أهلكهم الله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ والله جل وعز ما أنزل وحيه على رسله الكرام إلا ليقيموا قسطاس العدل في كل اتجاهاتهم وأحكامهم، حتى ولو على أنفسهم، وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ...﴾ [النساء: ١٣٥].

ومهما يكن فالله جل وعز أوحى كتبه السماوية وهو يحمل ميزان العدل على سواء بين الناس دون نظر إلى قريب أو بعيد، أو مؤمن أو كافر، لأن الحق هو العدل، والعدل من حق الجميع.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ [الحديد: ٢٥] والعدل كما يقوم في نفس الشخص كافة معاملاته،

كذلك يقوم في نفس من يعاملهم من الناس، مهما كانوا، ولا يجوز للحكم العدل أن ينظر أن هذا صديقه وهذا عدوه، وهذا مؤمن وهذا كافر.

بل العدل على السواء بينهم بصدق وإخلاص... انظر قصة أبيرق كيف لما أرادوا أن يبرروا سرقته للدرع الذي أخفاه عند تاجر يهودي وجاؤوا يخاصمون التاجر اليهودي زاعمين أنه هو الذي سرق الدرع... كيف نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ آللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً. واسْتَغْفِرِ آللَّهَ إِنَّ آللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً. وَلَا تُجَادِلْ عَنِ آلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ آللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٧].

ومعنى قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيماً أي مدافعاً عنه، لأنهم لو كانوا مؤمنين وكان الخصم يهوديًّا، الحق فوق الجميع، فأصبحوا خائنين أي خائنين للعدل في الحكم الذي أنزله الله.

وفي النهاية نسأل الله تعالى أن يبعدنا عن خسران ميزان العدل المنزل من رب العالمين لأن الأمر بإقامة ميزان العدل محتوم، ومأمور به في يقين الوحي الإلّهي.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزانَ. أَلا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

المصلح الديني العالم الباحث

إن المصلح الديني العالم الباحث، هو المؤمن بحقائق واقع المعرفة التي لا تدخل تحت حصر وهو الذي يسعده البحث عن واقعه اليقيني الذي لا يدخله خلف ولا جدل ولا زيادة ولا نقصان، لأنه عين واقع المعرفة، وعين واقع المعرفة مسلم به لدى كل العقول، أضف إلى ذلك أن فيه ضمان سعادة الجميع... لمن التزم... ولمن لم يلتزم...

والمصلح الديني العالم الباحث، إذا لم يكن مؤمناً بهذه الأمور فإن بحوثه تظل فوضى وغارقة في الظنون والأوهام والأساطير والترهات والأباطيل.

والحقيقة... أن كل دين في الأرض سواء كان سماوياً أو وضعياً، أو كان غير ذلك مما هو منتشر بين الناس من المذاهب باسم الاعتقاد والدعوة إليه، فهو في حاجة إلى التمحص والدرس بقواعد علم دراسة الأديان ليتصفى من الشوائب والمنازعات الدخيلة والعوائق والحواجز التي تحول دون التصفية وتحرير المعرفة اليقينية.

أجل كل ما يدين به المرء يحتاج إلى البحث والتنقيب بتمحيص العالم الأمين الصادق المحقق وبذلك تصفو المعرفة من كدورات الظنون والأوهام والإفك والأساطير ودسائس العنصرية المتحاجزة المتخلفة.

وحديثنا هنا عن المعرفة الإنسانية العامة المعترف بها لدى أهل الأديان والنحل والعلوم والفلسفات كافة، لا عن المعرفة الخاصة لدى جماعة دون جماعة، وما دام

القصد من تحرير المعرفة العامة مما دخل فيها من انحرافات وزيادات ونقصان، وما دام القصد بالتالي وهـو الأهم والأعم والأجدر والأولى هـو إصلاح المعـرفة الإنسانية العامة إصلاحاً علمياً دقيقاً خالصاً بعيداً عن الأهواء والنزعات والتوجيهات والالتواءات والعنعنات والأنانيات، فإن الأمر حتماً ينتهي إلى خير كبير ونفع عام وهداية مثلى، وإنسانية وسلام.

أجل فإن الأمر سينتهي إلى تصفية كل معرفة خاصة من شوائبها الدخيلة، وهذه التصفية هي التي تفضي بالعلم الإنساني المحرر والعقل الإنساني الواعي والجهد الإنساني العصري الداعي إلى التواصل والتعارف والتواد والتعايش السلمي، كما أنزل في معرفة خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد المعرفة العلمية الواقعية المحررة، وهذه المعرفة الخاصة المحررة هي التي تفضي حتماً إلى تصفية المعرفة العامة من كل شائبة أو زيادة أو نقصان أو تأويل أو تحريف.

الحقيقة العليا

يجب أن يكون مقصود الباحث العلمي الحر من إفراز النصوص اليقينية عن ركام النصوص الظنية في الأديان السماوية، هو الاهتداء إلى جلال الحقيقة العليا قبل كل شيءٍ، لأن خالق الوجود الحق لا يتغير أبداً، وكذلك العلم القطعي... لا يتغير أبداً...

إذاً فالمقصود من الاهتداء إلى عين النصوص اليقينية في كل الأديان السماوية، هو الاهتداء إلى وحدة علم الإيمان بالحقيقة في كل الأديان السماوية. وخاصة بكل ما تتصل به من صفات الله وأسمائه وذكر عوالم الآخرة وذكر الملائكة والكتب والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهذا هو الذي يضفي على النصوص الدينية اليقينية القداسة في عالم الأديان.

فإن العالم بوجود الخالق العظيم جل وعز وبوحيه إلى رسله وأنبيائه يحس طمأنينة الإيمان بنصوص الوحي اليقينية تخالط بشاشتها قلبه وتملأ هواتفها نفسه.

وبفضل هذا العالم الواعي وإيمانه يتحرر البحث من كل الشوائب الظنية والأسطورية، بنزاهة وإخلاص وأمانة وجد وتضحية، ليتكشف للدارسين كافة، الحقيقة العليا دون غموض ودون إبهام ودون خلط وتزييف.

ولا تحسب أبداً أن مفكراً واحداً يؤمن بقيم الحضارة الحديثة ووفرة معطياتها للبشر كافة ونهوضها لتحرير العلم اليقيني من كل شيء يرفض الانتماء إليها أو

يرفض تصفيتها مما تسرب إلى الحقيقة العليا، وأصبح لدى بعض الفئات يمت بسبب إليها.

وكم يكون بعيداً عن يقين واقع العلم من يحسب الحقيقة هي ما هو عليه وما ورثه بالتقاليد عن آبائه ونسي أن الحقيقة العليا هي ضمير الوجود الأعلى، والعلم اليقيني بضمير الوجود الأعلى لا يكون ولن يكون إلا بصفاء الحس وصدق المعاملة وتحرر المراقبة من كل شائبة، والوعي النزيه ببصيرة العلم والوحي اليقيني والإيمان الصادق الخالص.

وطريق الاهتداء إلى جلال العلم اليقيني بالنسبة لقصد الباحث هي حس توجيهه بكل عقله وعلمه ووعيه وإرادته وعزيمته ويقينه إلى الدرس والنظر في معالم الحقيقة العليا في الأنفس وفي ذوات الوجود، لأن الباحث متى تجرد لاستيعاب العلم الكاشف لجلال الحقيقة العليا في الوجود الأزلي انكشفت له مزايا العلم والحقيقة والهدى والحق.

وأفاد أكبر الإفادة من نور القرب بجلال موجده جل وعز، وهل الحقيقة العليا الأزلية سوى موجده وموجد كل شيء الواحد الأحد الفرد الصمد جل جلاله.

وحينئذ يصبح الدارس المؤمن الواعي خير هاد، وخير داع، وخير موجه بالنسبة لأهل عصره...

وهكذا يوجه الله من يبحث كل ذلك إلى أقوم سبيل... في كل عصر ومصر. وهذا ما هو مشهور في خاتم الأديان السماوية أن الله يهيىء على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها.

ولا ريب أن التجديد فيه تصفية الحقيقة التي هي ضمير الوجود الحق في سر وجود الله جل وعز وتصفيتها تصفية علمية صارخة محررة تسمع فيها النداء الأزلي الصارخ... التي سمع بها نبي الله موسى عليه السلام والأنبياء قبله وبعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونادى بها خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ.

﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

الدراسة الحديثة للأديان

كان العلماء الباحثون إلى عهد قريب إذا أرادوا أن يكشفوا واقع المعـرفة لحقائق دين من الأديان طمسوها إذا لم تنسجم مع ما يدينون به ويحولوها إلى وضع هم يحمدونه ويريدونه أن يكون هو بالذات.

فإن كانوا مؤمنين بالدين الذي يكتبون عنه غالوا وبالغوا وأسـرفوا وتقـولوا ما تقولوا بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل... حتى يخرجوا بالدين عن حقائقه الأصيلة في نصوصه اليقينية ويضيفوا إليها نصوصاً يدسونها في نصوصه الأصيلة، وإن كانوا غير مؤمنين به بالغوا وأسرفوا في تشويهه وتعمدوا الدس عليه لكي يخرجوا به عن حقائقه التي تدل عليها نصوصه اليقينية الأصيلة في منابعه الأولى، هذا شأن الدارسين في حقائق الدين القدامى... ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٩].

لذلك يجب لمن أراد أن يقف على حقائق وحي الله في الأديان، وأن يعرف الوحي اليقيني من الظني، فما عليه إلا أن يدرسها على ضوء هذه الأصول والقواعد التي يجدها واضحة في علم دراسة الأديان، ولن يجد العالم المؤمن قربى إلى الله جل وعز، ولا عملاً أشرف ولا أنبل ولا أسمى من تصفية وحي الله من الدخيل الذي حوله إلى خرافة وهوس وأفكار هدامة وأساطير، ولا ريب أن من يتقيد في دراسته بهذه الأصول العلمية فإنه يصل إلى فهم حقيقة وحي الله اليقيني كما هو في منابعه الأولى.

أما السير في التزام الأوضاع التقليدية في الأديان المتوارثة لدى أهلها منذ أبعد الأزمان دون تصفيتها من نزعات العنصريات الدخيلة فإنها تورث العصبيات وترهق الدارسين بقيودها التقليدية البعيدة عن واقع العلم القطعي، حتى ترى العالم الدارس المقلد كالمومياء المحنطة.

أما الدارس العلمي الحديث، هو الأمين على يقين العلم والحق والصدق وهو ما نسميه في عصرنا الحضاري المصلح الذي يطلب سعادة الإنسانية وسلامها وجمع كلمتها ونجاتها من مهالك الحرب الثالثة.

وهذا الدرس العلمي هو طالب بالإضافة إلى سعادة الدنيا سعادة العالم الثاني، بجهاده ونضاله وسهره من أجل كشف الحقيقة للإنسانية بنزاهة وإخلاص وأمانة، أياً تكن الحقيقة، علمية أو دينية أو تاريخية أو اقتصادية.

وإني أعتقد أنه متى تكاثر أمثال هذا الدارس العالم المصلح النزيه المخلص لله والعلم والواقع فإن العالم يدين بالسلام والتفاهم والتسامح عن عقيدة وصدق، ويدين بالتالي بمعجزات خاتم الوحي الإلّهي. وبمثل هذا الدارس العالم الأمين تنقلب المعارف الإنسانية العامة رأساً على عقب فلا نرى نحلة تناطح نحلة ولا عقيدة تهدم عقيدة، ولا جماعة تناكر جماعة، بل الجميع ينصرفون إلى كشف واقع المعرفة في الأشياء فيصبح العدو اللدود للجميع هو الجهل والباطل والكذب... والصديق الوحيد للجميع هو العلم والحق والصدق...

ومتى تم هذا النوع من الدراسة الإنسانية العامة التي تكون هدف الجميع وغاية وأمل وسعادة فحينئذ يصح أن نقول: إن الإنسانية بلغت الرشد الحضاري المنتظر، ويصح أن نطمئن بيقين العلم والواقع أن الإنسانية تستطيع أن تقي نفسها من مهالك الحرب العالمية الثالثة التي هي طمس للجميع ومهلكة للجميع وإبادة للجميع.

الوحدة والخلف بين الأديان العالمية

ما دام الدين ينتمي في نصوصه اليقينية إلى وحي الخالق العظيم، فإن حقائق عقائده الأصيلة يستحيل أن تختلف، إنما الذي يختلف بلا بأس هو مناهج التشريع، واختلاف مناهج التشريع هو أمر واقع حتماً، على أن مفهوم العلماء لاختلاف التشريع بحكم سنة التطور والتقدم العلمي والحضاري صحيح في يقين العلم والوحي معاً.

وأما الوحدة الاعتقادية فإنها أزلية، وهي الأصل الأصيل، لأن وجود الله الأزلي وصفاته وما يجب له من كمال وما يستحيل علبه من نقص... محال أن يتغير أو يتبدل.

ومهما يكن فإن الوحدة الدينية التي يحملها وحي الله الصحيح الحق تجدها...

١ ـ بالإيمان بوجود الخالق العظيم.
٢ ـ في وحدانية الخالق العظيم في ذاته وصفاته وأفعاله.
٣ ـ وفي الاعتراف بكل وحي سماوي.
٤ ـ وفي الاعتراف بالمرسلين جميعاً.
٥ ـ وفي الاعتزاف بالعالم الثاني بما فيه من حساب وجزاء في عالمي النعيم والعذاب.
٦ ـ وفي الإيمان بعوالم الأرواح من ملائكة وجن.

٧ - وفي التوجه في العبادة إلى الله وحده دون شرك ووثنية.

هذه هي الوحدة الأصيلة في الأديان السماوية... ولا يجحد وحدة العقائد الأصيلة في الأديان السماوية إلا الملاحدة المنكرون لوجود الخالق العظيم جل وعز، إذ يعتبرونها من صنع دعاتها الأول، وينسبون إليهم الوضع لكسب مظاهر الدنيا.

والواقع أن الوحدة العقائدية حقيقة ثابتة في صميم النصوص اليقينية في كل دين سماوي صحيح ويستحيل أن تشتمل على خلف، فإن وجدنا الخلف فيكون مأتاه النصوص الظنية التي تفقد السند العلمي القطعي، لأن الخالق العظيم محال أن يناقض نفسه في حقائق لا تقبل الخلف والتباين بحال.

والخلاصة أن الباحث العلمي الحر النزية له اتجاهان:

الأول: جمع النصوص اليقينية وحدها.

الثاني: كشف الوحدة العقائدية من مجموعها مع طرح الزيادة والنقصان والدس على يقين العلم، لأن وحدة الحقيقة تظل ماثلة بوضوح في صميم النصوص اليقينية، ولا تجد الخلف إلا في النصوص الظنية والموضوعة، وأما مناهج طقوس العبادات وأوضاعها، والشرائع، وما يتصل بها فإنها تختلف باختلاف التطورات الطبيعية الكائنة في صميم سنن الكائنات الحية وسواها، وباختلاف تطور الحضارات والبيئات والثقافات...

ومهما يكن فالاختلاف في هذه الطقوس ما بين جيل وجيل، وعصر ومصر، هو من صميم واقع معرفة الوحي الصحيح، كما أنه لا اختلاف في العقائد أبداً، لأن الاختلاف في العقائد هو من نتائج الجهل بواقع المعرفة.

ومهما يكن فإن العقائد تتصل بحقائق لا يدخلها التغيير ولا التبديل لأنها أزلية وخارجة عن نطاق عالمنا المادي المتطور.

والخلاصة أن الوحدة الدينية السماوية هي عين الحق والصدق، لأن الله جل وعز محال أن يوحي إلى رسله الصادقين ما يباين ذلك... نعم مصدر المباينة جهلة التقاليد وأبالسة الإلحاد وشياطين المنافقين.

وهنا يتحقق لنا أن مبنى الحقيقة الأزلية لا تختلف أبداً، واتجاهاتها تظل صارخة في وحي الله الحق بسموها برفعتها بتوجيهاتها الماجدة الكريمة بإنسانيتها بحكمتها بجلالها بأنوارها بطهرها.

أجل ما يليق نسبته إلى الله جل وعز يدل عليه يقين وحيه وواقعه وعينه، فإن وجدنا فيه دخيلاً فإن الدخيل يظل مظلماً منحطاً، وهذا الشيء لا يتجاهله إلا المنافقون الذين يريدون السوء لواقع وحي الله ونقول لهؤلاء... لو آمنوا وبحثوا ونقبوا واهتدوا إلى الله لكان خيراً لهم...

وها نحن أولاً نشاهد كيف تتجلى الحقيقة العليا المتصلة بجلال الله في حقائق وحي الله كلما اتسعت الدراسات العلمية وكشفت أبعاد عوالم الفضاء وعرفت خفايا الخفايا وما وراء خفايا الخفايا كثير وكثير.

إذاً فالاكتشافات العلمية وتجددها وتسابقها هو الذي سوف تنكشف به معجزات خاتم الوحي الإلّهي. وحينئذ تلمس الإنسانية بحواسها الخمس سر ما يقوله الله في خاتم كتبه السماوية...

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ. قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ. وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٦].

النصوص الدينية وتاريخها

معلوم أن كل دين يقوم على النصوص اليقينية العلمية التي جاء بها الداعي الأول دون زيادة أو نقصان، ودون تحريف وتأويل وتخريج، لأن العادة أن النصوص تغير وتبدل وتحرف من جيل إلى جيل، إذ يجد الدعاة القائمون باسم هذا الدين أنفسهم حيال أوضاع لا حقيقة لها بالنسبة لما درسوه من علوم الحضارة وتصحيح، لذلك يلجأون إلى التحريف والتغيير ليجعلوا ما ورثوه من تقاليد آبائهم مناسباً لما جدّ لديهم، ونسوا أن وحي الله لا يتغير ولا يتبدل، وبالحري بالنسبة لذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وما يتصل به سبحانه وتعالى.

نعم الذي يتغير ويتبدل هي الطقوس والعادات والتقاليد والشرائع، وهـذا التغيير والتبديل يجب أن لا يطغى على سر الإيمان بوحدة الله الأصيلة التي لا تتغير ولا تتبدل، وما يتصل بالله جل جلاله، حقيقته أزلية دائمة أبدية.

وقد يرفع بعض أرباب الدين أو سواهم أنفسهم إلى الألوهية أو ما يقاربها ويضيفون لأنفسهم ما يضيفون في العقيدة الأصيلة، فيحصـل الاضطراب والقلق ويسوء الحال... وهنا ينافق من ينافق دون وازع، إذ يجد باباً واسعاً للكسب الحرام باسم الدين والإفادة وما ذلك في الواقع إلا مهالك.

ومهما يكن فيجب أن لا نيأس من الإصلاح ومن تنقية النصوص مما دخل عليها من كل دخيل بسبب ذلك، بل لا بد من تصفية المعرفة من كل زيف، لذلك كان من الواجب درس تاريخ النصوص وإفرازها حسب العصور والأجيال، وتمييز

بعضها عن بعض بالأصول المقررة في علم دراسة الأديان، وبذلك يستطيع الدارس أن يفرز النصوص اليقينية العلمية التي جاء بها الداعي الأول بالذات من النصوص الظنية والشكية وسواها التي أُلصقت بها لاعتبارات شتى معلومة للدارسين.

ومتى عرف الدارس الواقع العلمي في حقيقة النصوص انكشف جوهر الوحي الإلّهي اليقيني الذي يقوم عليه الدين الحق في الواقع، وهذا كله يقوم على معرفة جلال الله وما يليق به ومعرفة سعة العوالم التي كونها سبحانه وتعالى، ومعرفة أن المخلوق لا يكون خالقاً، وأن الطاقة الروحية والمادة العنصرية اللتين هما قوام الوجود المادي والطاقي مخلوقتان، ومتى عرف ذلك ابتعد عن كل زيغ وضلال، وعن كل زيف، وميز بين الخالق والمخلوق، وبين العلم والجهل، وبين الحقيقة والخيال، وبين عوالم المادة وعوالم الطاقة، وحينئذ يكون قد فهم كنه النصوص الدينية الصادقة من سواها الدخيلة.

وأنت تعلم أن النصوص الدخيلة ما دست إلا لتصرف المراد الإلّهي المقصود من الوحي، والصرفُ هول وبلاء وفتنة، لأن نظر الإنسان قاصر وذو غرض، والغرض مرض، أضف إلى أضرار النصوص الدخيلة النصوص المحورة سواء في دلائل معانيها أو إضافة معنى ليس له في الإضافة أي غرض سوى الهدم والتخريب.

وشتان ألف شتان بين ما يحمل نص الوحي الإلّهي من الهدى والرحمة والإنسانية والسلام... وبين ما يحمل النص المضاف من العنصرية والأنانية وإباحة إراقة دماء الغير... كأن ذلك الغير ليس مخلوقاً لله، وعلى كل حال فالزيادة لا تخفى على كل ذي بصيرة علمية أبداً، أبداً.

أقسام النصوص

لا ريب أن لكل دين مجموعة من النصوص عليها يدور محور تعاليمه، ولا ريب أنها تنقسم إلى أربعة أقسام...

الأول: النصوص اليقينية الثابتة بالطريق العلمي القطعي.

الثاني: النصوص الظنية وهي التي لم تثبت بالطريق العلمي القطعي، بل بالطريق الظني.

الثالث: النصوص الشكية، وهي النصوص التي يتساوى فيها الأمران، الثبات والنفي.

الرابع: النصوص الموضوعة الدخيلة، وهي التي لا سند لها بتاتاً وتُنسب إلى الدين افتراءً وكذباً ودساً.

والذين يفترون النصوص ويدسونها في نصوص الوحي بزعم أنها منها، ولو تظاهروا بالإيمان فهم منافقون منتهزون لا هداية لهم، وزعم قصد الهداية منفي عنهم، ولو كانوا مهتدين حقاً لما فعلوا ذلك، ولا بلاء يهدم سعادة حياة الإنسان مثل عملهم الكافر.

أما الدس من قبل الملاحدة، فلا عجب فهذا شأنهم ضد وحي الله، ألا تراهم يقومون بهدمه وتقويضه وتجريده من كل هداية وإصلاح.

ومهما يكن فالعمل هذا لا يكون إلا من ملحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر انظر أعمالهم . . .

الأولى: كراهية الدين.

الثانية: الحقد على علمائه الأعلام.

الثالثة: الجهل بقيم العلم الإنساني العام.

الرابعة: هدم قواعد السلام.

الخامسة: الأخذ بتقاليد العنصرية الغابية الوحشية.

والحمد لله الذي جرد علماء الحضارة الأعلام من الأخذ بالظنون والأوهام والأحقاد وبلايا العنصريات وغواياتها وشرورها وآثامها، ولو كانوا يأخذون بالظنون والأوهام والأساطير لما وصلوا بالحضارة الحديثة إلى أعلى قمم العالم.

ومهما يكن فالعلم لا يأتي إلا بخير وهداية ورفعة وسمو وإنسانية وسلام وتعايش سلمي وتعارف إنساني عال، ويكفي أن نعلم أن خاتم الوحي الإلّهي فيه هذه الآية المعجزة لمجد العلم ورفعته . . .

﴿. . . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

فهؤلاء العلماء الأبرار محال أن يأخذوا بنص حتى يتثبتوا أنه وحي من الله بكل تأكيد. . . ومحال أن يصرفوا معناه عن المراد الأصيل.

كما أنهم محال أن يثبتوا حقيقة علمية في الكون إلا بالتجربة والمشاهدة.

كل شيء يدل على نفسه، ألا ترى أنك إذا جلست في مجلس وسمعت إلى المتحدثين يتحدثون بصراحة ما في أنفسهم، فإنك تميز كلام المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، وحديث العالم المحقق من كلام المتعالم الذي يخلط الحقيقة بالخيال، وتميز بين كلام الخائن المدلس وكلام المؤمن الصادق وكلام المتلون المنتهز من كلام الثبت اليقيني . . .

هذا حس المراقب العالم الذي يطالع خفايا الأنفس وبواعث مجتمعاتها النفسية ومجالات دروبها وطرقها، وهي تلوح على الألسنة ومعالم الأوجه والأعين والحركات والسكنات.

هكذا إذا جلست أمام كتاب من الكتب التي تنسب إلى الله تعالى، وأخذت تتأملها من أول يوم نشأت فيه إلى أن وصلت إلى يديك، فأنت ترى نفسك أمام طريق رحب كبير، ولكنك ترى في هذا الطريق الأدغال والمسالك الصحيحة والمسالك الملتوية والحماة المدافعين والسرقة الخائنين والعبثة المتلاعبين.

هذا حق فإنك تجد في كل دين من الأديان مخطوطات كثيرة جداً، سواء من أهله أو ممن يجاورهم، وحقائق في التاريخ مسرودة منصوصة، أو آثار مسطورة في رق أو حجر أو كاغد مما كان يكتب عليه القدماء، فالحقيقة لا تظهر في آخر كتاب تجده بين يديك، ولكن لا بد من معرفة الحق من الباطل أن تعود إلى أقدم النصوص وأبعدها في أغوار الزمن وأسحقها في سراديب التاريخ، وفي أشدها في حبوس القماقم والطلاسم وسوى ذلك... فأنت بكل ذلك تلمس الحقيقة اليقينية إذا توجهت بعناية وإخلاص وصدق، لا تريد إلا الحق، إلا وجه الله جل وعز، ولا تريد إلا السلام والأمن، ولا تريد إلا حب الإنسان المسكين الذي عبثت به أقلام الملحدين الزائغين الذين أضلته عن سبيل الرشد.

ونحن الآن في عصر الإنسانية تفتحت كل التفتح، حين انفتحت لها آفاق السَّمٰوات وظهرت كواكبها كأقرب ما تكون في الأيدي اللامسة، هكذا حقائق العلم ستدنو من بين الحجب إلى حقائق الحضارة الحديثة وعلومها ومعارفها.

صفات كل قسم من أقسام النصوص

لا يستطيع الدارس لحقيقة أي دين من الأديان أن يتبين واقعها اليقيني المدعم بالبراهين إلا إذا استطاع أن يفرز نصوصه المختلفة بعضها عن بعض، ولا يستطيع ذلك إلا إذا نظر في حقائق الوحي الأزلية التي تشتمل على روح الله جل وعز وطهر وصفاء في معاملة صحيحة دقيقة طاهرة مطهرة غير سواها من النصوص الأخرى التي تنسب إلى الله جل وعز ليست في الواقع من نسبتها إليه في شيء.

ومهما يكن فالنصوص التي تنسب عادة إلى الأديان وسواها من المذاهب والفلسفات هي أربعة:

١ ـ النصوص اليقينية العلمية.

٢ ـ النصوص الظنية.

٣ ـ النصوص الشكية.

٤ ـ النصوص الدخيلة المفتراة.

فالنصوص اليقينية العلمية... هي النصوص التي يفرضها العلم اليقيني بقوة براهينه وسطوع حججه ويعد جحودها جهلاً وتعنتاً، وهي الثابتة بالدلائل العلمية اليقينية كالتواتر العلمي اليقيني الذي يواكب النص في بدايته ولا ينفصل عنه أبداً.

والتواتر هو تلقي جماعة كبرى النص من فم الداعي الأول يستحيل تواطؤهم على الافتراء والكذب كالجماعات التي تلقت القرآن المجيد عن رسول الله ﷺ، فإنها بلّغته لجماعات مثلها من بعدهم، وهكذا دواليك حتى عصرنا الحاضر، وقد احتاط صاحب الدعوة الأول صلوات الله وسلامه عليه إلى هذا الأمر بجعل التلقين والحفظ لنصوص القرآن هو الطريق العلمي السليم وإن كان قد جمع آياته بخطوط كُتاب الوحي على لفاخ النخيل والجريد والعظام وغير ذلك مما كان مألوفاً الكتابة عليه، وأودع مجموعة نصوص القرآن المكتوبة لدى السيدة حفصة رضي الله عنها، وكان فعله هذا ﷺ لا لأجل الاعتماد على الكتابة بل لأجل جواز الكتابة إذا اقتضت المصلحة ذلك، وهكذا كان وظل الأمر حتى اليوم الاعتماد على التلقين والحفظ مع جواز كتابة القرآن الكريم وطبعه، ولكن أقاموا في كلِ بلد إسلامي مشيخة للقراء يعرض عليهم المصاحف المكتوبة والمطبوعة فإن وجدوها موافقة للمحفوظ المتلقى بالتواتر أجازوا مداولته بين الناس وسمحوا بتداوله في الأسواق، وإن وجدوا تحريفاً أو أي تغاير حكموا بإحراقه كما حصل في بيروت في دائرة الأوقاف وكما يحصل لدى الدول الإسلامية كافة.

وهكذا فإن القرآن الكريم لم يعتمد فيه منذ نزوله الأول، إلا على الحفظ والتلقي... ولما كان هذا القرآن هو روح من الله محفوظ برعايته وأراد سبحانه وتعالى التخفيف على عباده فأجاز قراءته بغير لغة قريش التي هي الأصل في نزوله لكي يستطيع العربي الذي ينطق بغير لغة قريش أن يقرأه وليس هناك كبير فارق، المسألة مسألة حركة أو سكنة كقوله تعالى في لغة الحجاز ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِم﴾ [المجادلة: ٢] فجعل ما تعمل عمل ليس ترفع الاسم وتنصب الخبر.

وكلغة بني تميم التي تهملها فتجعلها نافية فقط. . . لا تفعل شيئاً وهن مبتدأ وأمهاتهم خبر.

والمعنى المقصود في كلا الآيتين واحد والحركة لا تُقدم ولا تؤخر في تغيير أي معنى عن معناه الأصيل الذي يريده الله جل وعز في آيات وحيه، وإبلاغه لعباده بلسان العرب.

طريقة استنباط المدلولات اليقينية من النصوص الظنية

إذا لم يجد الباحث العلمي بين يديه فيما يدرس من دين أو غيره، سوى النصوص الظنية المختلطة بالنصوص اليقينية، ولم يستطع أن يفرز بعضها عن بعض، فهناك طريقة علمية يستطيع بها أن يستنبط المدلولات اليقينية من ذات النصوص الظنية، ومتى اهتدى إلى المدلولات اليقينية من ذات النصوص الظنية فإنه يستطيع أن يعين النصوص اليقينية من بين النصوص الظنية، ويؤلف ذلك بينها ويمعن النظر في مدلولاتها مجتمعة متسقة لأن وحدة النصوص اليقينية تظل سارية المفعول بعضها آخذ برقاب بعض.

ولولا النصوص الظنية التي اختلطت بها لما كان هناك خلاف أبداً، ولكن الحق يظل صارخاً بيناً واضحاً ما دام متصلاً برب العالمين ووحيه الكريم، ومتصلاً بيقين العلم في ذوات الكائنات.

أجل، أجل، الحق يظل بيناً ويظل واضحاً ويظل متماسكاً ويظل صادقاً وإن كان في حشو الظنون الظنية والأساطير والأباطيل والترهات.

وإليك الطريقة العلمية التي تسهل لك الأمر وتهديك إلى كيفية استخلاص النصوص الظنية ذات الوحدة الموضوعية.

بما أن يقين العلم مستقر في حقائق الوجود ومحال أن يكون فيه خلف، وبما أن يقين الوحي هو من رب العالمين جل وعز فالوحدة بينهما صارخة واضحة بينة لا تحتاج لأخذ ورد.

لذلك إذا رجعنا إلى اليقين العلمي القطعي وحكمناه في ما بين أيدينا من

النصوص الظنية والأسطورية والمدسوسة، فإن اللجج الذي يتصل بالكلام المنسوب إلى رب العالمين والقلق والاضطراب يزول حتماً لأنك رجعت إلى لب الحقيقة ونورها واستقرارها وبيانها.

نعم العلم هو في حد ذاته ينقسم إلى قسمين:

١ ـ علم ظني لم يصل إلى اليقين القطعي الذي لا يقبل التغيير ولا التبديل.

٢ ـ وعلم حق قطعي هو العلم الذي لا يتغير ولا يتبدل.

ومن أجل ذلك كان تحكيم العلم القطعي في تحرير نصوص الأديان الظنية من أوجب الواجبات في هذا المجال، لأن الدهور والأجيال التي مرت بأهوائها وشهواتها وتناكرها وتنافرها وبواعث غرائزها ألقت هذا الركام من الظلمات والأساطير في صميم وحي الله المنزل على الرسل قديماً...

خذ مثلاً العلم القطعي...

كروية الأرض، فإن الظنون التي دست في وحي الله عن الأرض وعمارها كثيرة جداً، ونسبت إلى وحي الله فأنت تستطيع أن تفهم حقيقة الأرض وتكوينها من نصوص الوحي القطعية، وبالحري فيما أنزل في خاتم الكتب السماوية، فإن الوحي القطعي لم يغيَّر ولم يبدل.

وكذلك انفكاك الذرة فإن الظنون التي كانت تدور حول أصغر جزء في الوجود كثيرة جداً، الذي هو الذرة، ومع ذلك فإن يقين العلم كشف أن الذرة مركبة من ذوات مختلفة، وأن هناك جزءاً أصغر من الذرة كما هو منصوص عليه في الوحي القطعي، وكما هو مذكور في العلم.

وأما القسم الظني في العلم الذي يسمي الفروض فإن نصوص خاتم الوحي الإلهي جاء فيها...

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهارِ وَالْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فأنت ترى أن لفظة دابة تدل على الحياة، ولكن لم يعين ذلك، وكذلك

العلماء إلى الآن لم يكتشفوا حقيقة ما في الكواكب من دابة... وأنت ترى أيضاً أن كل ما يقال في هذا الشأن إن هو إلا ظنون، ولم يستقر الأمر بعد في قراءة اليقين العلمي الذي لا يتغير ولا يتبدل.

وفي النهاية تجد أن الباعث إلى تحكيم العلم القطعي هو أن الله عز وجل الذي خلق الكائنات محال أن يكون في وحيه اليقيني ما يدل على الجهل بواقع المعرفة اليقينية العلمية.

إذاً فمدلولات النصوص الظنية الموافقة لما جاء بـه واقع العلم اليقيني هي من النصوص اليقينية، وما خالف مدلولات العلم اليقيني هي من النصوص الظنية، سواء فيما ذكر في كتب الأديان السالفة من وحي، أو في العلم الذي لا يزال في مجال الفروض والظنون ما عدا النصوص المحكمة في وحي الله القطعي.

خذ مثلاً النص الظني الذي جاء في العهد القديم سفر صـموائيـل الثاني الإصحاح السابع النص الخامس: «وفي تلك الليلة قال الرب أأنت تبني لي بيتاً لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت في خيمة وفي مسكن». فهذا النص يدل على أن الله يسير في الخيام وفي المساكن وهذا المعنى يستحيل على الله عز وجل، إذاً فيجب أن يحمل على المدلول اليقيني الذي يحكم فيه العلم القطعي.

وجاء في سفر الملوك الثاني الإصحاح التاسع عشر نص (١٧): «وصلى قزحيا أمام الرب وقال أيها الرب أمل يا رب أذنك واسمع وافتح يا رب عينك وانظر» فأنت ترى أن مدلول هذا النص الظني أن لله عيناً تفتح وتنظر وأذن تسمع، ولكن هذا المدلول لا يليق بجلال الله وسلطانه وقدرته ويناقض العلم اليقيني والوحي اليقيني لذلك نحكم فيه مدلول العلم اليقيني القطعي ويكون المقصود منه هو أن قزحيا النبي يطلب من الله أن يتوجه إليه بالاستجابة.

ومثله النص الذي جاء في التوراة: «إن الله خلق آدم على صورته»، ويردون الضمير على الله جل وعز، وهذا المدلول محال على الله تعالى أن يكون في صورة الإنسان التي يراد منها ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولكن إذا أعدنا الضمير على نفس آدم فيكون المدلول صحيحاً، أي أن الله

خلق آدم على صورته التي هو عليها تكويناً وخلقاً، وكما هي مطردة ومشاهدة في سلائله إلى اليوم.

وهذا يناقض القول بأن أصل الإنسان كان على هيئة القرد ثم تطور. . .

وبما أن النصوص تحمل المعاني التي وراء الألفاظ والحروف، فإن هذه المعاني ذات طبقات بحقائقها ومدلولاتها، فأنت تستطيع أن تفهم من المعنى إن كان ذلك النص يقيني أو ظني أو شكي أو مفترى.

لأن المعنى هو روح النص وقوامه وحياته، وكل ما يعتري النص من دس وتحريف وتأويل فإن المعنى الأصيل يظل ساطعاً مضيئاً كالشمس حين يعتمرها الغمام وتخفيها الحجب، فإن أشعتها وحقيقتها تزيح عنها الحجب حتى تظهر كما هي في واقعها اليقيني وحدود ذاتها الست.

أجل يظل معنى النص قطعياً ويظل منطوياً حتى يكشفه العلم اليقيني، ومهما يكن فكلام وحي الله القطعي يظل معنى نوره ساطعاً جلياً وإرشاده يظل ناهضاً لإنسانيته الإنسان وثقافته وحضارته وعلمه وهداه.

كما أن معاني النصوص الظنية تظل تتأرجح بين الظهور والخفاء كالبدر حين يعلوه الغمام ثم ينزاح عنه، فأنت تستطيع أن تتبين حقيقته إذا صفيته مما اعتراه وحملته إلى النص الصريح الحقيقي الأول، النص اليقيني الحقيقي المحكم، وهذا معروف، فإن النصوص الظنية أكثرها من المتشابه ومن النصوص المنسوخة،. أما النصوص الشكية فأنت منذ الوهلة الأولى تحس في نفسك الريب تجاهها، وتحس في عقلك كدورتها وعدم قبولها، وتحس أن مرجعها إلى النصوص المفتراة أدق وأصح من مرجعها إلى النصوص الظنية، إذاً فهذه النصوص الأربعة ترجع إلى قسمين. . .

القسم الأول

هو أن تحمل النصوص الظنية إلى النصوص القطعية فإن وجدت في هذه النصوص الظنية ما يخالف حقائق النصوص القطعية، حررتها بها وبدلائلها التوجيه الصحيح، وجعلتها منسجمة وفق دلائلها القطعية وهو الأجدر والأولى من الوجهة العلمية القطعية.

القسم الثاني

وأما النصوص الشكية، فالشك ظلام وقتام وبلبلة وقلق فالأولى به أن يلحق بالمفترى المدسوس في وحي الله تعالى.

وفي النهاية، إنك تجد النصوص الأربعة تندرج في قسمين. وهذا الاندراج فيه خير كثير ونفع عظيم ومصالح عامة لكل إنسان على وجه الأرض، لأن الحقائق ليست موضوعة إلا لكشف الحق في كل شيء.

والمقصود من كل ذلك هو أن تجتمع العقول الإنسانية المفكرة ذات الإيمان بحقائق الأشياء ووقائعها في صعيد واحد، وفي اتجاه واحد، هو توجيه الإنسانية كافة إلى مصالحها الأساسية في الحياة وفي الوحدة وفي الاجتماع وفي التفاهم وفي السلام.

وهذا لا يكون إلا إذا تعاون المفكرون في الأرض وتبادلوا الثقة والمحبة التي تليق بكرامة الإنسان كإنسان مفكر، وبحقائق الإيمان، إذ ليس المقصود أن يؤمن قسم من البشر بأهواء قسم آخر... هذا الوضع كان يمكن أن يكون قديماً قبل أن يسكن البشر جميعاً في حجرة واحدة ويتقابلون وجهاً لوجه وتزاح عن أنفسهم ظلمات الأنانيات والأحقاد والحروب.

أجل كان هذا الوضع قديماً ممكناً لأن حروبهم وخصوماتهم كانت تنتهي بانتصار فئة على فئة سواء كانت محقة أو مخطئة، ولكن اليوم تغير كل التغير وأصبح البشر كقوم يجلسون في حجرة واحدة فإن هب سموم في هذه الحجرة ورجم وصواريخ فإنها لا تنسف طائرة وتترك أخرى بل تنسفهم جميعاً هم وحجرتهم وتزيلهم من الوجود، وهذا ظلم كبير أن يعمد الإنسان إلى الأجيال الطويلة فيهدم أركانها ويزلزل حضارتها ويقضي على وجودها بالمرة...

اللهم عفوك ورحمتك نرجو... اللهم اهدنا إلى سواء السبيل... اللهم آمين.

ما الذي يفيده الانسان
إذا استمر يحكُم يقين العلم القطعي في أموره

لا شيء في الدنيا يخضع لحكمة الإنسان مثل يقين العلم القطعي ولو كان الإنسان متلوناً قلباً ذا انتهاز، ذلك لأنه يعلم أن ما أفاده من حضارة حديثة لا تبقى له وتستمر إلا أذا حكم يقين العلم القطعي في أموره قاطبة، وهذا شأن ما يكون من حقائق علمية هي فوق التصور والتقدير والتوقيت الآن.

قل لي: هل كان الإنسان يتصور في أول عهده بالعلم القطعي منذ القدم أنه سوف يصل بهذا العلم إلى كل هذه الأمجاد الحضارية الحديثة. . . التي يتمتع بها ويعتز، ومن المؤكد أنك تقول حق، حق، هذا.

أجل، حق حق، ما ينيله العلم الحديث إذا استمر علماؤه يحكمون يقين العلم القطعي في كل دراساتهم ومعاملاتهم ومحاكماتهم واتصال بعضهم ببعض، وبالحري في سياساتهم، فالذي ينيلهم إياه العلم مستقبلاً يفوق ما هم عليه الآن من أمجاد حضارية ألف ألف مرة.

أجل لم يخطر في فكر الإنسان في أول وعيه لقيم العلم. . .

١ ـ أن هذا العلم سيفضي به صعوداً إلى سطحي القمر والمريخ. . .

٢ ـ وإلى السكنى في محطات سابحة في الفضاء، الأشهر المتتابعة. . .

٣ ـ وإلى امتطاء مكاكيك طوافة حول الكواكب من أجل مزيد من يقين العلم القطعي. . .

أجل لم يخطر على بال الإنسان أن هذا العلم سيكون منه كل هذه الأشياء، وكذلك ما يكون منه إذا استمر صعوداً في أمجاده الحضارية هذه ولما يقض عليها بحماقة الإنسان العنصري المقلد المتخلف.

فكم هي منح يقين العلم القطعي للإنسان إذا هو كبت نوازعه الوراثية الانعزالية المنتهزة وطفق يؤيد يقين العلم القطعي لأجل بناء صرح السلام في الأرض، وهذا ممكن وليس مستحيلاً أبداً.

أجل هو ممكن إذا هو كبت نوازعه الوراثية الانعزالية العنصرية الحاقدة، وأخذ يغسل مجموعته النفسية غسلاً ينتزع منها كل وراثات الغاب الوحشية المستكنة في أعماقه: من أطماع نهمة ونزوات نفسية لاهية ظمأى إلى عب الدماء والبطش والفتك والتخريب وتدبير المؤامرات الممزقة المتمردة الباطشة الوحشية، وبذلك يكون إنسان السلام، إنسان الأمن، إنسان الخير، إنسان الله: إذعاناً وطاعة وامتثالاً وصدقاً وورعاً.

والآن تستطيع أن تقول إن كشوفات علماء الحضارة على التجربة والمشاهدة، يستطيع أن يخرج الأفراد والجماعات من بؤس الأحقاد إلى رغد المودات، ومن ريبة التقاطع إلى ثقة التعاون، ومن ظلمة المادة وإلحادها إلى نور الطاقة والإيمان بالله جل وعز.

والآن في حضارتنا هذه صعد الإنسان على سطح القمر، وكاد يستوي على ظهر المريخ، طوّف ما نطوف بمكاكيكه حول الكواكب، ومكث الأشهر المعدودات في محطات الفضاء وهو يبحث وينقب عن الأسباب التي بها يتحقق سلام العالم وأمنه وإيمانه ونوره، كل ذلك لحفظ حضارته ومكاسبها، وحياته من الزوال والدمار...

أجل، كل ذلك لحفظ حياته وحضارته، وهذا هو نفس سبب مبالغتهم في الإنفاق على كشف علوم الفضاء ومساعدة بعضهم بعضاً للمزيد من كشف علوم أكوان الفضاء...

وعلوم الفضاء لا يزال أكثرها محجباً في غيوب أبعاده الهائلة... وعلوم أكوان الفضاء ذات مغاليق... وفي نفس الوقت مغاليقها كثيرة جداً جداً ومستعصية جداً جداً، نعم وضع علماء الحضارة الحديثة أيديهم السحرية على أول مغاليقها، وهو

مغلاق باب الذرة المادية ففتحوه ونفذوا منه إلى عالم الطاقة بعد أن كان بابها موصوداً ومرصوداً ومخوفاً، وحوله أحاجي الطلامس وشامخ الأسوار العملاقة...

ومهما يكن فيقين العلم الحديث المشفوع بتجارب المشاهدة لما يبلغ رشده حتى يفكك كل ذرات العناصر المكتشفة بله سواها... ولكن لا يأس أبداً...

واليـأس لا يجمـل من مـؤمن ما دام هـذا الغيب في حجبـه

نعم تحطيم وتفكيك كل الذرات المادية والنفاذ منها إلى طاقاتها والإفادة من طاقاتها في كشف ذوات أكوان الفضاء ليس قليلاً أبداً، كيف يكون قليلاً وفيه معرفة أسرار الوجود، ومعرفة أسرار الوجود لا تقف عند علم الإنسان، وإن كانت هي غاية ما يتطلع إليه طموح العلماء الأعلام في كل الأزمان، وفي كل الحضارات، وهي التي تبذل من أجلها الأموال والأنفس، ومن أجلها تتابع التضحيات المشاهدة...

والآن نحمد الله تعالى ألف ألف مرة... فقد أذن مؤذن الفجر الأول لما اهتدى العلماء إلى عملية تحطيم ذرة الأورانيوم، إذ أطلوا منها إلى عالم طاقتها الهائل الذي هداهم إلى مدهشات المدهشات، وهذا بالنسبة لعالم الطاقات يعد فتح الباب الأول الذي عرفت مكاسبه الهائلة المشاهدة بالتجربة، فما بالكم وأبواب عوالم الطاقات لما تُحْصَ كثرة، وطموح تحطيم ذراتها متتابع ولا يأس... أنى يكون اليأس ووحي الله المعجز من قبل طلب النظر الدقيق فيما يكون في العوالم العلوية وكيفية بدء خلق الأرض وهذه لا تتم إلا بالنظر العلمي الباحث وما يتبعه، لا بالنظر البصري المحدود...

تأمل معجزات هاتين الآيتين الكـريمـتين:

﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ومهما يكن فعملية انفلاق الذرة لأول مرة أفهمتهم جملة من مدهشات الحياة والأحياء وما تشتمل عليه من أنواع عجيبة هائلة...

ومهما يكن فمعرفتهم لتكوين الذرة أفهمتهم أن أجزاءها جميعها مكونة من الطاقة ومرجعها إلى الطاقة التي كونت لأول مرة منها.

من عملية تفكيك ذرة الأورانيوم هذه ومن إطلالهم على عالم طاقتها عرف الذين يعبدون آلهة متخذة من المادة كإنسان وحيوان ونبات وجماد، هم أبعد ما يكونون عن واقع يقين علم التكوين القطعي، كما عرف الذين اتخذوا آلهة من الطاقات الروحية العاقلة أو سواها.

هم كذلك أبعد ما يكونون عن واقع يقين عالم التكوين القطعي... وقل لهم إن الطاقة أي شيء تكون هي محال أن تخرج من دائرة التكوين الإلّهي الأزلي، والتكوين الإلّهي الأزلي هو صاحب العلم الأزلي الكاشف لكل ما كان ويكون، وصاحب الإرادة النافذة بما كان ويكون في كل ما أراد ويريد، وصاحب القدرة المحققة لكل ما كان ويكون وفق ما يريد، وهي لا تتعلق بالمستحيلات كإيجاد الشريك والصاحبة والولد لله تعالى. والله وحده هو المكون وهو صاحب الهيمنة والسلطان المطلق على كل شيء مما كان ومما يكون إلى غير نهاية...

قل هو الله جل جلاله، لا الآلهة المتخذة من الطاقة، فكل آلهة المادات، وكل آلهة الطاقات، من الجنة والملائكة والأرواح ألوهيتها باطلة ولا حقيقة لها في الوجود الحق بل وجودها في الظنون والأوهام والأساطير والتقولات... تفكر وتدبر قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَه بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ. بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ. قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ. وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠ ـ ١٠٥].

لو التزم البشر بواقع العلم القطعي

... ها أنذا أصارحكم يا سادة ـ مقسماً بمكوّن ذوات الوجود ـ الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، والذي تفضل عليه فجعله حر الإرادة، من أجل أن يكون المخلوق الممتاز في مباشرة تصرفاته الداخلة في إمكانه...

وزاده الله جل وعز في الفضل، فجعل مجموعته النفسية فوق سائر مجموعات نفسيات الحيوان... فوقها بالعقل المستوعب لكل ما كان ويكون من عين وقائع عالمنا هذا المحققة التكوين، واستيعابها بيقين العلم القطعي الخالي من كل خلل وزيادة ونقصان ممكن.

ولولا صبغة العنصريين الذين يتخلفون عن الحضارة في كل زمان ومكان بانطباعات مواريثهم الغابية الفتاكة الحذرة المتربصة، لكانت كل مكاسب الحضارة الحديثة وكشوفاتها لعوالم الطاقات وتحطيم الذرة وما إلى ذلك، بعض مكاسب الحضارات القديمة كحضارة اليونان ومصر والصين والهند وبابل وآشور.

ولكن هيهات هيهات أن يحدث ذلك ولدى كل حضارة سلفت حظيرة هؤلاء العنصريين المتخلفين المقلدين الذين يهدمون عن عمد وإصرار كل سلام إنساني مشيد في حضارة، بحكم عوائق مجموعاتهم النفسية المتحجرة المتربصة.

والآن أعود فأقسم بجلال مكوّن الأكوان الواحد السرمدي جل وعز، أقسم قسم إنسان مسؤول عن قسمه وما ينجم عنه... لو أن البشر كل البشر، التزموا

واقع يقين العلم القطعي .في كل مغاملاتهم وتصرفاتهم وخلافاتهم وسائر صلات بعضهم ببعض كأفراد وجماعات لما تأخرت هذه الحضارة الحديثة التي فتحت لهم أوسع أبواب المعرفة القائمة على يقين العلم القطعي وصدق واقعه الذي يشاهد بالتجربة والبرهان في كل ما كان ويكون من شؤون تطورات هذا الوجود الحادث الذي نحيا فيه بالقدر الذي أراده جل وعز.

نعم تأخرت حضارة الإنسان العامة كل التأخر، حتى استطاعت أن تحطم الذرة المادية وتنفذ إلى كيان الطاقة المحضة المكونة منها الذرة في عصرنا هذا، لأن كثافة ظلمة الذرة المادية كانت تحجب عالم الطاقة الذي تدور عليه حقائق الوجود، وناهيك بقوة الطاقة من قوة حَسْبُها أنها كونت القنبلة الذرية التي قضت على الحرب العالمية الثانية وأنهت ويلاتها المخيفة المرعبة في لحظات.

نعم أنهت الحرب في ظاهر قصاصات الاتفاقات السلمية، ولكنها لم تنهها من النفوس، فاستمرت الدول عامة، والكبرى منها خاصة يواصل علماؤها الإعداد الكبير حتى وصلوا إلى القنبلة الإيدروجينية، والقنبلة الكوبلتية، والصواريخ عابرات القارات... وحتى وصلوا في إعداد عدد القتال إلى آفاق السماء فأسموها بحرب النجوم.

ومثل هذه الحرب التي هي حرب النجوم لا يبقى بقية في الأرض، وهذا معلوم لهم كل العلم وهم يستوعبونه أكثر مما نستوعبه نحن بملايين المرات، ونسوا أن الحضارة المشيدة بيقين العلم القطعي الذي قيدوا به أنفسهم هي يد من أيادي السلام وعلم من أعلامه، على أنه لو لم يكن ثمة سلام حقيقي لما كان ثمة حضارة حقيقية مشاهدة...

وهل تسمى الحرب حضارة ولو كانت حرب النجوم التي يحذرها قادة العالم قبل سواهم من أفراد البشر وجماعاتهم، وهي التي في واقع الأمر تخرب البلاد وتبيد العباد وتجعل الأرض أخاديد وقيعان وسيولاً من الدم وكثباناً من لحوم البشر.

لا، لا، إن الحرب هي الحرب كما قال زهير من أكثر من ألفي عام:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم

وإن السلام هو السلام كما قال الله سبحانه وتعالى . . .

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة﴾ [البقرة: ٢٠٨].

والحقيقة أن زهو الحضارة وقوامها وحقيقتها لا تقوم ولا تستمر إلا على قواعد السلام وأصوله، لأن الحضارة توحي أبداً بالسلام، ولولا انحطاط أكثر البشر عن إدراك جلال السلام ومنافعه لهم، لولا ذلك لما خرج ديوجينيس يحمل فانوس السلام ويطوف به في شوارع أثينا ويقلبه في أوجه الغادين والرائحين لعله يظفر بإنسان السلام في الأمة اليونانية المتحضرة في عصره، فلما لم يظفر به في الأمة المتحضرة أدركه اليأس إذ محال أن يكون في الأمة المتوحشة . . .

واعتزم أن يعتزل الناس جميعاً، مؤثراً أن يتمتع بضوء الشمس على شاطىء البحر وهو في كفاية واعتزاز بشعلة السلام المتقدة في صدره غير مكترث بأحد.

وأية كفاية وأي اعتزال أكبر من أن يزوره الإسكندر في معتزله على شاطىء البحر ويطلب إليه أن يؤازره في ملكه ويكون عوناً له ووزيراً فرفض ذلك وطلب إليه أن ينصرف حتى لا يطول حرمانه من ضوء الشمس، فراع الإسكندر من هذا الفيلسوف الداعية إلى السلام ما راعه حتى اضطر أن يقول كلمته المشهورة: لو لم أكن الإسكندر لما تمنيت إلا أن أكون ديوجينيس . . .

وأي إنسان ولو كان «موميا» بتقاليد البشر والعنصرية المتخلفة لا يتمنى من أعماق قلبه أن يبلغ قمة إنسانية السلام التي بلغها ديوجينيس.

أجل ميز الله الإنسان أياً كان بالعقل الذي جعله يميز بين منافع السلام، ومضار الحرب، وبين سمو يقين واقع العلم القطعي، وبين انحطاط الجهل والتجاهل بين المنحطين. وهذا التمييز هو الذي حدا بالبشر إلى دعم خمسة أركان . . .

١ ـ الأخذ بيقين العلم القطعي في كل أمورهم.

٢ ـ دعم التعاون العلمي الموصل إلى أعمال الحضارة ورفاهية الإنسان وأسعاده في كل اتجاهاته.

٣ ـ التجمع والتوجه والتفاهم والتعارف.

٤ ـ دعم السلام وهدم الحرب.

٥ ـ التخلص من عُدد الحرب بالثقة المتبادلة بين من بأيديهم أمرها.

ومـوضوع تخلص البشـر من عُدد الحـرب المكنوزة في سـراديب الأرض ومخازن الجبال وخفي المختبرات، هي أخطر مسألة في مجال تفكير قادة الأمم الذي بأيديهم أمرها.

ولا يدري أحد هل يصلون إلى التخلص منها قبل أن تنفجر أم لا؟... هذا الأمر هو في علم الله وحده...

لا خلف بين يقين العلم القطعي وبين يقين الوحي القطعي

محال أن يكون ثمة خلف بين يقين وحي الله القطعي، وبين يقين العلم القطعي، ما دام من المؤكد المسلم أن هذا الوحي هو كلام الله القطعي، وأن هذا العلم هو يقين علمه القطعي في واقع الوجود الذي بمقتضياته تكونت ذوات أكوانه المادية والطاقية معاً.

وإذا سألت عن أيهما أحق بالتقديم والالتزام؟ الجواب أنه لا يرتاب ذو فكر ناضج واع وذو علم محرر نقاد مدرك ليقين علم الله ويقين علم التكوين، أن ما جاء به يقين وحي الله القطعي الصحيح، هو أسبق في الوجود الحادث وأكوانه لأنه أزلي وبأحكامه ومقتضياته تكونت الأكوان قاطبة، فكيف يقدم عليه علم الإنسان الحادث ولو كان قطعياً، بالمشاهدة والتجربة فهو على كل حال محدود ومتغير، ومن أجل ذلك لن يكون هو المقدم، فقط يستأنس به لبيان معجزات جلال وحي الله الأزلي، وليعلم أن وحي الله قبس من علم الله الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل، إذ لو تغير علم الله أو تبدل لانقلب علمه جهلاً وهذا مستحيل في حق علم الله الأزلي الجامع لما كان ويكون من قبل خلقه للأكوان.

وما دام هذا الوحي الإلّهي القطعي الموحى إلى خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، هو قبس من علم الله الأزلي، ناهيك وعلم الحضارة القطعي جاء متأخراً ومتطوراً، وما دام التطور سمته التغيير فلا يجوز أن تؤول آيات الوحي القطعي به وتجعله هو الأصل المعتمد، بل ما جاء موافقاً له من علم الحضارة اليقيني التكويني

اعتبرناه إعجازاً لوحي الله المنزل... وما لم يوافقه اعتبرناه لا يزال في دائرة الظن والفرض والتقدير والتخمين.

وقد تأخذك حماسة الإيمان إلى أرفع مآخذها وأسماها فتهتف من أعماق مجموعتك النفسية وأنت متوجه إلى الله جل وعز ومردد آياته بكل إيمانك وبكل وعيك هاتفاً... ألا إن هذه الأكوان إنما كونت بعلمك وقدرتك وإرادتك وهيمنتك وسلطانك يا الله يا رب العالمين...

والله جل جلاله يشهد بذلك والمؤمنون كافة والملائكة وأولوا العلم الأعلام، إقرأ وتدبر واعلم أن لا شهادة أكبر من شهادة رب العالمين الذي أنزل الوحي بعلمه المحكم الأزلي...

﴿لَكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٦٦] أجل كفى بك يا إلّهي شهيداً، ونحن عبادك نشهد أن هذا القرآن نزل بعلمك الأزلي فما وافقه من العلم المكتسب الحضاري أخذنا به وعرفنا أنه حق واقع في الوجود، وإن خالفه عرفنا إنه لا يزال يخوض في لجج الظن، ومهما يكن فعلماء الحضارة الأعلام يدركون أن علمهم بحقائق خلق الكائنات لا يزال طفلاً يحبو في رمال شاطىء بحر المعرفة، ولما يبلغ أعماق اللجج السحيقة المترامية في غيوب أبعاد الوجود.

وإني أقدم بعض الأمثلة لبيان ما قلت ليكون في استيعاب من له قناعة إيمان بما جاء في علوم الحضارة الحديثة، وبما جاء منصوصاً عليه في علم الله الأزلي في خاتم الكتب السماوية المؤكد أنه غير محرف ولا زيادة ولا نقصان...

المسألة الأولى

إن جميع من كتب قبل الإسلام واستمر يكتب بعده أن العناصر هي أربعة لا غير: الماء والهواء والنار والتراب، والله جل وعز لم يحدد في وحيه هذه العناصر الأربعة التي اصطلح عليها العلماء قديماً، لأن الله يعلم أنها أكثر من أربعة، وتقدم العلم متطوراً حتى اكتشف أنها تجاوزت المائة بمراحل.

المسألة الثانية

إن الحديث عن جغرافية الأكوان وخلق عوالم السّمٰوات والأرض والمجرات والنجوم والأقمار هي في الكتب اليونانية القديمة ومن أخذ مأخذهم جغرافية خرافية لا أصل لها. وقد تطور العلم فأبطل فكرة العقول العشرة التي كانت ركيزة أساسية في جغرافية السماء لدى اليونان ومن نهج منهجهم وانتهوا إلى أنها جغرافية لا يحيط بها إلا الذي كوّنها، والآيات المنزلة في ذلك أخذ العلم المبني على المشاهدة والتجارب بعد اكتشاف كثير من الكواكب وتحليقه حولها بمكاكيكه ونزوله على سطح القمر وسكناه في محطات الفضاء أخذ هذا العلم يكتشف شيئاً فشيئاً ما جاء في خاتم الوحي الإلٰهي القرآن المجيد، ويكفي لكي ندرك أن علم الله هو الحق وأنه هو المحيط بكل شيء أن نتلو قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

وكلمات الله جل وعز هي كائناته التي أوجدها بإرادته وعلمه وقدرته وهيمنته وسلطانه...

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

ألا ترى أن الناس ظلوا متمسكين بما ذكره علماء الفلك من اليونان وتقيدوا به وبعقوله العشرة وبالآلهة وأنصافها، لكانوا غائصين في بحار من الأساطير والخرافات.

المسألة الثالثة

إن الناس جميعاً في الزمن القديم كانوا يعتقدون أن فرعون موسى قد غرق في البحر وأكلته الحيتان، ولكن لما أنزل الله خاتم كتبه السماوية القرآن المجيد أفهمنا أنه حين نجّى بني إسرائيل من الغرق حكم على فرعون وجنوده بالغرق إلا أنه سبحانه وتعالى نجّى فرعون من الغرق بعد أن مات أي نجّى بدنه ليكون آية من الآيات على أن الله هو علام الغيوب وأنه المحيط بكل شيء، واتلوا معجزات هذه الآيات وتدبروها لفهم الحقيقة:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ. آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ. فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩٢].

والحمد لله فقد ظهرت الآية المعجزة التي أشار إليها القرآن لما اكتشفوا جثة فرعون موسى محنطة بين توابيت الفراعنة، ورأيناها والحمد لله حين زرنا المتحف الذي فيه جثث الفراعنة المحنطة في توابيتها.

لذلك لا يجوز أن نقدم أمراً من الأمور مهما كنا واثقين به على وحي الله جل وعز، فتقديمه كفر صراح وبُعد عن الإيمان الصادق وصغار في الفكر والعلم، لأن الحقيقة أبداً تظهر ولو بعد حين، ما دام وحي الله هو الذي يؤكدها، ومن هذه الحقائق قصة دابة الأرض التي ذكرها الله جل وعز في هذه الآيات...

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الحَقِّ المُبِينِ. إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ. وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ. وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٧٩ - ٨٥].

المسألة الرابعة

كان الناس يعتقدون أن اليهود أغروا الرومان لقتل المسيح بالصلب وأنهم استطاعوا بإغرائهم أن ينفذوا فيه الصلب قتلاً ولكن القرآن المجيد حين نزل على خاتم رسل الله أفهمنا أن هذا القول إنما هو قولهم بأفواههم، أما سيدنا المسيح فهو أعلى وأجل وأرفع من أن يتغلب عليه حثالة من اليهود والرومان أو سواهم فيصلبوه ويقتلوه.

أجل ذكر الله جل وعز لنا في ذلك في معجزات آياته وكشفها لنا ونحن آمنا

بها وصدقناها لأنها هي الحق المبين في هذه القضية العويصة التي كثرت من حولها الأقوال، على أنهم لو قتلوه صلباً حقيقة ومات كما تموت الأنبياء والبشر وسواهم فكيف يجتمع بزمرة من تلامذته بعد زعم الصلب ويتحدث إليهم ويتحدثون إليه كما هو ثابت في كل الأناجيل على اختلاف رواياتها وتباينها، راجع إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرون، وإنجيل لوقا الإصحاح الرابع والعشرون وإنجيل يوحنا الإصحاح العشرون، تجدهم مجمعين على أنه لم يقتل صلباً بل تحدث إليهم وتحدثوا إليه... قائلاً لمريم المجدلية... لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي... ومن رجع إلى الأناجيل السابق ذكرها يجد صدق النصوص في اجتماعه بتلامذته صريحاً، ومن صلب وقتل يقيناً محال أن يجتمع...

أما الزعم أن الذي اجتمع هو الروح الإلّهي، هو الله، الذي كان حالاً في المسيح فهذا القول إنما يؤمن به من يعتقد أن الله روح يحل في الأشياء، وأي أشياء؟ أشياء الأرض التي هي ذرة بين أكوان الوجود، بل هي دون الذرة، بل كل الأرض لا تعدل عند الله وبين عوالمه الكبرى جناح بعوضة.

لذلك يا أخي إن كنت عالماً ومفكراً ومتحرراً ومنطلقاً من أغلال تقاليدك فاتل معي هذه الآيات بكل صدق وتدبر وخشوع، فهي تكشف لك الحقيقة، كما وقعت في واقع الوجـود:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

أجل لم يقتلوه يقيناً ولم يصلبوه يقيناً، لأن سيدنا المسيح عليه السلام في قوة هائلة من الروح التي خلقها الله ونفخها في جسده، بل شُبه لهم ذلك فظنوه ظناً، أما سيدنا المسيح فرفعه الله إليه فهو يعيش بقوة روحه في السماء كما تعيش الملائكة وحينما يأتي الأمر الإلّهي ينزل كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع

المجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». وهو حديث متفق عليه...

ومهما يكن فسيدنا المسيح لم يقتل ولم يصلب يقيناً بل ظنوا ذلك ظناً، ونحن نؤمن بذلك كل الإيمان، ولا يتم إيمان مسلم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبما جاء به رسول الله ﷺ، إلا إذا آمن بقوله عليه الصلاة والسلام...

«من شهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ولو أردنا أن نستقصي الأمور التي كانت أساطير وخرافات قبل الإسلام وحققها وحي الله وكشفها في معجزات آياته لاستغرقت موسوعة ضافية من المجلدات.

ويحسن أن نُفهم الذين يجهلون عظيم معجزات الله وتصحيحها لما كان بين الناس من أغلاط ومن خرافات ومن أساطير، وهذا التصحيح هو آية الآيات على أنه كلام الله الحق الموحى من محراب قدسه وجلال عظمة وجوده جل وعز.

أجل، لقد كان البشر قبل نزول خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد أهل ظنون وأوهام وأهل تقاليد وموروثات باطلة، طلبوا آية لكي يؤمنوا بأن هذا القرآن هو من عند الله، ولو عقلوا لأدركوا أن هذا التصحيح الذي عرضنا جانباً منه، وسنعرض إن شاء الله جانباً آخر أوسع فيه كفاية بل ألف كفاية لمن يطلب المعجزات البينات أنه وحي الله جل وعز.

أجل أنزل الله آياته على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ مبيناً له ما في الصحف الأولى من انحرافات عن يقين العلم ومن دس دخل فيها كثير من الأساطير والخرافات فأنزل الله جل وعز هذا القرآن ليميز يقين العلم القطعي الذي في الصحف الأولى عن سواه من مواريث الفكر المنحرف ومن ظنونه وأساطيره التي زجت فيه زجاً، حتى أصبحت أساطير تقاليد ومعتقدات، لأجل ذلك اتْلُ خاشعاً مؤمناً متدبراً هذه الآية المعجزة العظيمة التي يقول الله جل وعز فيها:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

وكذلك أضف إليها قوله تعالى:

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢].

وهذا بيان لما يحمل القرآن الكريم من التوجيه العلمي الجلي... وأخيراً، ينبغي أن يكون الجهاد بالقرآن وبأهدافه ومثله وتصحيح عقائد البشر والسمو إلى أمجاد الحضارة وما إلى ذلك هو أكبر الجهاد الذي تبذل من أجله الأموال والأنفس، وتجري لقضاياه الأقلام وتتوقد حوله الأفهام، لما فيه من سعادة كل الناس، وأمن وسلام ومودة وصدق وإيثار وتعارف وتآلف.

لا ألغاز لدى قطعي العلم البين

ألا ترى أن الألغاز لا تكون إلا لدى طمس حقائق الأشياء الصارخة البينة أبداً...

هل سمعت أحداً يقول في النهر الجاري، أو في المطر المنهمر، أو في شمس الضحوة ألغاز...؟

أنى تكون الألغاز والماء يجري صافياً بين يديك...؟ وأنى تكون الألغاز والمطر ينهمر غزيراً عليك...؟ وأنى تكون الألغاز ولمعة الضحوة النيرة تتلألأ حواليك...؟

الألغاز يا أخي لا تكون ولن تكون إلا بصنع المفسدين المعتدين من أجل طلمسة حقائق الإيمان الصريحة...

وكم، وكم، من حقائق ثابتة صريحة مفاهيمها الصحيحة رصدها الجاهلون والمتجاهلون معاً، وغيروا وبدلوا ما شاء لهم التغيير والتبديل بأهوائهم حتى خفي من جرائهم كثرة من العلماء وجه الحقيقة المشرق، ولولا رحمة الله بيقين العلم وتأييده برجال علماء آتاهم الله الصبر على البحث والتنقيب مضافاً إليها الإنسانية البصيرة المرابطة، لما انكشف يقين العلم القطعي لأهل الحضارة الحديثة.

والحق أنه لا ألغاز إلا حيث تحيط بخاتم الوحي الإلّهي المتواتر مفاسد الأقوال المضللة والمطموسة بظلمة الأحاجي عن يمين وشمال، حتى لا يبقى من أثر صحيح يدل عليها.

ألا تعلم أن رفيقاً من المنتهزين الملاحدة هم ينحرفون بالجماهير عن صحيح الإيمان ينحرفون بهم بثلاثة أشياء مجرمة...

الأول: بجحود الإلحاد الذي يدسونه في يقين العلم إفكاً وزوراً.

الثاني: بأساطير الآلهة المتخذة من الأرواح المدعمة بخوارق كهنة الجن والإنس وترهاتهم وأحلامهم البهلوانية السادرة.

الثالث: بتأويلات نصوص وحي الله الصحيح بمزاعم تهاويل كهنة الشرك والوثنية، وبالمبالغة في دسائسهم.

ويحصل كل هذا بعبث نزوات الغواة والمجان ومداخلهم ومخارجهم وخلواتهم بهم، وأضف إلى ذلك كله مراوغة إخوتهم الأبالسة بمآثم توجيهاتهم الموبوءة المعدية، وبغسلهم للأدمغة الشابة حتى لا يبقى في الأمة من يفكر لمستقبلها تفكيراً واعياً سديداً يقيها شر مصارع السوء والسقوط في المهالك حيث يساقون إلى مسالخ بدع الهدامين المجرمين لتمزيقهم ولإبادتهم بالخلافات والخصومات والأحقاد والضغائن، وهنا تتفاقم الألغاز المرصودة والأحاجي المدسوسة والزيغ المتمرد على الحق، والعلم والوعي والهدى.

أجل في كل ذلك تكون الألغاز والأحاجي والطلاسم، من أولئك الذين يخترعون الأساطير والخوارق والأوهام والظنون ويكثرون حولها الألغاز والخبائث والشعوذات والتفاسير الأسطورية وتأويلاتها المضحكة المضللة في الملل الوضعية السائدة ونحلها وأنواعها وضروبها، ويقدمونها لكل من يرى ويشاهد، ويمكن أن ينطبع بطابعها... وناهيك بها من تأويلات متكاثفة ككثبان الصحارى وسهوبها ومغاراتها وأخاديدها.

وكم وكم، تجد في ذلك من مؤلفات ومسطورات ومدافن عاديات... ألا ترى كل ما تحدثت به إليك هو السبب لوجود هذه الأسداف من ألغاز التأويلات والأحاجي القريبة والبعيدة.

وهكذا تتفاقم مزاعم ترهات الآلهة المتخذة من المادة والطاقة بكل أراجيفها ومحنها وبلاياها وانتهازاتها المسيطرة والموجهة بالألغاز من هنا ومن هنا، وما هي إلا

رفرفة من أشباح الشياطين وخرافاتها وأساطيرها وأوهامها المحتشدة في الوجود المجهول وأشباهه ملء الأزمنة والأماكن.

ومن هذا السبيل تربو وتتضخم الألغاز والعقد والأحاجي حتى تخفى على العقول والنفوس تفسيرات الأشياء وتأويلات حقائقها.

وهكذا تجد العلم القاصر والجهل الفاضح والفكر المقلد الساذج والإمّعية الغافلة المنقادة لكل مهووس ومعربد ومارد وانتهازي فاجر مرتكب من الإنس والجن.

وهكذا تتآلف غباوة الإمّعيات وانتهاز الكهنة، وتظل تعمل أعمالها المتخلفة الرديئة في أنفس الجماعات والأفراد ما دامت أفكارهم ترسف في أغلال التقاليد الهدامة وفي سلاسل الظنون والأساطير وفي خِرَب الجن وملاعب أحلامهم وفي خوارقهم المكيفة حسب تفسيراتهم المبيتة المسحورة بصنع الجاهلين والمتجاهلين.

ويتضخم في أنفسهم ظنون معتقداتهم حتى يخالوا أنفسهم أنصاف آلهة وخوارق غادية رائحة، وشخوصاً تطوف حولهم الزمر بأصوات الأبالسة وصراخها في متاهات الظلمات.

كل ذلك للتضليل عن رشد الحق ولطمس معالم السبل ولإخفاء سلام الإسلام... وإلقاء الصخب واللجب والزلازل وحواجز كثبان تعلو وتهبط بها عواصف صحاريها ومسارب سهوبها ورجم جلامدها وسيول ودقها المنسكب الهدار...

وكل ذلك مجالاته وساحاته مزاعم وأساطير آلهتهم المهيمنة عليهم بسعار الطاعة وشد زمام الانقياد، أما هي في زعمهم آلهة متخذة من سطوة أرواح الطاقة ومن ضخامة شخوص التماثيل التي تسكنها؟ ومحنها وبلاياها وانتهازاتها في أيدي كهنتها وسدنتها العاكفين على قداستها وتلاوة تعاويذها التي هي ألغاز وأحاجي وترهات وهوس وإفك، وكل ذلك مدون في آلاف آلاف المجلدات المرصودة في كبرى المكاتب الكبرى. ادرس ما شئت أن تدرس منها وإن عييت فهلم إلى هذه الكلمة الجامعة التي هي خلاصة كل ذلك حسبك حسبك هي...

مصادر معتقدات البشر كافة

يجب على كل إنسان يملك أثارة من العلم، ويملك فكراً ونظراً في حقائق ذوات الوجود. أن لا يؤمن بأية عقيدة إيماناً تقليدياً أعمى... دون أن يعلم حقيقة العقيدة التي ورثها عن أبويه، وآمن بها، وأخلص لها... هل هي عين الواقع العلمي؟ وهل هي عين يقين واقع وحي الله الحق... أم لا...؟

وحرام عليه وانحطاط أن يقول: لا أدري إذا كان عالماً مصدر عقيدته. ومهما يكن فما دمت إنساناً حياً تملك ضميراً واعياً... وعقلاً راجحاً... ونفساً تواقة للحق والعلم الصحيح والوحي الصحيح، نتعرف إلى مصدر عقيدتك وامتحن صحتها لأجلك قبل سواك من الناس، امتحنها أنت بنفسك، لا لأبويك اللذين أورثاها لك، فإن ثبت لك أنت أنها واقع البرهان العلمي الصارخ المسلم به لدى العلماء الأعلام المشهود لهم في كل الأوطان، فإياك إياك أن تستبدلها بسواها.

وإن ثبت لك أنها هراء وهواء وظنون وأساطير وترهات متوارثة. فاحذر أن تظل مؤمناً بها، فإنها تضرك وتضر سواك كإنسان يعيش في عصر حضاري سلمي رائع.

أجل تضرك وتجعلك متخلفاً عن ركب الحضارة الصاعد... لعلك تقول أنى يتسنى لي الدراسة الواعية الخالصة التي أستطيع أن أميز بها بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب وبين عقيدة الوراثة والتقليد والتلقين، وبين عقيدة العلم والدرس والنظر.

أقول... الاستطاعة بسيطة جداً، انظر كتاب «علم دراسة الأديان»، وانظر جملة القواعد التي يستطيع بها الدارس أن يميز به ويهتدي إلى ما يريد. وهذه هي مصادر العقائد المنتشرة في الأرض.

والمصادر أربعة حسب الترتيب الآتي:

الأول: الإيمان الخالص من الشرك والوثنية.

الثاني: الشرك...

الثالث: الوثنية...

الرابع: الإلحاد...

الأول: الإيمان الخالص من الشرك والوثنية

هو إيمان بوحدانية الله وأزليته وأنه الخالق لكل شيء. وهو ليس كمثله شيء، وواحد ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وهو الأزلي وحده، أما ذوات الأكوان المادية والطاقية فهي حادثة، وهو الذي أحدثها بعد أن لم تكن...

الثاني: الشرك

المشركون خلطوا بين ذات الله الأزلية التي ليس كمثلها شيء، وبين ذات الطاقات الحادثة كالملائكة والجن والأرواح وسواهما، وهذا الخلط أدى بهم إلى الشرك فكل ذات يُؤلهونها ويعبدونها زاعمين أنها حال فيها روح من الله وتقرب إلى الله زلفى... ولو كان المُؤلّه المعبود ذات بقرة أو حجر أو قمر أو شمس أو كواكب أو إنسان أو نبات، فجملة عقائد الشرك ترجع إلى هذا المصدر بالذات.

الثالث: الوثنية

والوثنية أضر من الشرك لأنهم يعتبرون الذات المؤلهة المعبودة لهم في كائن هو ذات الله فعلاً بدون شك أو بدون اعتراف بأن ثمة ذات عليا هي ذات الله، لأنهم يعتبرون ما ألهوه وعبدوه هو ذات الله العليا فعلاً. كما قال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

الرابع: الإلحاد

يعتبرون أن المادة والطاقة المكونة منها ذوات عوالم الوجود المادية والطاقية ليس لهما من مكون أزلي حقق وجود ذواتها الكونية. بل هما حققا كل ذلك بكل

ما تشتمل من مخططات وعجائب، وإذا قلت كيف تكون المخططات بدون ذات مخططة، يجيبونك ببرادة وبلادة وسخافة هي خططت نفسها بنفسها أي هي إلّهة نفسها.

وهكذا يعتبرون كل ذات هي إلّهة نفسها وبذلك يجحدون وجود الله الأزلي. وإن كانت كل ذات تحمل آيات ودلائل في تكوين الله لها، صارخة بالإيمان بمكونها العظيم جل وعز...

ومهما يكن فالبشرية لم تصب في عقولها وضمائرها بأشد البلاء والوثنية والغرور والكبرياء والعجب إلا من جراء هذا الالتواء في الفهم والسخافة في الوعي وطرح يقين العلم.

والخلاصة... من هذا البحث هو أن تعلم أن معتقدات البشر كافة في سائر الأوطان منبثقة من هذه المصادر الأربعة...

الأصول التي بها تحرر عقائد البشر

ما دمت عرفت مصادر عقائد البشر، فإن علمك بالأصول التي تفصل لك ماهياتها وتجعلك تعلم حقائقها ومكانها في يقين العلم.

وهذه الأصول لا بد من استيفائها والاطلاع عليها واستيعاب وعيها. وإحصاؤها سهل جداً ولا صعوبة فيه.

اقرأ في كل ليلة ساعة قبل نومك فصلاً من فصول هذا المؤلف الجامع لأهم علم دراسة الأديان...

والعلم يرضي ولا يسخط ويسعد ولا يشقي وينفع ولا يضر... ويكشف لأفكارك الحقيقة بكل تواضع دون أن يرغمك على الأخذ بها، ويريك طريق الحكمة والرشاد ويوصلك إلى الأبواب المفتوحة للخلد والحق والرشد والإنسانية والسلام، ولكن دون إكراه.

ما دام الله زودك بالحرية فلا يغتصبها منك أحد، وأهم ما في علم دراسة الأديان هذا هو بحث الأصول التي تحرر بها عقائد البشر، فالمعتقدات إذا لم تحرر من أغلال التقاليد والموروثات، والأنانيات والاعتسافات، والتواطؤ على التزامها والانتصار لها، ولو كان السِّوى أصدق حقيقة منها وأظهر برهاناً وأوثق علماً وأصلح للفرد والجماعة وأسعد للإنسان وأسلم للسلام وآمن للأمن وأرغد للعيش لأن الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره، وسمو النفس يحزن صاحبه إذا شاهد أخاه يستنشق السموم وهو مغتبط بها ويخوض في وحول معتقده، هانىء به ويرسف في

أغلال تقاليده وهو يتغنى بحريته، ويتمزق بطعنات عنصريته وأمته الإنسانية وهو يحسب أنه الحكيم الإنساني السلمي الجامع...

إذن فلا بد من إعطاء بعض الوقت لدراسة هذا المؤلف فإن شاهدت به عنصرية أو زيادة أو نقصاناً للواقع العلمي أرشد به وأعلنه لعل الله يكشف بك عمى الجهل والتواء القصد... الذي يصاب به بعض مرضى النفوس من حيث يدرون أو لا يدرون...

والله هو الهادي إلى سواء السبيل...

الحيرة العقائدية وأسبابها

هب أنك كنت تسري في صحراء الربع الخالي في ليلة ظلماء أو قمراء سيان وأنت تقصد مكاناً بعينه. ولكنك تجهل أي الجهات تسلكها إليه.

ولا دراية لك بعلم النجوم... لتهتَدي بها إليه، لا ريب أن الحيرة تتقد في صدرك اتقاد ضرام البركان ويجري حممه على لسانك ورجمه.

وأنت هنا بين أمرين إما أن تظل تجري وتجري في هذه الصحراء على غير هدى حتى يدركك الموت فتهلك وأنت محتار...

وإما أن يرسل الله إليك من يهديك إلى الطريق وينقذك من الحيرة، ويوصلك إلى مأمنك.

هذا مثل أقدمه بين يدي المطالعين لمن قذفت به الأقدار في صحراء كبرى، لا يدري سالكوها عن مصايرها شيئاً، وهو بالتالي مثل لمن عاش في صحراء الحياة وبين يديه ظلمات تغشاها ظلمات، وريب أفكار تعقبها ريب أفكار...

ولكن متى وافى الحيري الهادي إلى سواء الطريق فرحوا وأيقنوا أنهم جميعاً نجوا من الهلاك المحتوم.

أجل نحن البشر نسير فرادى وجماعات في صحراء الحياة، نسير تائهين لا ندري المصير، لولا أن الله أنعم علينا بإرسال رسله هداة ودعاة إلى الخير والهدى لهلكنا حيارى في مصايرنا.

وقد أجاب الدعوة من أجاب ونجا، وأعرض من أعرض فكان من الهالكين.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وهنيئاً لمن سمع نداء الإيمان فأجاب. . .

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

الايمان العلمي الصريح لا ألغاز فيه

كل الحقائق المؤيدة بيقين العلم القطعي الصريح لا ألغاز فيها ولا أشباه ألغاز... لأنها واضحة صريحة، يفهم المراد منها بمجرد سماعك لها أو قراءتك...

ألا ترى نفسك إذا قال لك قائل عند طلوع الشمس: الشمس تطلع، هل ترى في قوله ما يدعو إلى الاستفسار، إذ لا غموض فيه ولا إبهام ولا لبس...

وكذلك لو قال لك آخر وأنت تشاهد بقرة كبيرة الضرع كمية لبنها وافرة... هذه البقرة لبنها غزير... فهل ترى في قوله هذا لغزاً أو ما يشبه اللغز ويدعو إلى تساؤل وتفسير وتأويل وأخذ ورد...

وهكذا فالوحي الإلٓهي لا ألغاز فيه، ولا أحاجي، ولا طلاسم، لأن المراد منه صريح وبيّن وكله هدى ونور وحق وعلم من علم الله جل جلاله.

أجل وحي الله هو من علم الله جل جلاله، وهو صريح كل الصراحة وحق كل الحق وصدق كل الصدق ويكفي المفكر الطلعة الطموح البحاثة الإيمان به لأنه مبني على يقين العلم القطعي، ولا ألغاز فيه ولا إبهام، ناهيك والإيمان الأسطوري، كله ألغاز وأحاجي وطلاسم، وهو أبعد ما يكون عن يقين واقع العلم القطعي.

انظر: هذه أكوان الوجود، ألا تراها سافرة تشاهدها الأعين المجردة من قبل المراصد والمراقب ومن قبل محطات الفضاء، ومن قبل طواف المكاكيك حول

الكواكب، وهي صارخة بجلال الله مكونها بعلمه وبقدرته وإرادته وهيمنته.

ولكنك إذا أخذت تنسبها إلى بعض الذوات المادية من إنسان أو حيوان أو سواهما أو إلى بعض الذوات الروحية الطاقية من ملك أو جني أو شيطان أو روح أو طاقة من الطاقات الحية التي تحل في الأحياء، فإنك تدخل في متاهات من مجاهل الألغاز، وفي ظلمات من كهوف الكهنة، وفي أحاجي من طلاسم ترهاتهم، وفي سحيق أبعاد من الرجم والسدم.

وهنا تكثر الأقوال المتناقضة في أقاصيص الأساطير المتحاجزة، وفي تهاويل خوارق الأحلام والمفتريات... وتظهر العصبيات وتكثر الخصومات وتتفاقم الأحقاد، وكل ذلك يفضي إلى سعير التقاتل وإراقة الدماء، وكم وكم، هم الهبل الهمل الإمّعات... وكم وكم هم... أجل هم في الدنيا كثيرون...

لعلك تقول ألا إنهم هم السخفاء الذين لا يميزون بين البعرة والبعير، والبحر المحيط وسرابه الخداع... ألا إنهم هم السذج المهابيل الذين إذا شاهدوا مواهب الطاقات الفذة الجبارة التي يخص الله بها بعض البشر تأخذهم دهشة الاستغراب وحالاً تغشاهم نزعة التأليه وغباوة العبادة والتقليد، فيؤلهونهم ويقدسونهم ويعبدونهم من دون الله... ويقدمون لهم ما يستطيعون تقديمه من القرابين حتى أنفسهم وولدانهم ويخافونهم أشد الخوف، وبالحري إذا كان من ألّهوا وعبدوا بشراً جبارين فتاكاً...

اتّقاد نزواتهم براكين ثائرة... وقد ألّهوا وعبدوا غير أولئك بعض المشعوذين وأجلوا أقدارهم...

وقد ينسبون الألوهية إلى الأبقار والثيران والشموس والأقمار والعجول والتيوس وزد على ذلك ما هب ودب.

... وقد أفاد من سذاجة السذج وغباوة الأغبياء بعض المنتهزين الجاحدين فنصبوا أنفسهم كهاناً وسدنة، وأخذوا يضعون حول ما ألّهوا وعبدوا ألغازاً وأحاجي بالإضافة إلى دعوى الاقتدار على الإحياء والإماتة، والتوسعة في الأرزاق، ومنح البنين والبنات، ونيل مفاتن المشتهيات والنزوات إلى إضافة أكوام وأكوام من مزاعم الخوارق ومفتريات الأساطير.

وما تزال هذه المعتقدات الأسطورية سائدة لدى بعض البدائيين والإمّعات حتى

لدى الأمم التي أضاءها يقين العلم القطعي في عصرنا هذا، ولولا علماء الأديان السماوية المنزلة من رب العالمين وصدقهم في دعوتهم إلى الإيمان الصحيح، لما عرف الإنسان أن للأكوان خالقاً عظيماً ورباً كريماً قديراً هو وحده صاحب الإرادة المطلقة، وهو وحده الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو وحده الذي خلق الإنسان فأحسن خلقه، وخلق كل شيء في هذا الوجود وقدره تقديراً ويخلق، ويخلق، ولا خالق سواه.

وكذلك لولا أن الله كان يتابع رسالاته السماوية كلما طغت خرافات الأساطير على وحيه لما صفت عقيدة التوحيد في يوم من الأيام، وحين بلغ الإنسان رشد الفكر الواعي واستطاع أن يميز بين العلم والأسطورة، وبين الحقيقة والحلم، وبين الإيمان والإلحاد، وبين وحي الله المنزل وترهات الشرك... أنزل الله جل وعز خاتم كتبه السماوية الحافل بالمعجزات الحسية العلمية المشاهدة بالتجربة والبرهان، وأراد سبحانه وتعالى أن يكون خاتم كتبه السماوية القرآن المجيد، فتحاً ربانياً لاستيعاب العلومَ كافة وضرب الأمثال المعجزة عامة.

وفرض عليهم أن يطرحوا التقاليد والمواريث الباطلة أرضاً، ويأخذوا بما أوحاه عليهم من يقين العلم القطعي في خاتم كتبه السماوية القرآن المجيد.

لأجل الصعود بعلم الإنسان إلى اليقين، ولأجل حثهم على التزام نصوصه المباركة في سائر مشروعاتهم وشرائعهم ومعاملاتهم، ومن أجل ذلك كان خاتم الوحي الإلٓهي برهاناً للناس جميعاً...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء: ١٧٤].

والبرهان إنما يقوم على يقين العلم القطعي، وهل فوق يقين علم الله القطعي علم؟ اللهم لا وألف لا... خسر الدنيا والآخرة من زعم ذلك...

والزاعمون هم كفرة الملاحدة الذين غرهم ما أوتوه من علم قليل لا يتجاوز مس الإبرة إذا غمست في البحر الأعظم... هذا مستوى علمهم ومبلغه الذي بلغوه...

ألم يدّعوا أن خاتم رسل الله سيدنا محمداً ﷺ هو الذي قال القرآن وافترى نسبته إلى الله رب العالمين جل وعز... كأن هذا القرآن في إمكان البشر أن يأتوا بمثله...

ما أغباهم وما أجهلهم... لو كان في إمكان البشر أن يأتوا بمثله لظهرت لهم مصاحف في أسواق الوراقين...

يا أخي اقرأ هاتين الآيتين لتفهم سخافة ما يقولون:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].

إذاً فالعلم العظيم الهائل المنزل في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد هو علم الله تعالى وحده، وعلم الله وحده شامل لكل ما كان ويكون في هذه الأكوان من قبل ومن بعد، وهو الذي فتح باب العلم للبشر على مصراعيه، وفرض عليهم أن يطلبوه بزيادة تلو زيادة إلى غير نهاية...

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤].

أجل يقين العلم القطعي هو الذي يعد الحياة الراقية ويبدع الحضارات الإنسانية المثالية العالية، أما يقين الجهل والغباوة والبدائية والسذاجة والإمّعية، فإنها مساقط الأفراد والجماعات في بؤرة التخلف والتقليد والإذعان الأعمى المبني على الأساطير والمزاعم والخوارق والمخاوف.

والعجيب أن بعض الملوك من الملاحدة القدماء وأشباههم من القادة والكهنة، كفرعون ونمرود وهامان والباب وراسبوتين... وهذان الصنفان من الذين أفكوا واستغلوا سذاجة المتخلفين من أفراد الشعوب وجماعاتهم هم كثيرون... عد إلى تاريخ تأسيس الأديان الوضعية ومعبوداتها تظفر بيقين العلم في ذلك.

ما وجدت الألغاز والأحاجي والطلاسم بكثرة إلا من هؤلاء المتألّهين وكهنتهم وسدنتهم وما قضى على هذا الاعتقاد الفاسد والتصور الغبي الوضيع، إلا الحقائق العلمية المبنية على التجربة والمشاهدة والبرهان، هذه الحقائق هي التي قضت على الخرافات والأساطير والأباطيل والترهات، ولم يبق ممن يلتزمها ويذعن لها وينساق في

تيارها بإصرار وعناد، سوى الذين يعيشون في غابات الهند وأستراليا ومجاهل أفريقيا، وأبعاد كهوف أمريكا وكندا...

والعجب العجب، أننا في عصر قرب العلم من مجيء الإنسان الإنسان، (السوبرمان) الذي بكت من أجل وجوده الفلاسفة منذ عصر ديوجينيس إلى عصر داروين... وقد قال هذا الأخير، إنه الإنسان الإنسان وجد في عصور رسل الله وصادقي أتباعهم بصورة متقطعة، ولكنه ما تم بصورة صارخة مشرقة، إلا في شخص خاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ، الذي يقول الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ويقول سبحانه... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أجل إن مجيء الإنسان الكامل محتوم بالوحي وبالعلم...

أما الوحي فإن الله جل وعز يقول في محكم كتابه ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤]. والمعلوم أن الثلة الأولى تمثلت في رسول الله ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين، وأما الثلة الآخرة فهيَ آتية بإذن الله تعالى، ولا حاجة إلى التطور الذي قصده داروين بل بالكبت والائتساء بما أنزل الله من وحي فيه كل المثل الإنسانية العليا...

وقد فطن لهذه الحقيقة مفتش المعارف المصرية الكاتب المفكر محمد جاد المولى بك، فألف كتابه «محمد المثل الكامل» لكي يكشف لداروين وأتباعه أن المثل الكامل كما ذكره تحقق مجيئه، ولكن الذي سيتحقق بصورة شاملة هو إيمان الأفراد والجماعات برسول الله ﷺ والائتساء به، والبشرى في ذلك ظاهرة في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. والظهور لا يكون إلا باتباعه بالحجة والبرهان ويقين العلم القطعي...

نجاة البشرية في وحي الله اليقيني

ألا إن الوحي اليقيني يعدل العلم اليقيني في ميزان منطق الفكر الحر...

فساسة الإسلام الذين بيدهم الحل والعقد في أممهم يستطيعون أن يدعموا قواعد الإسلام الإنساني العام بالإيمان العملي بما أنزل الله في خاتم الكتب السماوية «القرآن المجيد»، هذا إذا أرادوا أن يعلنوا دعوة السلام في الإسلام...

ويزيحوا عن أممهم خرافات النِّحل الأسطورية الضارة وأساطيرها وأوهامها وخوارقها الشيطانية وتوجيهاتها العنصرية الحاقدة.

ولا ريب أن خاتم الوحي اليقيني لا يدركه من هؤلاء القادة، إلا الذين يهمهم حقيقة أن لا تباد البشرية بالخلافات، والخلافات تبيد وتمزق وتجعل نهايتهم إلى بوار، واقرأ قوله تعالى تلمس هذه الحقيقة:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٤].

وكذلك قوله تعالى . . .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣].

وكقوله تعالى أيضاً. . .

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وشر الإضلال، الإضلال بعلم، وهو المفسدة الكبرى كما قال الله تعالى . . .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

وكقوله تعالى. . .

﴿. . . أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وأضرار الإضلال بالجهل أهون الشرين. . . وهذه العقائد الأسطورية هي التي كاثفت الفرق المشركة والوثنية لدى كل أمة. . . وألقت بهم في رجم مظلمة من الأحقاد، ومهاوي سحيقة من خلافات المعتقدات الباطلة، وأشعلت بينهم فتنها العمياء الصماء ومعاركها الرعناء، وفجائع حروبها المبيدة المدمرة التي هي مصائب البشرية. . . والسبب في تخلفها عن إنسانيتها العليا ومثلها الكريمة.

ناهيك بلجج الترهات المدونة في مجلدات ضخام مدسوسة، لو صرف مؤلفوها الذي أكثروا فيها التأويلات وأسباب الخصومات، ودسوا أهواءهم، ونزوات أنفسهم وسعير أحقادهم وصغار نفوسهم شطر الوقت الذي دونوها فيه أو دونه، إلى دراسة خاتم الكتب السماوية «القرآن المجيد» لما تأخرت الحضارة الحديثة، واستطاع العلماء المفكرون أن يميزوا بين العلم والجهل، وبين الدين والأسطورة، وبين ذات الله مكون الأكوان جل وعز، التي لا يماثلها شيء، وبين ذوات المادة والطاقة الروحية وسواها، وكذلك بين الآلهة المتخذة من مفردات الكائنات، وبين ذات الله مكون الأكوان.

ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها، وليس كل ما يتمنى المرء يدركه. . . والله خير وأبقى.

لا بد من البرهان البين لإثبات الحقيقة

ما رأيت، منذ قدرت أن أميز. . .

١ ـ بين يقين العلم وزائفه.

٢ ـ وبين الواقع القطعي فيما أقرأ وأسمع وأرى، وصداه الواغل المريب الهدام.

٣ ـ وبين صحيح القول وفاسده.

٤ ـ وبين البناء الإنساني العالي الجامع، والهدم العنصري المنحط الممزق.

أجل ما رأيت منذ استطعت أن أعي الفجر الصادق من السماء من ظلمة دس شياطين الإنس الملاحدة الذين يخاطبون أغرار البراعم المتأهبين بكل حماسات مجموعاتهم النفسية المتفتحة لِعَبٍّ صحيح المعرفة من مواردها الدفاقة الصافية، وهم على أشد ما يكون الحذر من آسن الموارد وخبائثها القذرة الموبوءة.

وشتان يا ناشئة الإنسان بين موارد الثقافة الصافية الغنية بالصحة والفتوة والنشاط والعلم القطعي والإيمان الصحيح، والتقدم الحضاري الموزون الموصول، وبين موارد الثقافة الموبوءة ذات الأنانية والعنصرية والحقد والتخلف الغابي المرير المنقطع.

فالموارد الأولى أمجادها خالدة، ومياهها طيبة بكر وطريفة مباركة خضراء، والموارد الثانية حقودة بتراء ذات مؤامرات خفية وظاهرة، والخفية أمر وأدهى وأطغى وأفتك.

ووزراء التربية في العالم لا يخافون الثقافة الصريحة المنحرفة على المثقفين إذا بلغوا حصانة الرشد والوعي والفكر، وإنما يخشون على البراعم الغضة اللينة التي هي صالحة للتكيف والتغير والتبدل، ومهما يكن فالحصانة الحصينة والذرأ المنيع بيد أولي الأمر المشرفين على توجيه الجيل الناشىء الذي سوف تطرح بيده مقاليد الأمة.

هذا الجيل هو حياتنا وأملنا ومستقبلنا، هذا هو الأمة بقضها وقضيضها...

هذا الجيل هو الذي سوف يحمل مشعل الحرية والإيمان والهدى والخير... وفجر الدعوة لا يكون صادقاً إلا إذا تولاه شباب أمناء أولـو عزائم ومفاداة وبطولة وتضحية، عباقرة أذكياء يصدق عليهم قول رسول الله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

ولا ريب أن النظر بنور الله سبحانه وتعالى يكشف مؤامرات الزعانف الأوشاب والدعاة المنحرفين، وكم من أمة ذلت بعد عزة وتمزقت بعد وحدة وجهلت بعد علم وسقطت بعد رفعة، وما كان كل ذلك إلا لأنها استهانت بتربية جيلها الخلف، أجل هانت وذلت وتردت في المهالك بسبب ترك الحبل على غاربه، لا بد من الوعي والانتباه واليقظة ومراقبة الجيل الصاعد الخلف، لا بد، لا بد، وإلا كان ما لا نحب أن يكون.

والآن وصيتي لشبابنا الشـادين الجادين من أجـل بناء مستقبلهم ومستقبـل أمتهم، فإذا عزت أمتهم عزوا وإذا ذلت أمتهم ذلوا وإذا تفرقت أمتهم تفرقوا، فهم الأمة، والأمة هم، فحياتها حياتهم وموتها موتهم، نعم الدولة تستطيع أن تمنـع المجلات الخلاعية التي تضر بحياة الناشئة الغضة وتودي بهم، وتستطيع أن تراقب المعلمين وما يبثونه في نفوس الطلاب فتبقي الصالح منهم وتفصل الطالح...

لأن حياة الناشئة أثمن وأجل من أن تكون محلاً لعبث المبادىء الهدامـة وإسفافها، والإباحية المجرمة ومهالكها، ودجل الإصلاح الفاسد والحرية المزعومة، والانتهاز الشره، أجل حياة الناشئة أثمن وأجل، ولكن هناك شيئاً أمره موكول إلى سلوك الناشئة بالذات هي الصحبة وما تفضي بهم، وهناك مسألة هامة سوى ذلك أمرها بيد الناشئة هي أن تدرب على أن لا تسارع في تصديق كل ما يزين لها، لأن

الإسراع في التصديق لا يكون إلا من الببغاوات والإمّعات الذين يتبعون كل ناعق، بل لا بد من التريث والتفكر وطلب البرهان المؤكد صدق ما يقال ونفع ما يقال، وهذا منصوص عليه في كل الأديان والفلسفات والمذاهب الرصينة الصالحة.

وحسبكم يا ناشئة الهدى ما جاء في معجزات خاتم الوحي الإلّهي في هذا الشأن... وخاتم الوحي الإلّهي يطلب إلينا أن نكون على بصيرة من الوعي والانتباه وأن لا نكون إمّعات ينحرف بنا المنحرفون إلى مسالخ المستقبل ونحن نهز لهم رؤوسنا ونهرول خلفهم غير عالمين إلى أي مسلخ يسوقوننا إليه، كقطعان الضأن!!.

ألا ترون أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، أمره الله جل وعز أن يفهم أتباعه أنه حين يدعوهم، يدعوهم على بصيرة واعية ونور ساطع، لا على تسليم أعمى وانقياد مدلهم، وهذا ما يجب عليهم أيضاً لدى قيامهم بدعوته ﷺ...

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٨].

ولنفهم أيضاً أن الآيات المنزلة إليه ﷺ من رب العالمين هي بصائر نيرة من حقائق العلم واليقين، لا ظلمات فيها ولا ألغاز ولا إبهام ولا لبس...

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

أجل هي آيات بينات جاءت للتبصير والتذكير وإحياء الوحي الدفين أجل هي...

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨].

والإنسان المؤمن المؤتمن على دينه له على نفسه بصيرة ولا تقبل أعذاره...

﴿بَلْ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]. حتى ولو تجاهل هذه الحقيقة.

ولا ريب أن المؤمنين من الشبان يعلمون أنهم ما داموا يملكون بصائر العلم والوعي والانتباه لا يقبلون الحديث عن المسائل الاعتقادية بمجرد ذكرها والإسراع في عرضها والكلام عنها وتزيينها، بل لا بد من البرهان البين... انظر هؤلاء

المشركين، وما أكثرهم في الأرض... حين ينصبون لأنفسهم من أفراد الكائنات آلهة يشركونها في التأليه والعبادة مع الله، فإنك تجد دواب الأرض من هؤلاء الإمّعات يصدقون ذلك بدون برهان علمي يقيني قطعي يثبت ذلك. أجل اسمع ما يقوله الله عز وجل في هذا الشأن...

﴿أَمَن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٣، ٦٤].

فلماذا تعجب فها أنت ترى أمماً كثيرة اتخذت لنفسها آلهة من أفراد الوجود بالوراثة والتقليد، لذلك أمرنا أن نطلب البرهان لبيان فساد ما يزعمون في تأليهها...

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وانظر كيف يوجه الوحي رسوله لطلب إقامة البرهان حين ادَّعى اليهود أنه لن يظفر بنعم الآخرة إلا من كان هوداً، وحين ادعى النصارى أنه لن يدحل دار النعيم إلا من كان نصرانياً، هنا أرشد الله رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، أن الدعوة بدون برهان صارخ غير مقبولة بل هي مرفوضة كل الرفض...

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

والعجيب أن كثيراً من الغفل الإمّعات من البشر في هذا الزمن يتلقفون ما يسمعونه من أفواه الدعاة المنحرفين، ويذعنون لهم ويخالون ما يزعمونه لهم أنه مؤيد بكل براهين العلم القطعي وما هو إلا هراء في هراء.

فهذه الكلمة أعدت للشباب المثقف اليقظ ليكون على أهبة الاستعداد والانتباه لكل ما يسمعه أو يقرأه فكم، وكم يسمع من هذر وسوء نية وكم، وكم يقرأ ما يضحك الأطفال أو يذيب الأكباد من العبث أو الدس.

وهكذا اليقظة خير من النوم، والنور أفضل من الظلام، والعلم أنفع من الجهل: والحقيقة أن لا نفع ولا فائدة ولا جدوى من النوم والظلام والجهل.

والخير كل الخير في الإيمان الصحيح الثابت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعلم اليقيني المؤيد بالبرهان الصارخ.

الحقيقة لون واحد
فمن أين أتت حولها كل هذه الألوان

أجل كل حقيقة لون واحد. . . والتساؤل من أين أتت حولها كل هذه الألوان التي غشتها فلا تكاد تبين؟

هو سؤال حق وصدق. . . وهنا أقول نعم كل حقيقة لها لون واحد يدل عليها، ومأتى الألوان الكثيرة التي تدس فيها وتجعل الحقيقة سواها بالمرة. . . مأتاها من النظر الناقص. أجل قل مأتاها من النظر إلى نصف الحقيقة وعدم التحري والبحث الجاد من أجل كشف النصف الآخر، وهنا تكثر الأقاويل والأباطيل حول النصف الآخر حتى يضيق بها صدرك وتكتم بها أنفاسك، فما تدري أين تذهب وبأي قول تثق أو لون؟ ويطول بك الغم، وتنصرف وأنت أشد جهلاً من قبل أن تقدم إلى البحث عنها والتساؤل. . .

وكشف الحقيقة ليست بذات حزن أو جهد، خذ عني هذا المثل وطبقه على كل حقيقة تعرض لك مجللة بألوان وألوان تنأى بها عن عين واقعها. . .

خذ يا أخي مثلاً كرة الأرض، وانظر إلى قوس قزح الذي يمثل نصف دائرتها، أجل إذا أنت نظرت إليه لا تراه يمثل إلا شطرها، سواء نظرت إليه من المشرق أو من المغرب، ومن أجل ذلك أسموه قوس قزح، والقوس لا يمثل دائماً إلا نصف الدائرة، ومن جراء ذلك كثرت الأقاويل في كرة الأرض كثرة ملأت خزائن محتشدة من مكاتب العالم الكبرى.

أجل قوس قزح لا يمثل إلا نصف دائرة الكرة الأرضية، ما دمت تنظر إليه وأنت في ضيقها ولكن لو انطلقت من ضيق كرة الأرض إلى سعة آفاق الفضاء، ونظرت إليه من سطح القمر مثلاً أو من محطة من محطات الفضاء أو من عربة من العربات السابحة بين الكواكب لأبصرت الدائرة تماماً وهي ممثلة لكرة الأرض كل التمثيل من غير زيادة أو نقصان. . .

وهكذا لا تظهر الحقيقة كاملة بوضع لونها الأصيل إلا إذا انطلقت من تقاليدك العمياء وأغلال مواريثك الدكناء، ومن كل ألوان الثقافات البتراء التي تدري نصف الحقيقة وتجهل النصف الآخر ومع ذلك يود أهلها أن تقول لهم أنتم أهل العلم الصحيح والبحث الدقيق والنظر البعيد.

هيهات، هيهات، أن يكونوا كذلك، وهم أتربة من أتربة الأرض انطلقت منها إلى عالم النبات، ومن عالم النبات إلى ظهور الآباء وترائب الأمهات، ولما يصفوا مما علق بهم من أدران الأرض وغثائها وخبائثها وأحقادها حتى يكونوا بشراً كمّلاً أسوياء يستحقون اسم إنسان.

ومهما يكن فالحقيقة لا تظهر كاملة على واقعها القطعي الصحيح وفي لونها الأصيل إلا لمن اعتقد أن الحقيقة تحمل لوناً واحداً فحسب، يتجلى ذلك لمن نظر إليها مستقصياً دائرتها المتكاملة. . .

ودائرة الحقيقة المتكاملة ذات اللون الواحد، لا تخفى، وتكثر حولها ألوان المقولات إلا لمن ينظرون إليها بمنظار التقاليد أو بمنظار مواريث الآباء والأمهات أو بمنظار مواريث الثقافات التي أكل عليها الدهر وشرب، أو بمنظار الإكراه، وكلها مناظير بالية ذات ألوان مضطربة، وكل منظار منها يرى صاحبه منه الحقائق بلونه، أنى اتجه إلى دراستها وبحثها والتعرف إليها، أجل يراها بلون منظاره فحسب.

وقل لي بربك كيف يرى الدنيا خضراء من كان منظاره أحمر، وكيف يرى الدنيا حمراء من كان منظاره أخضر، هذا محال المحال، فكل يرى الحقيقة الواحدة ذات اللون الواحد الصافي بلون منظاره المنحرف عن لون الحقيقة كل الانحراف.

وهنا تكثر الألوان حول الحقيقة الواحدة وتكثر الأقاويل والتفاسير والتآويل

ويكثر التصديق والتكذيب والزيادة والنقصان والكفر والإيمان، والتغيير والتبديل حسب الأهواء والانتهازات والمصالح الوهمية. . . أي حسب ألوان المناظير. . .

نعم إذ لا مصلحة لإنسان في هذا الوجود أكثر من انتصاره لمصلحة الحقيقة اليقينية، وهي في محراب صدقها وإشراق شمسها.

أجل، الحقيقة الواقعية ذات لون واحد زاه، ولكن كم وكم هم الذين ينظرون إليها بألوان مناظيرهم؟ وهؤلاء هم الذين ضللوا الناس فأروهم الحقيقة العليا ذات اللون الواحد الزاهي في جملة من الألوان المختلطة المتشاكسة.

ومهما يكن، فالقلة العبقرية السامية من البشر هم الذين ينظرون إلى الحقيقة بالعين المحررة، وهؤلاء القلة هم أئمة الهدى، وهداة الإنسانية إلى رشد الحضارة وتقدمها وإلى إخلاص مودة السلام البريئة من كل غرض ومرض.

وهؤلاء لا يحملون ضغينة موبوءة على القديم أو على الجديد، لأن ما يؤثرونه قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء هو الحقيقة العليا القطعية التي هي حقيقة كل إنسان وملكه.

وهراء من انتصر للقديم، وهراء من انتصر للجديد إذا لم تكن الحقيقة اليقينية متجلية في نفسه، وهي هواه والمرادة له من دون كل انتصار ومصادمة ومناقشة وجدل من أجل زيغ الباطل الهدام. . .

والحياة حقيقة ماثلة للعيان وهي أبداً تتجدد من جيل إلى جيل، وهي واحدة في لونها في كل الأجيال، وحقيقتها واحدة كذلك ولا يصرفها عن واقعها اليقيني الأكيد إلا الغواة المفسدون والمتربصون المتآمرون كما رأيت، وهي متداولة بين الليل والنهار والبداية والنهاية ولا يعلم بدايتها ولا نهايتها إلا الذي كونها على ما هي عليه الآن وقبل الآن في الآخرة والأولى.

أجل الله جل جلاله صاحب الأمر والخلق والتكوين. . .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

وكل حقيقة ظهرت في هذا الوجود إنما ظهرت بعلم الله وإرادته وقوته وهيمنته

وسلطانه... والشرقي لا تأخذه العزة بالتاريخ فيقول الحياة لي، والغربي لا تأخذه العزة بالحضارة الحديثة فيقول الحياة لي... هذا قول المجانين لأن التاريخ هو تاريخ الإنسان على وجه الأرض، والحضارة هي حضارة الإنسان على وجه الأرض... ونهى الله جل وعز عن تزكية النفس... والتفاخر.

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

ولو أن الشرقيين والغربيين نظروا معاً بالمودة والثقة وعين يقين العلم المجرد... وسموا بأنفسهم إلى إنسانيتهم وانسلخوا من الوحشية الغابية وانحطاط الأقوال الوضيعة المتآمرة لالتقوا جميعاً على صعيد أمجاد الإيمان الصحيح اليقيني الواحد وتزحزحوا عن مقاعد حجب الظلمات، وعن ضغط جاذبية التراب، وهناك اللُّقي الكريمة الماجدة الإنسانية، وحينئذ يسمعون جميعاً جلال النداء الإلهي وهو منبعث من أعلى آفاق الوجود والإنسانية العالية:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعلى كل حال فلن يجمع كلمة الإنسانية ويوحدها في كل نفس حية صحيحة إلا جلال وحي الله الصحيح بيقين العلم القطعي...

وما هذه الكلمة إلا إرشاد وتبليغ لتمجيد الكلمة الواحدة ذات اللون الواحد، كلمة النجاة من المهالك، مهالك الدنيا والآخرة، التي يقول فيها رسول الله ﷺ...

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله».

العلم والدين لا يزولان

العلم والدين لا يزولان ما دام العلم يحقق اليقين الوجودي في الكائنات المادية والطاقية، ولا يحيد عن يقين المشاهدة الملموس قيد شعرة، مشاهد وملموس ببصيرة الواقع اليقيني.

وما دام الدين هو يقين وحي الله جل وعز، وما دام العلم هو عين الواقع المشاهد المحسوس فإنهما باقيان ولا يزولان، وما يزول من العلم إلا العلم الظني المفروض بدافع التخيل العلمي، وما يزول من الدين إلا الدين المبني على الظنون والأوهام.

نعم، كل الأديان ظهر تحريفها والدس فيها، وتسخيرها لنزوات الإنسان الملحد الفاسد، سماوية كانت أو وضعية، بعد هذا التقدم العلمي اليقيني الهائل.

وكذلك ظهر فساد الفلسفات سواء أكانت إلّهية أو إلحادية دهرية، وأشار أمير الشعراء أحمد شوقي إلى تداعي الأديان المحرفة وانتشارها، في خطابه لأبي الهول. . .

رأيت الديانات في نظمها حين وهى سلكها وانتثر

ولم يبق صحيحاً حقاً ويقيناً صدقاً وواقعاً إلا خاتم الأديان السماوية الإسلام، الذي يتمثل يقين وحي الله المنزل ولا يناقض الواقع اليقيني العلمي المشاهد، كما

لم يبق من العلم ما كان يقيناً يمثل الواقع المشاهد المحسوس الذي لا يتغير ولا يتبدل، حتى يأتي أمر الله.

وكما أن الحقيقة العلمية الواقعية في عين تكوين وجود الأشياء ثابتة بسننها ونواميسها لا تتغير ولا تتبدل حتى يغيرها ويبدلها الله جل وعز. . .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

كذلك الحقيقة الدينية اليقينية العقائدية محال أن تتغير أو تتبدل، لأن ذات الله الخالق العظيم وصفاته وأفعاله لا يملكها سواه، وهي غير قابلة للتغيير والتبديل، سواء أكان ذلك في عالمنا هذا الفاني أو في عوالم الآخرة الباقية، قال الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلىٰ الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وإنما الذي يتبدل ويتغير هي الشرائع ومظاهر الحياة الدنيا والأفكار والاتجاهات الإنسانية. . .

﴿لِكُلٍ جَعَلْنَا شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

مصدر العلوم القائمة في ذوات الأكوان

كان القدماء من العلماء يطلقون على الذوات المادية: الذوات الكثيفة كالماء والهواء والنار والتراب. . .

وكانوا يطلقون على الذوات الطاقية الذوات اللطيفة: كالجن والملائكة وأرواح الأحياء والسراب والآل. . . على تباين في وجهات النظر.

وكانوا إذا بلغ الجمال لديهم مثله الأعلى نسبوه إلى الذوات اللطيفة وقد جاء في التنزيل قول النسوة عن جمال يوسف الصديق عليه السلام لما رأينه وأكبرن جماله وذهلن حتى قطعن أيديهن بالسكاكين اللاتي كن يقطعن بـها الفاكهة. . .

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَى لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

ومن هنـا أطلقـوا على شقـائق الـرجـال السيـدات الجنس اللطيف، ومهما يكن فالجمال في حد ذاته كالسحر وهو من عوالم الطاقات كالبيان العالي، وفي هذه الحضارة الحديثة ترى علماءها يطلقون على الذوات الكثيفة «الذوات المادية» وعلى الذوات اللطيفة «الذوات الطاقية».

وهم يرون كل ذات مركبة من الذرة المادية فما دونها «كالكواك» الذي هو في هذا العصر أصغر جزء مادي، وكل ذات خالية من ذرات العناصر المادية مثل ذوات الأرواح والأطياف والعلوم. وعوالم المجموعة النفسية والجاذبية، فهي ذوات طاقية،

وهي إما تقوم بنفسها في هذا الوجود، وإما تقوم في بعض ذوات المادة كالحياة في النباتات، فالحياة طاقة، والنباتات مادة.

وبما أن علماء الحضارة الأعلام شاهدوا بأعين العلوم الحديثة وآلاتها حقائق علمية مباشرة كشفت لهم جانباً من قسمي ذوات الأكوان المادية والطاقية القريبة منهم، والمترامية في أبعاد الفضاء السحيق، وإن كان أكثر الذوات المادية وسواها لا تزال خفية هي وتكويناتها عن كشوفات العلوم الحديثة.

ولا ريب أن انفلاق الذرة والذريرات المكونة منها استوعبت علومها مكتبة بأسرها، فما بالك بما هو في خفايا الوجود من ذوات أكوان المادة والطاقة الهائلة، الهائلة، ومن هنا ينطلق العلم والفكر إلى محراب حقائق الإيمان.

أجل فكر علماء الحضارة الحديثة في مصدر ذوات الأكوان وتكويناتها، على ما هي عليه من مدهشات المدهشات العلمية وفكروا لمن تستحق أن تنسب. . .

وبما أن الكوكب المذنب السيار هالي الذي يمر بكرتنا الأرضية من حقبة إلى حقبة وهو موشك أن يمر، اهتم العلماء به كل هذا الاهتمام لرصده والتعرف إلى حقائقه العلمية، وهو لا يزيد عن حبة رمل بالنسبة لأجرام سماوية سيارة أخرى تجري في أفلاكها ملايين الأعوام الضوئية، قد تمر في أرضنا أو في سواها، هذا إلى جانب الأجرام الهائلة الثابتة، التي هي أكبر وأهول وأبعد.

وعلماء الحضارة الأعلام هم ليل نهار جادون في متابعة البحوث الكشافة وتنقيباتها اللاهفة الحسرى دون مبالاة بما ينالهم من لغوب أو ملل، وإذا أخذت تسألهم وأنت تتعمد السذاجة. . . هل أحصت علومكم كل ذوات الأكوان المادية والطاقية وما هي مشتملة عليه من أنواع التكوين والوظائف. . .

فهل تظن أن جوابهم لك يعدو ابتسامة إشفاق عريضة طويلة، ألا تسمعهم يرون أوسع علوم التكوين وأحفلها، ما يزال محجوباً في طلاسم أبعاد العوالم النائية وأعماقها.

وما داموا لما يحصوا في نطاق معارفهم علوم الأكوان القريبة من عالمهم أو علوم عالمهم: الكوكب الأرضي، أتريدهم أن يحصوا الطلاسم المعمات في عوالم لما تزل موغلة في غيوب مجاهل الأبعاد السحيقة، السحيقة.

ثم أتريدهم أن يحصوا صفات الله مكون الأكوان المهيمن عليها والمتصرف فيها الذي أنشأها إنشاءً، وأبدعها إبداعاً بعلمه وقدرته وإرادته.

ألا إن الإحصاء العلمي الدقيق المنطقي لكل ذلك بعيد، وبعيد، وبعيد.

وأحسبك ما أهمك الإحصاء وتساءلت عنه إلا لأنك من أهل العلم والمعرفة، أضف إلى ذلك أنك تود بكل أشواق قلبك وعقلك أن تعمل لتوسعة علمك بالنسبة لك ولعشاقه... وما دمت كذلك فأنا أدعوك بإلحاح أن تفتح المصحف الشريف، وتتلو هاتين الآيتين المعجزتين في كتاب الله لتعلم من وحي رب العالمين أن الإحصاء اليقيني إنما هو من خصائص الذات العليّة، وليس ممكناً أن يكون لسواه:

الأولى: ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١٠٩، ١١٠].

الثانية: ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

والكلمة ذات مدلولات عدة: من جملة مدلولاتها... تدل على كلمة التكوين الإرادي الإلٰهي التي هي «كُن»... بالنسبة لله رب العالمين إذا أراد تكوين ذات مادية أو طاقية، وما يصدر عنهما كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يسۤ: ٨٢].

والحقيقة إذا أراد الله تكوين أي كائن فإنه يتحقق وجوده بمجرد توجه إرادته جل وعز لتكوينه، وإنما إطلاق كلمة كن على الذات التي يراد تكوينها هو تقريب لعقولنا.

ويمكنك أن تفهم مما تقدم أن المراد من الكلمة تكوين إلٰهي إرادي، تفهمها إذا تلوت هذه الآية:

﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا مثل آدم في وحي الله وهو الذي نفخ فيه من روحه. قال الله تعالى:
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾ [الحجر: ٢٩].

بل كل إنسان نفخ الله فيه من روحه وهو كلمة من كلمات التكوين الإلّهي في الوجود، والتي لما تكون وافرة، وافرة، والعلماء على الرغم من ابتكاراتهم لآلات الاكتشاف لم يحصوها حتى في العوالم القريبة من كرتنا الأرضية كعوالم مجموعتها الشمسية، فما بالك بسواها وسواها، إنه أذهل ويذهل عقول العلماء.

وأحسبك الآن تقول: ما دامت الأكوان المادية والطاقية بهذه المثابة الهائلة، وما دامت علوم الحضارة الحديثة، لم تحص منها سوى صبابة من لجج بحار محيطات قد تنتهي الحضارة الحديثة ولما ينته الإحصاء... ولن يحصي كل أكوان الوجود إلا الذي خلق كل أكوان الوجود.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾ [النبأ: ٢٩]. وكتاب الله جل وعز... ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأخالك وقد استولت عليك دهشة وفرة تكوين الأكوان في كشوفات علماء الحضارة ومع ذلك يأخذك العجب من إعلانهم أنهم لم يكتشفوا إلا ضحلاً على رمال شاطىء المعرفة بحقائق عوالم الأكوان.

ولا ريب أن ما اكتشفوه من ذواتها، وما هو في طريق الاكتشاف يجب أن ينسب مصدر وجوده إلى مكونه العظيم رب العالمين الذي يملك الصفات العالية القادرة على إبداع الخلق والتكوين، وعلى سطوة الهيمنة، وعلى أحكام التصرف المطلق في كل ما كان ويكون بدون شريك وند. أي:

١ ـ يجب أن تكون قدرته أزلية أبدية، وليس هناك قدرة تماثلها في إبداع الخلق ومهما بلغ مدى القدرة الحادثة في ذات ما إنما هي أثر من آثار قدرته الأزلية الأبدية جل وعز.

٢ ـ ويجب أن يكون علمه أزلياً محيطاً بكل ما كان ويكون من ذوات الأكوان المادية والطاقية، وشاملاً لكل كبير أو صغير منها أو مما يتصل بها أو يصدر عنها دون

تخلف ومخالفة وزيادة ونقصان، كما هو في واقع علمه الأزلي.

٣ ـ ويجب أن تكونَ إرادته هي مصدر كل إرادة في محيط الأكوان المادية والطاقية وهي الإرادة السرمدية النافذة التي تحقق كل ما تشاء مما كان أو مما يكون . . .

ولما كان الحديث عن صفات الله فوق إدراك العقول وفوق حدود العبقريات ومدركاتها، أجل إن الحديث عن واقع صفات ذات الله جل جلاله لا يدخل في نطاق إمكان ذوات الكائنات العاقلة العالمة المكونة من المادة أو الطاقة مهما بلغت درجتها من العلم لأنه يتصل بتعيين واقع كنه ذات الله وصفاته، ولله المثل الأعلى وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله.

وقبل نهاية تلاوتك هذه الكلمة اقرأ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠].

واتل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

ولا تنس أن تذكر هذه الأبيات الحكيمة:

قد حار في النفس جميع الورى ... والفكر فيها قد غدا ضائعا
وقد برهن الكل على ما ادعوا ... وليس برهان لهم قاطعا
من جهل الصنعة عجزاً فما ... أجدره أن يجهل الصانعا

علم تكوين ذوات الأكوان

نعم كل الأفعال التكوينية التي في ذوات الأكوان المادية والطاقية هي خالصة لله مكونها الأزلي وحده، وكذلك استمرارها في الوجود بعد تكوينها، كل ذلك يبدو جلياً للدارسين من وراء حجب الأسباب والمسببات والسنن، وجميعها وفق علم الله الأزلي وإرادته وقدرته.

أجل هي وفق علم الله الأزلي وإرادته وقدرته، يلمس ذلك العلماء الدارسون في صميم تكوينها سواء لدى كشفهم لبدء وجودها أو بعد تسلسله واطّراده وتطوره بنظام ودقة متناهية في الجلال والعظمة!!...

يلمسون كل ذلك بمختبراتهم ومحطاتهم الفضائية وفي معاملهم ومراصدهم، وفي مكاكيكهم المنطلقة حول الكواكب فترى المؤمنين منهم يهتفون من أعماق قلوبهم وقد أكبروا الخلق والتقدير الذي هو عليه... ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢].

ويا أخي... ﴿سَبِّحْ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ. ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ. وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ...﴾ [الأعلى: ١ - ٣]. وانظر إلى ملكوت هذه العوالم وقل ضارعاً والهاً... ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ولا يجحد وجود الله إلا القوم الخاسرون السخفاء، أما أهل البصائر من المفكرين المؤمنين فإنهم يعلمون يقين العلم أن إيجاد أي شيء سواء كان كبيراً أو

صغيراً فإنه لا بد له من علم سابق على إيجاده، وإن استمرار وجوده لأداء المقصود منه لا بد له من هيمنة من خالقه ومدبره من وراء حجب الأسباب والسنن والمسببات، ومن راقب اطّراد بقاء العوالم الحية في جو أرضنا ينكشف له ذلك ببصيرة العلم القطعي ونور الإيمان الصحيح، والناس حيال عوالم الوجود بدءاً واستمراراً وحيال أعماله المشاهدة وغير المشاهدة ثلاثة أصناف. . .

الصنف الأول

هم المؤمنون بوجود الله المكون الأزلي القديم، وهم الذين يعلمون أن كل موجود سواه حادث حتماً وأنه لم يحدث إلا بعلم سابق عليه، وإرادة سابقة عليه، وقدرة سابقة عليه، هذا حق لا محالة ولن يكون غير ذلك مع العلم أن استمرار وجوده بحكم الأسباب والمسببات والسنن لا تجعله عالماً بنفسه ومريداً بنفسه ومهيمناً على نفسه في مسيرة وجوده حتى يكون هو إلّه نفسه.

وهؤلاء المؤمنون العلماء ينفون الشريك المتخذ من ذوات الأكوان المادية والطاقية لأنهم يعلمون أن فعل الأسباب والمسببات والسنن، هي أفعال الله التكوينية من وراء حجاب، ولم يزعموا أنها آلهة تعمل بنفسها، بل العامل هو الله جل وعز الذي يقول ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. أي هم لا يؤمنون إلا بالله الخالق العظيم وحده الذي أبدع الخلق بيده وبعلمه. . . ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. والخلق لا يكون إلا بعلم الله السابق عليه. . . ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. وهذا الصنف هم المؤمنون حقاً بدون شريك ووثنية، وهم هداة إنسانية الإنسان إلى مثلها العليا.

الصنف الثاني

هم المشركون وهؤلاء يؤمنون بوجود الله الأزلي الخالق، ولكنهم جهلوا أفعال الله التكوينية التي تعمل وراء حجب الأسباب والمسببات والسنن فخالوها آلهة من الأرواح تخلق وتوجد أزلاً وأبداً، فعبدوها واعتبروا شركة عبادتها تقرب إلى الله زلفى. . . ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وهؤلاء الذين يقول الله في وحيه عنهم ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ

مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]. والحق كذلك أنهم لا يعلمون، لأن العلم محال أن يفضي بالناس إلى عادة أشباههم ألم يقل الله فيهم... ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ [يوسف: ٤٠].

الصنف الثالث

هم الذين يرون أن آلهة الأرواح المعبودة لديهم هي الله ذاته الذي كوّن الأكوان لأول مرة وهو ذاته الذي يجري فيها أعماله التكوينية كافة بدون انقطاع.

أي أن هذا الصنف من البشر جعلوا هاتيك الآلهة التي اتخذوها من أفراد الكائنات هي ذات الله مباشرة وليس ثمة سواها ما يسمى الله... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً... ولا ريب أن هذا الزعم هو الوثنية، وهو شر من الإشراك بمراحل، وهو كفر الكفر.

الصنف الرابع

هم الملاحدة الذين يجحدون وجود الله مطلقاً لا في عالم الأرواح ولا في سواه وهذا الصنف شر من الصنفين... المشركين والوثنيين، وهم النفاة الملاحدة، وهم الذين زعموا أن الدهر وحده هو مهلكهم.

القيد أفسح من عقـول عصابـة   زعمت فكـاك العقل بـالإلحـاد

مصدر الشرك والوثنية

وهكذا يتبين المطالعون أن منشأ الشرك والوثنية معاً هو الجهل بأفعال الله التكوينية المحجبة بالسنن والأسباب والمسببات وهذا الجهل هو الذي جعلها مؤلهة لديهم ومعبودة، ذلك لأنهم تخيلوها آلهة روحية فعالة ومحجوبة في صميم المادة الصماء تعلم ما تصنع ولكن لا تنطق.

فالبقرة التي تصنع الحليب لا تعبد لذاتها بل للطاقة الروحية المؤلهة الحالة فيها العالمة الصامتة فإذا مات الجسد انتقلت الطاقة المؤلهة إلى بقرة سواها تعين لذلك وهكذا دواليك فهم لا يعتبرون أن الطاقة المؤلهة الروحية هي التي ماتت وإنما

الجسد لأن الآلهة لا تموت هكذا يزعمون، ولو أنهم انتبهوا إلى أن التكوين سواء أكان مباشرة أم بواسطة السنن والأسباب والمسببات إن هو إلا الله جل وعز لما كان ثمة شرك ولا وثنية.

ومهما يكن فالوثنية أفسد من الشرك، لأن الشرك لم يجعل الروح المؤلهة هي الله ذاته بل جعل تأليهها وعبادتها قربى وزلفى إلى الله الموجود الحق الأزلي وحده...

أما الوثنية فقد جعلت الروح المؤلهة المعبودة هي الله وليس ثمة سواها أحد يسمى الله، بهذا الزعم كانت الوثنية أحط من الشرك، ولكن الذي هو أحط من الشرك والوثنية معاً هو الإلحاد لأن الإلحاد هو نفي لوجود الله مطلقاً، لذلك كان الإلحاد أحط وأشر وأدهى وأمر من الشرك والوثنية معاً، لأنه جعل الخلق بدون خالق والصنعة بدون صانع والموجود بدون مهيمن عليه متصرف فيه... وإنما هو أزلي وأنه هو الذي يتصرف بنفسه في نفسه!!

أجل إن الإلحاد نفي كلي للعلم اليقيني والحق اليقيني والصدق والنور والهدى والإنسانية إذ محال أن يكون ثمة علم أو حق أو صدق أو نور أو هدى أو إنسانية إلا بالإيمان بوجود الله ومعرفته المعرفة العلمية الصحيحة، ومهما يكن فالإلحاد والشرك والوثنية عمى في عمى.

وهكذا نتبين أن مصدر الوثنية والشرك هو الجهل بالواقع العلمي اليقيني التكويني في مجرى الأسباب والسنن، وأما الإلحاد فله عدة مصادر هي...

١ ـ عدم توفر العلم الكافي والفهم الصحيح المؤديان لاستيعاب حقائق الأشياء كما هي عليه في الوجود وهو تصديق الدعاة الذين ينسبون الوجود إلى لا شيء.

٢ ـ رغبة انفلات الهوى والنزوات وعرامهما، أي طرح كبت الإيمان الإنساني الكريم.

٣ ـ حب الظهور على أكتاف الآخرين، والظهور قاصم للظهور، ومفض إلى ارتكاب الإفك والنفاق والانتهاز والتمول من أي طريق كان!!!.

٤ ـ ينشأ الإلحاد من رغبة السيادة الظالمة البطاشة، فالمؤمن يحاسب نفسه

لأنه يخاف حساب الله وأخذه له، وإذا أخذه لم يفلته.

٥ ـ ينشأ الإلحاد من كراهة العلماء للكهانة والعبث بعقول السذج المساكين وتسخيرهم بشعوذة البركات الوثنية الكهنوتية التي بها يستبيحون الأموال والأعراض، ولو علم الملحدون أن كل هذا محرم في وحي الله المنزل على الرسل لما ألحدوا ظناً منهم أنه كذلك.

٦ ـ التربية المنحرفة في بيئة ملحدة أو في أسرة ملحدة أو تلقي ثقافة ملحدة إبان غفلة الوعي في الطفولة الأولى.

٧ ـ التظاهر بالانطلاق والحرية والعلم ومكاسب اللذة وما أشبه ذلك، من الدعايات المنحرفة على ألسنة شياطين الإنس والجن التي تكبر الصغير وتصغر الكبير، وتزين الشر وتقبح الخير. ومهما يكن فهناك أسباب كثيرة سوى هذه للإلحاد تفتقر إلى مؤلف...

الايمان الصحيح أخلد أعمال الحياة الدنيا

كل أعمال الحياة الدنيا زائلة ما عدا العمل الصالح لتحقيق الإيمان الصحيح ودعوته وإيصاله إلى المحرومين منه لأنه عمل عظيم جداً ومتصل بالله جل جلاله مباشرة. وصدق لبيد إذ يقول:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

لو لم تكن دعوة الإيمان الصحيح بالله جل جلاله هي أخلد أعمال الحياة الدنيا وأرضاها لله وأحبها إليه وأقربها منه لما اختارها لرسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وطاعة الرسل بما أنزل الله عليهم من وحي هي بأمر الله وإذنه. أجل تفكر في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

أجل إن دعوة الإيمان بالله جل جلاله هي أخلد أعمال الحياة، هي الدعوة العليا الماجدة، هي الدعوة التي أثنى عليها وقدسها وباركها في وحيه، هي دعوة الإنسانية السامية الواعية الكريمة ذات المثل الحية والمنافع الجمة والمعطيات الواسعة، والمساعي المشرفة.

ذلك لأنها دعوة تمس الحياة في صميم العلم والفكر والفلسفة، بل تمس الوجود كل الوجود في صميم التكوين.

انظروا هذا خليل الرحمن سيدنا إبراهيم لما آتاه الله رشده، وتجلت له حقائق الوجود وجلال خالقه العظيم جل وعز وتأهب لدعوة الإيمان الصحيح بكل عزائمه وطاقاته وأفكاره بدأ بأبيه وقومه ثم التفت إلى الأمم البعيدة.

وقد حمل من جراء ذلك من الأهوال تلو الأهوال ما يزحزح الجبال، ويزلزل العزائم، ويفتت الأعضاء.

وإذا قصدت أن تعرف ما لقيه فتأمل هذه الآيات الآتية:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ. قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢ ـ ٧٠].

وما قيمة الإنسان، وأي شيء هو في موازين الأقدار؟ وبماذا يفضل سائر الحيوان؟

أليس بالفكر والعلم والإيمان ودعوته. بل دعوة الإيمان هي الفضل الكبير... الكبير... والجاه العظيم... العظيم...

ولولا الإيمان الصحيح بالله جل جلاله وهداه ونوره ما خلدت الأجيال ذكريات

دعاته رسل الكرام صلوات الله عليهم.

وحذار أن يحسب من يناله نصب ووصب وجهد ومشقة ونازلة وهول وأذى وكيد من أجل نشر الإيمان. أنه أعطاه كل الحق، وما على ذلك من مزيد.

لا... لا، إن كل ذلك بعض ما كان يلاقيه المؤمنون الأولون من ألوان الأذى والمتاعب من أجل نشر الإيمان.

وكم... وكم... من التضحيات التي تشيب النواصي لقيها خاتم رسل الله من أجل تحقيق الإيمان.

ألم يقل الله له في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الانشراح: ٧]. والنصب: التعب المجهد. أي إذا انتهيت من عمل مجهد في سبيل تحقيق دعوة الإيمان الصحيح فسارع إلى عمل مجهد آخر من أجل ذلك.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نعلم أن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو مرسل بإذن رب العالمين لتحقيق الإيمان الصحيح وهدم كل وثنية وشرك وإلحاد.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَىٰ ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ودعايته عامة وشاملة للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وحتى الساعة أكثر الناس لا يعلمون حقائق دعوة خاتم الوحي الإلّهي إذ لو علموها لكانوا جميعاً دعاتها المضحين من أجل تعميمها بين جماعات البشر وأفرادهم.

أجل إن المؤمن الصادق محال أن يقصر في دعم دعوة الإيمان.

ألم يكن أكبر داعية للإسلام في عهد رسول الله ﷺ وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى سيدنا أبو بكر الصديق رضوان الله عليه.

أجل إن أبا بكر منذ الساعة الأولى التي آمن فيها برسالة خاتم رسل الله انطلق يدعو بكل ماله وجاهه وصداقاته وعزائمه إلى الإيمان.

فدعا عثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص كما أعتق بلالاً لما

شاهده يعذب لصدق إيمانه، وما زال داعياً للإسلام ومدعماً لأركانه حتى آخر ساعة في حياته.

وكان هذا شأن المسلمين الأُول. كلٌّ يسعى جهده وأكثر من جهده في سبيل دعوة الإيمان، والكل لم يضن بنفسه في سبيل دعوة الإيمان.

وإني قرأت في كتاب حياة الصحابة في صفحته الثانية من ترجمة مؤلفه الشيخ محمد يوسف كيف نشأ داعية للإيمان بكل إمكانياته ويهمه تبليغ دعوته إلى جميع الناس بسبب صدق إيمانه وإيثاره: «أجل فقد بلغ فيه حب التبليغ والدعوة ماجعله، كما ذكر، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، وذلك رغم اشتغاله بالعَلم والتأليف، وانصرف عن كل شيء إلى الدعوة فقط، وتحولت حياته إلى قلق واضطراب يعيش فيهما كل لمحة، وأصبح التبليغ شعاره ودثاره وقد تجشم في سبيله كل مشقة وشدة، وواجه كل عنت وإرهاق، بوجه باسم وقلب خاشع، واستمر ملازماً رحلات الدعوة وهو يلقي الخطب في كل مكان إذ لم يكن يستريح في ليل ولا نهار»...

وفي الهند أمثاله كثيرون من الدعاة العلماء القادرين العارفين بشتى لغات الأمم المتحضرة الحديثة.

وأحسبك تقول ما دام في الهند أمثال هؤلاء الدعاة الأعلام بكثرة، فلماذا لم يؤثروا في هداية الهند بتعاليم خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد؟...

وهو مشتمل على كل البراهين العلمية الصارخة التي يطمئن لها علم العالم وفكر المفكر وفلسفة الفيلسوف وإلحاد الملحد، بل تطمئن لها حتى العامة من البشر...

والجواب سيكون إن شاء الله في كلمة خاصة!!...

والآن يسرني أن أقول ما سمعته في هذه الكلمة هو شأن الدعاة المؤمنين في كل الأزمنة والأمكنة...

وها نحن أولاً نرى القرآن المجيد يصف لنا كيف كان دعاة الإيمان المرسلون يلاقون العنت تلو العنت، بل يلاقون الموت وهم سعداء وفرحون.

اقرأ، وتفكر، وتدبر، وآمن، واعمل، ولا تقصر، ولا تهمل:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٣ - ١٨].

والخلاصة أن هؤلاء الدعاة الكرام أوقفوا أنفسهم في سبيل الدعوة، ولم يبالوا ولم يكفوا عن الدعوة رغم ما لقوا من الصد والعنف والتهديد والإنذار بإنزال أشد العذاب عليهم.

وهذا منتهى ما يلاقيه الداعية المخلص إلى الإيمان برب العالمين وما أحسن ما يقال هنا: . . .

رب إن الهدى هداك. . . وآياتك حق تهدي بها من تشاء. . .

. . . ومن أجل ذلك كانت الدعوة أخلد عمل في الوجود. . .

الفهـرس

القسم الثاني

علم دراسة الأديان